قدماء المصريين والاغريق

بحث فى العلاقات بين الشعبين
من أقدم الأزمنة إلى نهاية الدولة الحديثة

تأليف

جان ڤركوتيه

ترجمة

محمد على كمال الدين
مدرس الحضارة القديمة بالألسن العليا

دكتور كمال دسوقى
مدرس بكلية الآداب فرع الخرطوم

راجعه

دكتور محمد صقر خفاجة
أستاذ الأدب اليونانى بجامعة القاهرة

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

مقدمة

من المعروف ان حضارة مصر القديمة وحضارة الاغريق قد امتزجتا فترة تبلغ ثلاثة قرون ، تبدأ بدخول الاسكندر الاكبر مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق ٠ م ٠ وتنتهى بموقعة أكتيوم البحرية عام ٣١ ق ٠ م ٠ وكان الحكم فى هذه الفترة للبطالمة الذين أسهموا بنصيب كبير فى تقوية العلاقه بين الشعبين ومزج حضارتيهما ٠ وكانت مصر فى تلك الفترة مركز اشعاع حضارى عظيم ، جمع الحضارة المصرية العريقة بالحضارة الهلينستية الزاهرة ٠ وكانت الاسكندرية كعبة يحج اليها العلماء والادباء والفنانون من كل حدب وصوب ، وكانت مكتبتها تضم أنفس المجلدات التى عرفها ذلك العصر ٠

وقد دفعت تلك الحضارة المشتركة كثيرا من العلماء الى البحث فى نشأة العلاقات بين مصر واليونان منذ أقدم العصور وتطورها مع التاريخ ٠ فهى لاتضم فى ثناياها تاريخ الحضارة المصرية أو اليونانية فحسب، بل تاريخ الشرق والغرب وتطور الحضارة الانسانية عامة ٠ فهناك من المؤرخين من يبدأ تاريخ الحضارة العالمية باليونان ، وينسب اليهم فضل التقدم الانسانى ، ومنهم من يعترف بفضل الشرق القديم والحضارة المصرية ٠ وقد كشف المؤرخون اليونان أنفسهم عن العلاقات التى ربطت بين بلادهم وبين مصر قبل نهضة اليونان الكلاسيكية التى ترجع للقرن الخامس قبل الميلاد ، فكشفوا الستار عن صلات مصر بهم فى العصر الصاوى (٦٦٣ — ٥٢٥ ق٠م) وعن منابع الفكر المصرى الذى نهل منه أعلام الفكر اليونانى أمثال فيثاغورس وسولون وهيكاتايوس وأناكساجوراس وهيلانيكوس وهيرودوت ، واعترفوا بفضل مصر على حضارة أجدادهم ٠ فقد بين هيرودوت أن مصر أصل كل تقدم حضارى وأثبت : « أن المصريين هم أول من عرف السنة الشمسية وقسمها الى اثنى عشر شهرا٠ وأنهم أول من عرف الآلهة الاثنى عشر الذين استعارهم اليونان ٠وهم أول من خصص لمختلف الآلهة مذابح وتماثيل ومعابد ، بل هم اول من نحت الصور فى الحجر » (هيرودوت ج ٢ — ٤) ٠

وما زال هيرودوت يشيد بفضل مصر على حضارة اليونان فى ميدان العقائد الدينية كخلود الروح والاحتفالات الجنائزية وكذلك فى الهندسة والمساحة والقوانين حتى أن بعض المؤرخين كباور Bauer اتهمه بالتحيز للمصريين على حساب الاغريق الذين أظهرهم مدينين فى كل شىء لمن سبقوهم وللمصريين بصفة خاصة ٠ وقد نقده أيضا جلوفر بقوله : « ان الغريب

[illegible] من ذلك
[illegible] تماما .

[illegible] بين المصريين [illegible] بلغت مصر في [illegible] الآشوريين في [illegible] الآشوريين ترمي الى [illegible] النوبيين القادمين من [illegible] وقيام الأسرة السادسة [illegible] استقلال مصر وطهرها من [illegible] من سايس (صا الحجر) [illegible] مصر في ظل حكم العصر الصاوي بنهضة [illegible] وخمسين سنة ، توطدت فيها علاقات مصر [illegible]

[illegible] الأول لتجار ميليتوس الوافدين من آسيا الصغرى [illegible] لهم على الساحل المصري عرف باسم « الجدار الميليتي » [illegible] وذلك في النصف الثاني من القرن السابع . [illegible] ميليتوس من تلمسيس مدينة لهم بالدلتا على أحد فروع [illegible] عرفت باسم نقراطيس (١) (نقرش) . [illegible] لظروف [illegible] الآشورية والحروب الأهلية في ذلك الوقت [illegible] الأول [illegible] الأيونيين والكاريين من الاغريق وضمهم [illegible] في معسكرين متقابلين في دافني ، يفصل بينهما فرع [illegible] في شرق [illegible] (٢) . ومن بعد بسماتيك كانت لابريس [illegible] تتكون من ٣٠٫٠٠٠ من الايونيين والكاريين ، استعان بهم [illegible] على عرش مصر عام ٦٦٥ ق . م . [illegible] أمازيس [illegible] الاغريق من معسكري دافني شرق الدلتا الى [illegible] متظاهرا [illegible] تحت رقابته [illegible] منهم [illegible] (٣) [illegible] كثرة الاغريق [illegible]

[illegible] أمازيس [illegible] الاغريق جميعا دخول [illegible] فرع النيل [illegible] نقراطيس مدينة دولية فتحت

أبوابها للغرب ، وضمت بذلك الاغريق آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه وبلاد اليونان الاصلية ، فكان منهم الايونيون القادمون من خيوس وتيوس فوكايا وكلازومينای ، والايوليون من موتلينا ، والدوريون من رودس وهاليكارناسوس وكينيدوس ، وغيرهم من ميليتوس وساموس . وكان لكل مجموعة منهم حي خاص بهم يضم معابدهم ومحاكمهم(١)

تلك كانت العلاقة بين مصر واليونان في العصور المتأخرة من تاريخ الفراعنة وقد أيدتها كتابات المؤرخين القدامى والحفائر الاثرية في نقراطيس نفسها (٢) ولكن تلك العلاقة دفعت الكثير من الباحثين الى تقصيها والعودة بها الى ما قبل ذلك في التاريخ الفرعوني . فقد كشفت الحفائر الجنائزية في كل من مصر وكريت عن أدوات مصرية في كريت وادوات كريتية في مصر ترجع الى ما قبل التاريخ اليوناني ، وتنتسب الى الفترة التي طرد فيها المصريون الغزاة الهكسوس من مصر في نهاية عهد الاقطاع الثاني . وقد أثبتت الحفائر توطد تلك العلاقة بين مصر وكريت في الدولة الحديثة التي تقابل في كريت الفترة الاولى من العصر المينوى الاخير حوالي ١٦٠٠ ق . م .

وقد حدث بعد تلك الفترة اضطراب عام في كريت في نهاية القرن ١٥ ق . م ، أي في نهاية الفترة الثانية من العصر المينوى الاخير ، قضى على نفوذ كريت التجاري والسياسي . وكانت العلاقات المصرية الايجية في أوجها قبل محنة كريت مباشرة ، وذلك في عهد أمنحتب الثالث وزوجه الملكة تي ، فقد وجد الختم الذي يحمل اسمها بين آثار حاجيا ترياذا ، وهو آخر ما وصل الينا من آثار مكتوبة ترجع الى تلك الفترة التي سبقت نهاية النفوذ الكريتي . ثم توقفت العلاقات بين مصر وبين العالم الايجي فترة من الزمان .

وكان المصريون يطلقون على سكان بحر ايجه بما فيهم الكريتيون وسكان آسيا الصغرى وبلاد اليونان الاصلية اسما مشتركا واحدا هو « سكان الجزر التي في وسط البحر » (حاونبوت) . فلما حل الخراب بكريت ودمرت الحرائق عاصمتها كنوسوس وظهر في الافق شعب جديد ينتسب الى موكيناى Mucenae ببلاد اليونان الاصلية ، وربما كان هو السبب في القضاء على نفوذ كريت ، أخذ يحمل تجارته الى مصر على نحو ما كان يفعل الكريتيون . لم يفطن المصريون الى ذلك التغيير ، فكلهم في نظره سكان جزر ، وبدأت العلاقات المصرية الايجية سيرها من جديد .

(١) S. Davis: *Race Relations in Ancient Egypt*, London 1953, p. 24.

(٢) Petrie: *Naukratis I*, London 1888; Gardener: *Naukratis II*, London 1888.

واخذت العلاقات المصرية الموكنية سبيلها فى سلام مستتب فترة تقرب من قرن ونصف من الزمان · وقد أكدت تلك العلاقات الادوات المصرية التى اكتشفف فى منطقة ايجه والادوات الايجية من العصر الهيلادى الاخير الثالث التى اكتشفت فى مصر (١)

ولكن حدث فى عهد الملك منفتاح أن تعرضت مصر لغزو بحرى من سكان الجزر المتحالفين مع الليبيين عام ١٢٣٢ ق · م · صدته مصر · وقد تكرر غزو شعوب البحر لشواطىء مصر الشرقية فى عهد رمسيس الثالث نحو عام ١١٨٤ ق·م ، تمكن فرعون مصر من صده وتشتيت الاعداء · وقد ذكر من بينهم الدانونا والزاكارى والشكالشة والشردانة واللوكيين والبوليساتا · وقد أكد ماير وفروست (٢) وبندلبرى الغزوة الاخيرة ونسبوها للملك اجاممنون بن أتريوس ، واتخذوا من هزيمة الاخيين فيها سببا مباشرا لاتجاههم نحو البحر الاسود ومهاجمة طروادة ·

ومنذ ذلك الهجوم البحرى الذى واجهته مصر وصدته ، دأبت على قفل أبوابها فى وجه السفن الايجية والتجارة الغربية · فكان ظهور أى شراع فى الافق ايذانا بالحرب · واستمرت مصر فى عزلتها بالنسبة للغرب حتى مجىء الاسرة السادسة والعشرين وبداية عصر النهضة على نحو ما ذكرنا من قبل ·

وهكذا أرجع علماء الآثار العلاقة بين مصر والهيلنيين القدامى الى نهاية عصر الاقطاع الثانى وبداية الدولة الحديثة فى مصر · ولكن بعض الاثريين عادوا بها الى ما هو أبعد من ذلك ، فرأى بترى أن علاقة مصر بدأت مع كريت فى عهد بداية الاسرات وربما فى عهد ما قبل الاسرات · وقد فسر ذلك باكتشاف آنية كريتية بمصر فى مقابر أبيدوس لملوك الاسرة الاولى(٣) وقد حمل بنفسه قطعة من تلك الآنية وذهب بها الى كريت ، وقارنها بما اكتشفه ايفانس فى كنوسوس من مثيلاتها ، واستنتج من ذلك عراقة تلك الصلات · الامر الذى دفع كثيرا من العلماء (٤) الى تقصى تلك العلاقة وتأكيد بعضها وانكار البعض الآخر منها، ومواجهة الكثير من مشكلاتها بالدليل والبرهان ·

ومن بين هؤلاء العلماء جان فركوتيه Jean Vercoutter الذى نحن بصدد ترجمة بحثه القيم «دراسة عن علاقات المصريين بقدماء الهلينيين» الذى

---

(١) Pendlebury: *Journal of Egyptian Archaeology*, XVI, 1930.

(٢) Meyer and Frost: *Klio 1914*, 446 (Cf. Od. XIV, 245).

(٣) Petrie: *Abydos II*, pl. XLII, p. 38.

(٤) Glotz, Hall, Meyer, Evans, Breasted, Fimmen, Pendlebury, Belock..., etc.

قضى فيه مايقرب من عشر سنين وناقش فيه جميع آراء غيره من الباحثين·

وقد راعينا الدقة العلمية فى نقل النص الفرنسى الى اللغة العربية هادفين بذلك الى تقديم صورة مشرقة من مجدنا القديم وحضارتنا العريقة، التى أنارت السبيل للشعوب الاوروبية منذآلاف السنين، راجين أن يقف القارىء العربى على تطور العلاقات التاريخيه التى ربطت بين قدماء المصريين والهلينيين لاهميتها فى تدعيم الروابط الحديثة بين الجمهورية العربية المتحدة واليونان الصديقة · ونرجو من الله التوفيق ·

القاهرة فى نوفمبر ١٩٦٠ ·

المترجم

فصـل تمهيدى

تعريف بحضارة بحر ايجة

(١) الحضارة المينوية

ان الحفائر الحديثة التى قام بها شليمان وايفانس وبندلبرى على شواطىء اسيا الصغرى وفى جزيرة كريت وقبرص اثبتت وجود حضارة قديمة ترجع الى الالف الثالث قبل الميلاد فقد كشف شليمان فى موقع مدينة طرواده القديمة عن اطلال مدينة اخرى اقدم من مدينة طرواده التى تحدث عنها هوميروس بالف سنة على الاقل عثر فيها على تماثيل صغيرة جميلة وحلى نفيسة واوانى فخارية مزخرفة من طراز لم يكن يعرفه الاغريق مما دعى شليمان الى القول بانه كان يسكن ساحل بحر ايجة قبل حروب طرواده بعشرة قرون كاملة جنس غامض من الناس يفوق فى حضارته القبائل الاغريقية الهمجية التى غزت بلادهم وقضت على حضارتهم . وقد ثبت صدق هذا القول ايضا حين زار شليمان اطلال موكناى باليونان حيث عثر على آثار شعب قديم غطى الشاطىء اليونانى وشيد اسوارا بلغ من ضخامتها ان الاغريق ظنوا انها من صنع الجبابرة اشباه الآلهة وقد ثبت ان اولئك الجبابرة لم يكونوا سوى بحارة وتجارا عاشوا فى جزيرة كريت والجزائر الصغيرة المنتشرة فى بحر ايجة الذى جعلوا منه مركزا لتبادل التجارة بين الشرق ذى الحضارة العريقة والبلاد الاوروبية التى كانت فى خطواتها الاولى نحو التقدم . وقد احتفظ الكريتيون بامبراطوريتهم الجزرية نيفا والف سنة بلغ فيها الفن درجة عالية من الرقى . وكانت اهم مدينة فى تلك الامبراطورية كنوسوس على شاطىء جزيرة كريت الشمالى .

وقد كشفت الحفائر الحديثة عن القصور المينوية فى كنوسوس التى ترجع فى تسميتها الى الملك مينوس العظيم الذى ظل اسمه يطلق على سلسلة من الملوك عرفت حضارة بلادهم بالحضارة المينوية وهى تشبه الى حد كبير العبارة التى نطلقها على الحضارة المصرية وهى الفرعونية نسبة الى فرعون . ومن آثار تلك القصور القديمة فى كنوسوس وفايستوس وحاجيا ترياد وجورنيا وبالايكا سترو وزاكرو وغيرها من المواقع الأثرية على طول جزيرة كريت وعرضها حصلنا على الادوات القديمة التى كانت سائدة فى ذلك العهد . ومن مقارنتها بما اكتشف فى نفس هذه المواقع من آثار مصرية امكننا تحديد ذلك العصر بنهاية الالف الثالث وبداية الألف الثانى قبل الميلاد . وقد اثبتت بعض الآثار ان

عصر البرونز بكريت واليونان والجزر ومقارنة أزمنته بمصر

ق.م	مصر	وسط كريت	جنوب كريت	شرق كريت	جزر اليونان	الجزر الإيجية
٣٢٠٠	عصر ما قبل الأسرات	العصر الحجرى الحديث			الحجرى الحديث	غير آهلة ؟
٣١٠٠ – ٢٩٠٠	الأسرات ١ و ٢				وتختلف نهايته	
٢٨٠٠	الأسرة الرابعة	نهاية العصر الحجرى / الحجرى ...	المينوى الأول ١	المينوى الأول ١	العصر الهلادى الأول (القديم)	العصر الكوكلادى الأول (القديم)
٢٧٠٠ – ٢٥٠٠	الأسرتان ٥ و ٦	العصر المينوى الأول		٢ (قديم ٢)		
٢٤٠٠ – ٢٢٠٠	الأسرات من ٦ – ١٠ عهد الانتقال الأول	العصر المينوى الأول		٣ (قديم ٣)		
٢١٠٠ – ٢٠٠٠	الأسرة ١١	المينوى الوسيط ١ أ / م الوسيط ١ ب	المينوى الوسيط ١	المينوى الوسيط ١	الهلادى الوسيط	الكوكلادى الوسيط
١٩٠٠ – ١٨٠٠	الأسرة ١٢	م الوسيط ٢ أ	م الوسيط ٢ أ			
		المينوى الوسيط ٢ ب				
١٧٠٠ – ١٦٠٠	الأسرات من ١٣ – ١٧ عهد الانتقال الثانى والهكسوس	العصر المينوى الأوسط ٣ أ				
		المينوى الأوسط ٣ ب بعد الزلزال				
١٥٠٠	الأسرة ١٨ تحتمس الثالث واخناتون (تل العمارنة)	م الوسيط ٣	م الحديث ١ أ		الهلادى الحديث ١	الكوكلادى الأخير
١٤٠٠		م الحديث ٢ كنوسوس	المينوى الحديث الأول ب		هـ الحديث ٢ (موكينى)	
١٣٠٠	الأسرة ١٩	العصر المينوى الحديث الثالث أ			هـ الحديث ٣ أ	
١٢٠٠		المينوى الحديث الثالث ب			هـ الحديث ٣ ب	
١١٠٠	الأسرة ٢٠	نهاية العصر المينوى			نهاية العصر الموكينى والكوكلادى	

الكريتيين كانوا على درجة عظيمة من الثقافة وكانوا على اتصال بوادي النيل فى عهد الأسرات المصرية الاولى وهو ما يقابل العصر المعروف بالمينوى الاول (الباكر) ويقابل تقريبا النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد (١) . والفترة التالية التى ترجع اليها العصور الاولى التى يطلق عليها اسم العصر المينوى الأوسط (٢) تقابل تقريبا الدولة الوسطى فى مصر وقد بلغ الكمال درجة عظيمة فى الفنون فى ذلك الوقت وخاصة فى الاوانى الفخارية المصقولة المزججة المعروفة باسم كمارس وقد وجدت فى كهف جبل ايدا بكريت . وقد وجد فلندرزبترى بعض هذه الاوانى التى انتقلت الى مصر فى آثار الاسرة الثانية عشرة فى كاهون (قرب الفيوم) كما يرجع الى هذا العصر المينوى الأوسط مدرسة فى الطلاء والنقش وصناعة المعادن الفنية التى تثبت تقدما عظيما . كما ترجع الى اواخر ذلك العهد صناعة الخزف الذى وجد فى قصر كنوسوس — والعصر التالى المعروف بالمينوى الأخير (١٦٠٠ — ١٢٠٠ ق.م) خير شاهد عليه القصر الاخير فى كنوسوس وحاجياتريادا وهو يقابل فى مصر عصر الهكسوس واوائل الدولة الحديثة .

وفى الفترة الاولى من العصر المينوى الأخير بلغت الحضارة المينوية قمتها بينما الفترة الاخيرة حدث فيها تخريب قصر كنوسوس وتدهور الحضارة فى بلاد الاغريق الاصلية . وقد عثرنا ضمن آثار العصر المينوى الأخير على بعض الاوانى عليها صور تمثل المحاربين ورجال السيف والمصارعين كما عثرنا على صور بجدران قصر كنوسوس تمثل سيدات البلاط بملابس حديثة تتمشى مع حضارة القصر والزخارف المتعددة فى ابهائه .

الحياة المينوية :

كان سلطان الملك فى كريت يستند كما تدل على ذلك الآثار ؛ على القوة والبطش وعلى الدين والقانون وكان يستخدم الآلهة فى مساعدته لاطاعة الناس . وكان الكهنة ينسبون نسله الى الاله فلكانوس Velchanos ويتلقى من هذا الاله القوانين التى يصدرها . واذا ما كان الملك قديرا او سخيا فان الكهنة يخلعون عليه السلطة الالهية . ويستعمل الملك البلطة المزدوجة وزهرة الزنبق رمزا لسطانه كما فعلت روما وفرنسا فيما بعد . وهو يستخدم فى تصريف شئون الدولة (كما تشير بذلك اكداس الالواح الأثرية) طائفة من الوزراء وموظفى الدواوين والكتبة .

---

(١) ٣٠٠٠ — ٢٢٠٠ ق.م
(٢) ٢٢٠٠ — ١٦٠٠ ق.م

وهو يجبى الضرائب عينا ويختزن فى جرار ضخمة موارده من حب وزيت وخمر . ومن هذه الموارد يؤدى رواتب رجاله عينا . ويقضى وهو جالس على عرشه فى القصر او من مجلسه فى بيته الملكى الصغير فيما يرفع اليه من القضايا التى مرت بمحاكمه . وقد بلغ من شهرته فى احكامه انه يصبح فى الدار الآخرة بعد موته قاضى الموتى الذين لا مفر من عرض قضاياهم عليه كما يؤكد لنا هوميروس .ونحن نسميه مينوس ولكنا لانعرف حقيقة اسمه ولعل هذا لقب لااسم شبيه بلفظ فرعون اوقيصر يطلق على عدد كبير من الملوك

وتدل هذه الحضارة فى ذروة مجدها على انها حضارة مدن لاحضارة ريف . وتحدثنا الالياذة عن مدائن كريت (التسعين) .

وقد اعجب بها اليونان لكثرة سكانها وتدل آثارها على وجود شوارع مرصوفة ذات مجارى وحوانيت لا عد لها وميادين لمراكز التجارة يحتشد فيها الناس . ومن اهم مدنها كنوسوس العاصمة وفايستوس التى تبحر منها السفن الى مصر وتتجمع فيها تجارة كريت المينوية الذاهبة الى الجنوب . وهى تلى كنوسوس فى العظمة كما يدل على ذلك قصر اميرها بابهائه وافنيته وحجراته وردهاته العظيمة .

وكانت مدينة جورنيا مركزا للصناعة فى كريت . وكانت تمتاز بشوارعها الواسعة المرصوفة بالجبس وبيوتها المشيدة بالحجارة وحوانيتها العديدة للحدادة والنجارة وصناعة المعادن والاحذية والفخار وتكرير الزيت والنسيج كما كانت تصنع المصابيح والمدى والخطاطيف والدبابيس والخناجر والسيوف حتى انه اطلق عليها مدينة الآلات .
ومن الألعاب الكريتية الهامة مصارعة الثيران وقد صور مروض الثيران يلوى راس الثور ليخضعه او يمسك بقرنيه ويقفز فى الهواء وينقلب فوق ظهر الحيوان الى غير ذلك من الحركات التى تدل على شجاعة المصارع .

لقد بنى الكريتيون فى فايستوس عام ٢٠٠٠ قم تقريبا عشرة صفوف من المقاعد الحجرية بجوار جدار يطل على فناء ترفرف عليه اعلام . كما اقاموا فى كنوسوس ١٨ صفا من المقاعد الحجرية طولها ٣٣ قدما . هذه الدور تتسع لعدد من النظارة يتراوح بين ٤٠٠ ، ٥٠٠ هى من اقدم مانعرفه عن دور التمثيل ، حيث كانوا يشاهدون الرقص والموسيقى . وقد حفظت لنا بعض الصور التى وجدت فى كنوسوس تمثل سيدات الطبقة الراقية وبعض الرجال يشاهدون رقصا تقوم به فتيات مرحات . وهناك صور تمثل رقصات شعبية ريفية ورقصات الكهنة والكاهنات امام صنم او شجرة مقدسة . وقد صورت القيثارة ذات السبعة أوتار

[illegible] كما عرفوا ايضا الناى والمزمار المزدوج ذا [illegible] تمة كما عرفوا الجلاجل التى تضبط [illegible] .

ولعل [illegible] كنوسوس العظيم خير شاهد على ما بلغه المينويون [illegible] البناء وقد سمى ذلك القصر اللابرنت .

النقش والتصوير : [illegible] ارتفع فن النقش والتصوير مع فن البناء . [illegible] على الجدران طبقة من الجير النقى ويصورون على السطح [illegible] الالوان الى الطلاء قبل ان يجف . وصوروا فيه الحقول والازهار [illegible] نضرة طبيعية . كما صوروا الحيوان والطير والرجال والنساء [illegible] من آيات الفن وخاصة فى العصر المينوى الاوسط . اما فى العصر المينوى الاخير فيبدو أن الفنان اهتم بالكم اكثر من الكيف [illegible] سريعة تقل نضارة عن مثيلاتها فى العصر الاوسط .

وفيما بقصر كنوسوس نقش يمثل صراعا بين رجل وثور تجلت فيه جميع دقائق الصراع . كما عثرنا فى حجرات الاستقبال على صور سيدات [illegible] يتيهن بالوجوه الجميلة وصدورهن ، كما صورت على جدار [illegible] سيدات فى ثوب التمثيل ودلافين تسبح . ولعل من اهم الصور ذائعة الصيت صورة الساقى المنتصب القامة قوى البنية يحمل وعاءا ازرقا [illegible] . ومن اهم النقوش البارزة راس الثور بمتحف هركولانيوم .

الفنون الصغرى : يمكننا القول بصفة عامة أن الفنان الكريتى المينوى كان [illegible] فى انتاجه الفنى على النطاق الضيق فانتج لنا اوانى صغيرة ونقوشا وتماثيل ممتازة واكثر دقة من مثيلاتها على النطاق الكبير [illegible] المصريون . وقد برع الكريتى فى صناعة الفخار وفى قطع الجواهر [illegible] مواضع القصص فى [illegible] وفى النقوش البارزة حيث تسنح [illegible] الدقة . كما حذق فى صياغة الذهب والفضة وتركيب [illegible] وصنع الجوهرات . وقد حفر على الاختام كثيرا من [illegible] وصنع من البرونز طاسات واباريق وخناجر وسيوفا [illegible] عليها صور [illegible] مرصعة بالذهب والفضة والعاج والحجارة [illegible] .

وقد عرف الكريتى [illegible] العصر الحجرى الحديث قبل [illegible] وطليها بطبقة زجاجية سمراء [illegible] وعرف فى العصر المينوى الاوسط [illegible] والابيض والاحمر والبرتقالى [illegible] جديدة كما رقق

الصلصال ترقيقا وصل الى حد الكمال كما يتمثل فى فخار كمارس وكان الصانع يوقع باسمه على ما يصنع .

وفى العصر المينوى الاخير بلغ فن صناعة الفخار اقصاه فى الرقة فصنع الواحا ومزهريات ذات صور لالهات متعددة الالوان ونقوش لحيوانات بحرية دقيقة . كما اتقن الاسماك الملونة والازهار واوراق الشجر الى جانب مناظر الحياة المختلفة ومن امثلة اوانى العصر المينوى الاخير مزهرية الملاكمين ومزهرية الحصادين التى تمثل الفلاحين فى موكبهم يمشون ويغنون .

وتقول الرواية ان الدوريين الذين استوطنوا كريت فيما بعد اخذوا التقويم عن المينويين . كما كان الكريتى على علم بالفلك لشهرته كملاح ماهر . كما اخذ المصريون عن كريت بعض الوصفات الطبية واخذ عنهم الاغريق بعض الاعشاب العطرية والطبية كالنعناع والشيح الرومى وعقار شفاء البدانه .

هذا وتدل الآثار على علو كعب الكريتيين فى الهندسة والصناعة وادوات القتال وعلوم البحار وصناعة السفن وكل ما يتصل بهم من علوم تمشي والحضارة الرفيعة(١) .

(٢) الحضارة الموكينية (١٦٠٠ — ١١٠٠ ق٠م)

لقد قامت ببلاد اليونان الاصلية حضارة تشبه الى حد بعيد حضارة كريت المينوية وقد تاثرت بها تاثيرا كبيرا . تلك هى الحضارة الموكينية نسبة لمدينة موكناى Mukenae اهم معاقلها على الساحل الشرقى لشبه جزيرة البلوبونيسوس (المورة) . وقد وجدت بها كما وجد فى بعض المدن المجاورة لها كتيرنس وآرجوس آثار القصور الملكية التى ترجع الى بداية القرن ١٤ ق٠م . وقد بدا ظهور هذه الحضارة على وجه التقريب فى القرن السادس عشر قبل الميلاد واستمرت الى نهاية القرن الثانى عشر . ومصادر معلوماتنا عنها ، الآثار الحجرية التى بقيت اكثر من ثلاثة آلاف سنة الى جانب الادوات المنزلية التى وجدت فى القبور ، بالاضافة الى ما ذكرته لنا الاشعار الهومرية وخاصة فى المرحلة الاخيرة من هذه الحضارة .

ويبدو ان الحضارة الموكينية كانت وليدة الاتصال بين القبائل

---

(١) ول ديورانت (ترجمة محمد بدران) قصة الحضارة المجلد الثانى القاهرة ١٩٥٣

الآخية التى اجتاحت بلاد اليونان واستقرت فيها ، وبين الحضارة المينوية فى كريت ، التى ذهب أصحابها الى اماكن متعددة فى شرق بلاد اليونان وغرسوا فيها ثقافتهم ، وربما اسس الكريتيون هناك امارات قويت مع الايام حتى انها رفضت الخضوع لملوك كريت نفسها .

وتاريخ العلاقات بين كنوسوس وموكناى فى القرنين ١٦ و ١٥ يشوبه كثير من الغموض ، غير انه فى القرن ١٤ سقطت كنوسوس وذهب مجد كريت وحلت الخرائب فى كثير من اجزاء الجزيرة . ويرى بعض المؤرخين ان ذلك الدمار كان من فعل الآخيين الموكنيين الذين تبوءوا السلطة فى القرن ١٣ وانشاوا ولايات لهم فى كريت ذاتها ، وجعلوا من معقلهم (ولاية ارجوليس) اعظم واقوى مركز للحضارة الايجية فى ذلك الوقت فاصبح بذلك الهلينيون سادة اليونان وبحر ايجة وامتد سلطانهم الى سواحل آسيا الصغرى . اما طرواده آخر معقل تجارى عظيم من معاقل المدنية القديمة التى ازدهرت مع ازدهار الحضارة المينوية فقد حل بها الدمار على يد الآخيين فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد كما تحدثنا بذلك الاشعار الهومرية .

لم تكن الحضارة الموكنية فى بادىء الامر على درجة بالغة من الرقى كحضارة كريت فكان الملوك الموكنيون يستقدمون الفنانين الكريتيين ليحفروا لهم على الاوانى والخواتم ماكانوا يقومون به من اعمال . وكانت اهم اعمال اولئك الملوك القرصنة وفرض الاتاوات الباهظة على التجار . ومع تطور الحضارة ادركت موكناى خطر القرصنة ، وقبلت ان تنهج نهج كريت فى الاشتغال بالتجارة الشريفة ، فاصبح لها عام ١٤٠٠ ق.م اسطول تجارى عظيم استطاع ان ينازع سلطان كريت البحرى ، فارسلت بضائعها الى مصر مباشرة دون المرور على كريت . وربما ادى هذا التنافس التجارى الى حرب انتهت بتدمير القلاع الكريتية .

ولقد آن للحضارة الموكنية ان تستمر بعد اضمحلال الفن الكريتى ، فاستمرت النقوش والحليات وصور النساء بالوانها راقية حتى عصر ازدهار الحضارة اليونانية . ولعل ما عثر عليه شليمان من فنون معدنية يدل على رقى تلك الحضارة الى مستوى الحضارة المينوية فى هذا المضمار . وبلغت الحضارة الموكنية ارقى درجاتها بعد سقوط كنوسوس ، فاستخدمت الثروة المتزايدة فى تشييد القصور العظيمة على تلال موكناى وتيرنس ، واتخذ الفن الموكينى لنفسه طابعا خاصا استولى على اسواق بحر ايجة . كما وصلت تجارة البلاد الى قبرص وسوريا شرقا ومصر جنوبا واسبانيا غربا مارة بايطاليا ، والى شمال نهر الدانوب مارة بتساليا وبؤوشيا .

وقد ذكرت لنا النصوص المصرية فى القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد غزو شعوب البحر للدلتا سواء بمشاركتهم الليبيين او بمفردهم . وكان منهم الآخيون . فسجل لنا رمسيس الثانى (١٢٣٢ق.م) من بين اعدائه قبائل الدردانا Dardana واللوكيين Lycians/Luku واليافانا Yavana . كما ذكر لنا ابنه منفتاح هجوم الاكواياشا Aquayasha والتوروشا Tyrrhenians/Turusha واللوكيين وذلك فى نهاية القرن ١٣ كما دون لنا رمسيس الثالث بعد ذلك (١١٨٤ ق.م) محاربته الدانونا Danaona والتوكارى Tokari وغيرهم . هذه القبائل الوافدة من «بلاد البحر » ومن «الشمال» تمثل قبائل معروفة بآسيا الصغرى كالدردنيين واللوكيين والتوكارى Teucrians متحدين مع الايونيين والآخيين والداناى اسلاف الهلينيين (١) .

ولعل العمل الجديد بشهرة الآخيين بعد ذلك هو تلك الحرب التى اتحد فيها شمال اليونان وجنوبها ضد طرواده وقد سجل احداثها هوميروس فى ملحمته الخالدة « الالياذة » وصور لنا فيها لوحات وذكريات من العصر الموكينى والكريتى مختلطة بالحضارة الايونية التى عاش فى ظلها فى القرن التاسع قبل الميلاد .

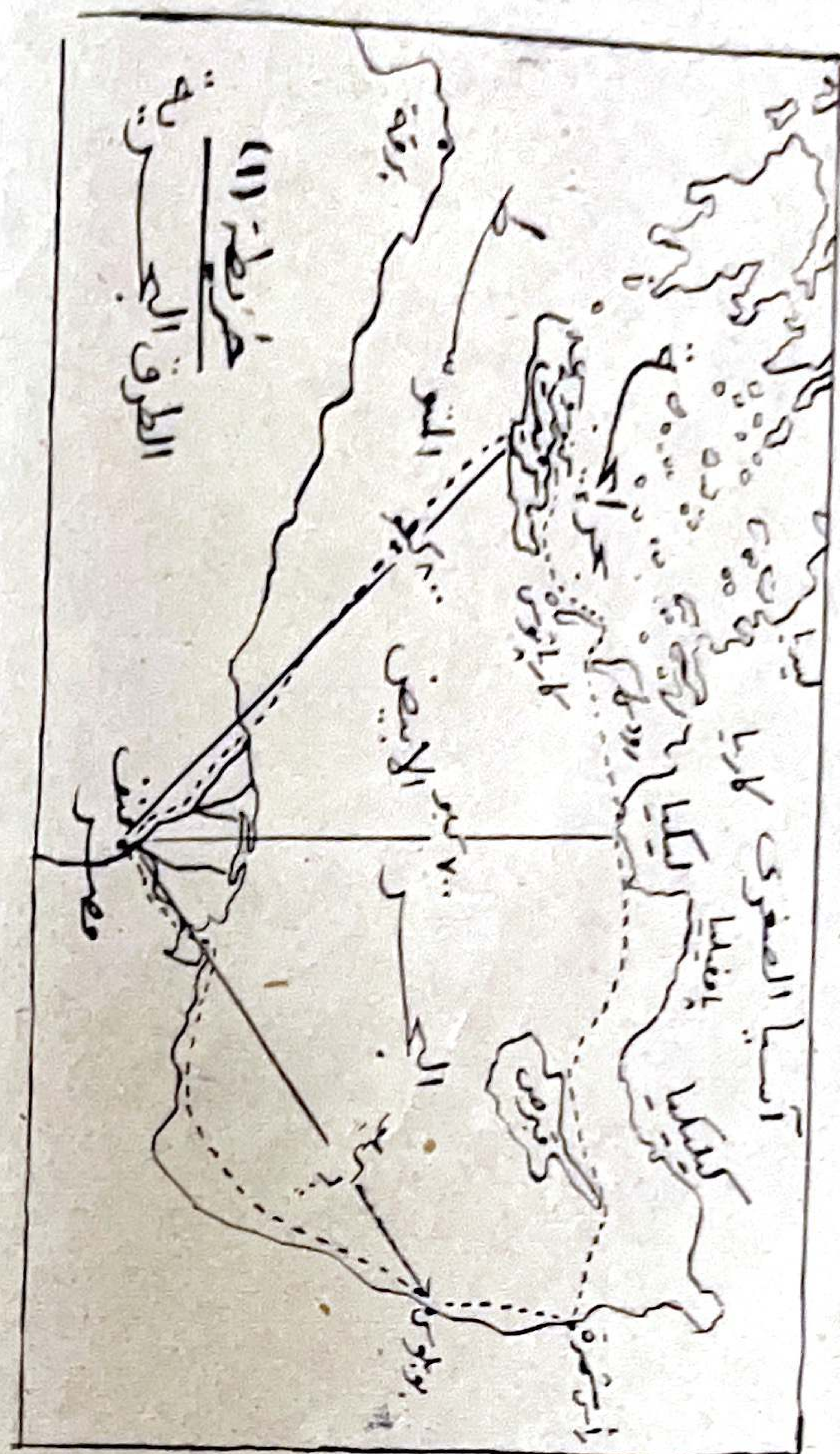
واذا اخذنا براى المفكرين الذين يقيسون تحضر الامم بمركز المراة فيها ، لادركنا رقى الحضارة الموكنية رقيا عظيما . فقد صور لنا هوميروس المراة اصدق تصوير واسند الى بطلاته ادوارا هامة فى الالياذة والاوديسا . فاتخذ من اختطاف هيلين الاميرة الآخية سببا فى نشوب الحرب ضد طرواده لاسترجاعها . كما تغنى ايضا باندروماخا زوجة هكتور بطل طرواده . ولعل اشهر بطلات هوميروس هى بنيلوبا بطلة الاوديسا وزوجة اوديسيوس التى كانت مثلا رائعا للاخلاص والوفاء ، حتى ان بعض النقاد راى ان هوميروس قد نظم الاوديسا لتمجيد المراة بعد ان نظم الالياذة لتمجيد الرجل .

* * *

تلك لمحة سريعة للحضارات الايجية القديمة التى صورها لنا هوميروس . ولقد آثرت ان اقدم بها للعلاقات بين قدماء المصريين والاغريق ليسهل على القارىء العربى متابعة تلك العلاقات من جانبيها المصرى والايجى دون ان تقف فى سبيله بعض العبارات الغامضة او الاسماء التى لم يسبق له التعرف بها .

المترجم

(١) C.W.C. Oman: *A History of Greece*, London, 1941, p. 24-25.



تصدير المؤلف

حين قام السير آرثر ايفانس منذ بداية القرن التاسع عشر بالتنقيب فى حفائر (كنوسوس) التى اطلعت العالم المتحضر شيئا فشيئا على مدنية المينويين العريقة ، سرعان ما اتجه الباحثون الى التعرف على أثر «التيارات» الاجنبية فى هذه الحضارة التى اكتشفوها من عهد قريب ٠

ولقد نسبوا الى مصر الكثير من هذه التيارات فاعتبروها منفذا تجاريا له اهميته بالنسبة للمنتجات الايجية ٠ ويبدو ايضا أنهم اعتبروها موطنا آمنا لكثير من السكان الذين نزحوا منها واستوطنوا جزيرة « مينوس »

ولكن الاستكشافات الاثرية فى كريت وفى القارة الاوروبية وفى آسيا سرعان ما غيرت من وجهة النظر هذه ، ونتج عن ذلك أن حلت الاتجاهات « الآسيوية » فى البحث محل الاتجاهات «الافريقية» ابتداء من عام ١٩٢٤ ٠ وابتدأ وجه آسيا يظهر فى جلاء ووضوح بعد أن كان بعيدا عن افق كريت ٠ وأخذت معالمه تتألق تدريجيا وأخذ الباحثون يتكلمون عن التيارات الآسيوية الاناضولية والسورية وبلاد ما بين النهرين والحيثية بدلا من التأثيرات المصرية أو الليبية ٠ ولكننا لانستطيع أن نبين على وجه التحديد مدى ما فى هذا الاتجاه من بعد عن الحقيقة بالرغم من النظريات التى تحاول تبريره ٠

وبعد أن كانت مصر تثبت وجودها فى جميع مظاهر الحضارة المينوية أول الامر ، فانها وجدت نفسها تبتعد عن هذه الحضارة حتى كادت تختفى ، بل ويذهب البعض الى التشكك فيما ينسب اليها من آثار ٠

ويجب أن نعتقد أن هذه المعركة العلمية التى دارت رحاها بين دعاة التيارات الافريقية ودعاة التيارات الغربية ثم دعاة التيارات الشرقية، هى معركة أكاديمية بحتة ٠ وتعتبر مشكلة هذه التيارات الناتجة عن مجتمعات انسانية اختفت منذ أمد بعيد من أعقد مشاكل التاريخ القديم لان الموضوع يتعلق فى النهاية بتاريخ الحضارة عامة والحضارة الغربية على وجه الخصوص ٠ وليس هناك من ينكر عظمة الفن المصرى الذى لانظير له ، أو من لايعترف بسحر الفن المينوى وحيويته ٠ ولقد أثر كل من الفنيين فى الفن الآخر كما يتضح لنا من الفن المصرى فى الاسرة الثامنة عشرة والفن الكريتى ٠ ولكن بينما كان صناع طيبة يميلون الى روح الفن الايجى ويتأثرون بحيويته ، كان الكريتون يقتبسون طرز الفن المصرى لانهم كانوا اكثر واقعية وخاصة فى النقش وصناعة الخزف ٠

ويجب علينا أن نحتاط ولا نبالغ فى أهمية هذه التيارات ، فنحن فى مصر نجد فنا كله ثقة بنفسه سواء بطرقه الفنية التى رسخت منذ قرون او ببحثه لا عن شخصية سطحية بل ماهية هذه الشخصية . أما الحضارة الايجية فكانت على العكس من ذلك ، حضارة تحاول أن تصحو من غفوتها وتتخذ مظهرها من طبيعتها المضطربة غير المستقرة . ومع ذلك لو فكرنا فى أثر التراث الهلينى القديم على الحضارة اليونانية الناشئة لما استطعنا أن ننكر العلاقة التى ربطت العالم الايجى بالعالم المصرى مهما كان شأنها .

ولقد خصصنا الصفحات التالية للحديث عن مظهر معين من مظاهر التاريخ القديم الا وهو علاقة قدماء المصريين بالهلينيين القدامى . وبالرغم من أن الكتاب موجه الى قراء ليسوا متخصصين فاننى لم أفكر فى تبسيطه كل التبسيط ، فهو ثمرة مجهود شخصى استغرق سنوات عدة . ونحن لاندعى اننا قد وصلنا الى حل المشاكل العديدة المتشابكة التى أوجدها نضال قدامى الغربيين بالشرق الافريقى . ولكننا نرجو على الاقل أن نكون قد أطلعنا علماء الآثار على « مشكلة والشرق » فى التاريخ لنريهم كيف قامت .

باريس فى ١٠ مايو سنة ١٩٥٣ — ج . ف

ملاحظة : بدلا من وضع المراجع فى هوامش الصفحات آثرنا ذكر اسم المؤلف الذى ينادى بالرأى بين أقواس ثم يجد القارى فى نهاية الكتاب أسماء المراجع والمقالات التى اعتمدنا عليها فى كل فصل من فصول الكتاب .

الفصل الأول

مشكلة العلاقات بين ايجة ومصر

تحديدها :

تشغل كل من كريت ومصر مكانا مرموقا بين المجتمعات القديمة فى البحر الابيض المتوسط والشرق الادنى — فمصر تحدها من الغرب سلسلة من الواحات والصحراء الليبية الكبرى — وهى من أقل صحارى العالم رشحا ، ويحدها من الجنوب العالم الاستوائى الافريقى ، ويحميها فى نفس الوقت المناخ والعقبات الطبيعية التى تعترض مجرى النيل ابتداء من أسوان ، ومصر هذه تمثل فى العالم الشرقى «وحدة حقيقية قائمة بذاتها» والحال كذلك بالنسبة للحضارة المينوية فى فجر التاريخ فهى تكاد تكون منفصلة عن جزيرة كريت قائمة على ساحلها الشمالى الغربى للعالم المتحضر كما أنها معزولة بالبحر عن مجتمعات الشرق الاخرى . وكريت فى الحقيقة ليست ملتقى للطرق الا بالقدر الذى ينتج من كون الشاطىء الاوربى وشبه جزيرة البلقان مهدان للحضارة . ولقد كانت كريت ، مثل مصر ، فى عصورها الساحقة وخاصة بالألف الثالث ، بلدا ذا حدود مغلقة اذا قورنت بالمناطق الكبرى للحضارة .

ويبدو لأول وهلة أنه ليس من المستحيل وجود علاقة بين المصريين والمينويين — بالرغم من بعد المسافة بينهم . لكن اذا ما تصفحنا كتب التاريخ عامة للعالم القديم أو اليونان القديمة وتلونا الفصول المخصصة لليونان قبل العصر الهلينى ، لتبينا الاهمية التى يعلقها مؤلفو هذه المجلدات على العلاقات بين الحضارتين الايجية والمصرية وأدركنا أن هذه العلاقات لم تكن موضع شك فى نظرهم . ففى كثير من المرات نراهم يعتمدون على النموذج المصرى فى تفسير أصل هذه الصناعة أو تلك مما عرفه الهلينيون القدماء . ويرى عدد كبير منهم أيضا أن مصر كانت الملهمة الكبرى لكريت المينوية ، ويؤكدون أن العلاقات بين البلدين كانت ميسورة ومضطردة .

ولولا أن القبائل الهندو أوروبية احتلت دولة الايجيين فيما بعد فأصبحت بهذا مهدا للحضارة الغربية ، فلا شك أن مسألة العلاقات بين مصر والعالم الهلينى القديم لم تكن تدرس بمثل هذه العناية . ولا شك أيضا أن الحضارة الهلينية القديمة كانت احدى العناصر التى ساعدت على

خلق اليونانيين من الغزاة الشماليين الاجلاف ، ولا شـــك أن المعجزة اليونانية التى نتحدث عنها كثيرا قد أفادت من تغيير الروح الخاصة بالهندو اوربيين ، كما يبدو من الاختلاف الشديد بين الادب والفكر اليونانى وبين الفلسفات والآداب الاسيوية • ولكن هل نستطيع أن نؤكد ان هذه الروح ذاتها لم تكن موجودة من قبل عند قدماء الهلينيين فى الجزر ؟ فليس هناك مايثير هذه المشكلة اذا لاحظنا الفرق بين ميزات الفنانين اليونانيين والفنانين الاسيويين بل والمصريين •

ومن هنا نرى أهمية مسالة العلاقات بين مصر وايجه اذ عن طريق كريت والعالم الهلينى القديم قد تغلغل قدر من الحضـــارة المصرية ـ التى لانستطيع أن نوفيها حقها مهما قلنا عن تشعبها الكامل أو « انسانيتها التامة ـ تغلغل فى أسس الحضارة الغربية ذاتها •

القضايا الدائمة لهذه المشكلة :

قبل أن نفحص طبيعة وحقيقة الروابط التى الفت بين المصريين والهلينيين القدماء ، نود أن ندرس الظروف المادية التىفرضتها الطبيعة على العلاقات بين كريت ومصر دراسة سريعة • ان البحر الابيض المتوسط بكل اتساعه يمتد فيما بين الساحل الافريقى وجزيرة مينوس (١) حصن أوربا الامامى فالمشكلة اذا هى فى جوهرها مشكلة ملاحية خصوصا فى العصر الاول • اذ لايمكن ان تقوم بين أفريقيا وأوربا صلات ثقافية الا بقدر ما يتسنى لسكانها أن يعبروا المساحة البحرية التى تفصلهما •

فاقرب نقطة على ساحل كريت تبعد مسافة ٥٠٠ كيلو متر تقريبا عن مصب النيل الكانوبى (٢) ومسافة كهذه تبلغ ٢٧٠ ميلا بحريا قد لاتبدو هائلة بالنسبة لنا ولكنها تتطلب فى مركب شراعى صغير ذى حمولة قليلة خمسة أو ستة أيام فىعرض البحر بعيدا عن أى شاطىء ـ حقا أن الرياح الشمالية (٣) السائدة أثناء الصيف تساعد الملاحين الذاهبين من كريت الى مصر مساعدة عظيمة ـ ولهذا لم تستغرق سفينة الرحالة الفرنسى كايو

---

(١) وهى جزيرة كريت التى كان مينـــوس الاول أشهر ملوكها فى العصر المينوى الاخير ، وذلك أصبح اسم مينوس لقبا مميزا للجزيرة وحضارتها كلقبفرعون بالنسبة لمصر، (المترجم)

(٢) كان للدلتا قديما ســبعة أفرع هى البيلوزى شرقا ثم الفاتينيتى (دمياط الحالى) ويخرج منه التانيـى والمنديـى والـبتينى ، وفى الغرب الفرع البلبيتى (رشـــيد) ويخرج منه الكانوبى غربا • (المترجم)

(٣) وقد سماها اليونان etesios وبالفرنســية étésiens وهى رياح شمالية غربية تهب فى فصل الصيف ٤٠ يوما تقريبا وتساعد على الملاحة (المترجم)

Caillaud ذات الشراعين ـ وقد دفعتهـا رياح الشـمال القـوية الا ثلاثة أيام من (٢٨ الى ٣٠ سبتمبر ١٨١٩) من السـاحل الشمالى لكريت حتى الاسكندرية • ومن الممكن أن نقرر هذه الايام الثلاثة من المـدة التى وردت فى احدى فقرات الاوديسا حيث يقول الشاعر « من سهول كريت تدفعنا ريح الصبا الجميلةالى الامام كما لو كنا نسير فى تيار احدىالانهار •• وبعد خمسة أيام اذ بنا نصل الى نهر مصر الجميل» (الاوديسا ١٤ ، ٢٥٢)• والمسافة التى تفصـــل كريت عن الساحل الافريقى ليس من السهـــل اذا اجتيازها فى حالات بعينها بالمراكب الشراعية : وفضلا عن هذا فانالرياح الشمالية الآتية من القطاع الشمالى تسمح لهذه المراكب الشراعيـــة ان تستمر فى الابحار دون توقف وكانت تسير وفقا لسرعة الريح وكانت تحتاج فى الالف الثانى الى الدفة وتنقصها الدعامات الخشبية التى تقوى قاعها ، لذا كانت لا تستطيع مقاومة الضغط الجانبى القوى ولا يمكنهـا القيام بالرحلات البحرية سواء القريبة جدا او البعيدة فى عرض البحـر ولا يمكنها مطلقا أن تبتعد عن مهب الرياح دون أن تتعرض لأخطار الغرق الجسيمة • لقد ساعدت الرياح الشمالية اذا على وجود العـلاقات البحرية بين كريت ومصر •

ولكن هذا الابحار السريع يجب ألا ينسينا أن الملاحة كانتبطبيعتها مؤقتة غير ممكنة الا فى الصيف خلال الفترات التى تهب فيها الرياح الشماليـــة وهذه الرياح لم تكن منتظمة انتظام الرياح الموسمية أو الرياح التجارية كما أنها كانت قوية جدا • حقا انها كانت لا تمنع الملاحة السريعة بـــين كريت ومصر بل كانت تساعدها ـ كما رأينا ـ ولكنها كانت تجعلها خطيرة جدا (ج•سيون J. Sion) • فالانتقال بين كريت ومصر كان خطرا وغير ميسور بسبب الظروف الطبيعية خلال أيام معدودة من السنة لأن الملاحة لم تكن منتظمة •

واذا كانت الرياح الشمالية تيسر فى بعض الحالات الرحلة بين كريت ومصر ولكنها على النقيض كانت تعوق الابحار من مصر الى كريت • لقد وردت الاشارة حقا الى رياح تجارية جنوبية (جلوتز Glotz) ربما كانت تساعد على هذا العبور ، الا أنها كانت مضطربة • ولم يكن فى مقدور أى ملاح لا يملك الا الوسائل التى كانت فى متنـاول القدماء أن يعتمد على هذه الرياح ليقوم بالرحلة من أفريقيا الى ايجه • فالمجـــداف كان الوسيلة الوحيدة للذهاب من الجنوب الى الشـــمال • ولم يكن من الممكن استعماله الا فى الصيف لان عواصف الشتاء الشديدة ودواماتها القصيرة المضطربة واتجاهات الرياح والتيارات التى تخضع لمتـــات من الظروف المحلية كانت تجبر السفن الشراعية على البقاء فى الموانىء وتحتم

على القدماء وضع المراكب فى أحواضها ابتداء من الفصل الردىء ، كما لاحظ ج . سيون ذلك .

وهكذا كان الابحار من مصر الى كريت موقوتا بفصل الصيف . فاذا لم تكن الرياح مواتية كان يتم بالمجداف . واذا ما أخـــــذنا بتقديرات هيرودوت وسكيلاكس Scylax فان مثل هذه الملاحة قد تتطلب من البحارة بسفن العصر القديم سيرا مستمرا لمدة ثلاثة أيام وليلتين . فهل كانت سفن الالفين الثالث والثانى قبل الميلاد ـ سواء أكانت ايجية أو مصرية ـ تستطيع أن تحمل عددا من الملاحين يكفى للقيام بمجهود قـوى مثل هذا ؟ ليس من السهل أن نتصور ذلك .

لذلك اذا راعينا حالة السفن فى العصور الاولى وكره البحارة القدماء للملاحة الليلية فى العصر الاغريقى فلا جدال فى أن السـفر فى البحر الابيض المتوسط لم ييسر كثيرا العلاقات المباشرة بين كريت ومصر .

ولكن الى جانب الطريق المباشر كانت توجد طريقة أخرى للانتقال من مصر الى كريت وبالعكس وذلك عن طريق الشرق . والطريق الوحيد الذى كان آمنا تماما للسفن الصغيرة والصغيرة جـدا هو الذى كان يمر ـ فى الذهاب من كريت الى مصر ـ بكاسوس Kasos وكرباثوس Karpathos حتى رودس وساحل الاناضول ، ثم يتجه الى قبرص ويبلغ ساحل سوريا وفلسطين الذى يسير بحذائه حتى مصر (أنظر الخريطـة رقم ١) ونظرا لانعدام الرياح المنتظمة كان البحار القديم واثقا من وجود مرافق يلجأ اليها ليلا أثناء رحلته اذا ساءت حالة الجو حيث يتمكن من تموين سفينته بالماء . الا أن هذا الطريق كان طويلا جدا ـ فهو يزيد على ١٥٠٠ كيلو متر . واذا تتبعنا ما ينادى به المؤلفون القدماء فهى ملاحة اثنى عشر يوما على الاقل . لاشك أن هوميروس أشار الى طول هذه الرحلة حين وصفها قائلا « ياله من عبور ممل .. » ولم يكن القدماء يلجئون اليـه الا اذا اضطرتهم الى ذلك أسباب خطيرة . ولئن كان من السهل أن نتصور الصعاب التى واجهها الملاحون القدماء فى رحلاتهم ـ واذا كان من الممكن أن نقدر بدقة طول الطريق أمام سفنهم الصغيرة فانه من الصعب جدا أن ندرك الاسباب التى دفعت كريت الى الاتجار مع مصر والعكس . فان التاريخ الاقتصادى للشرق القديم لا يزال يحتاج الى دراسة وبحث وليس من السهل مطلقا أن ننظر الى هذا الموضوع نظرة حديثة .

نحن نعرف منذ أمد طويل أن محاصيل بعينهـــا « وهى فى رأينـــا ضرورية » لم تكن موجودة فى حوض البحر الابيض ، ونعـلم أن البحث عنها كان من العوامل التى حملت القدماء على القيام بالرحلات الطـويلة

الخطرة . ويكفى أن نضرب لذلك مثلا بالقصدير الذى لا غنى عنـه فى صناعة البرونز والذى اعتقد البعض أن الفينيقيين أنشئوا طريقا تجاريا ليحصلوا على هذا المعدن الثمين من أوربا . ولا شك أن الحقيقة أكثر من هذا تعقيدا فلعل مطالب القدماء كانت أقل أهمية ولعل المناجم القديمة التى أهملتها حضارتها الصناعية فيما يبدو ، كانت غنية كافية تسـد حاجة العالم القديم الغير الآهل بالسكان الذى لم يلعب فيه المعدن دورا رئيسيا كالذى يلعبه الان ولذا كان من السهل القول بانمناجم القصدير فى سوريا (بسنج V. Bissing وشيفر F.A. Schaeffer) كانت تكفى لالتمون سوريا وحدها بل ومصر أيضا . أما المعادن الاخرى من ذهب ونحاس ورصاص فتوجد منتشرة فى كل مكان تقريبا فى البحـر الابيض المتوسط ولا تتطلب تنقلات كبيرة ولعل نظام المقايضة بين الناس كان يكفى لسد حاجة المصريين والكريتيين على السواء .

واذا ما أخذنا بفكرة الضرورة الاقتصادية فليس من شـــك فى أن الحاجة الى المعدن قد لاتكفى لتفسير الروابط التى قامت بـين مختلف حضارات الشرق الاوسط . ومع هذا فثمة استثناء على الاقل فيما يتعلق بمصر كان بالنسبة للفضة . فان هذا المعدن كان فى الواقع نادرا جـدا فى مصر حتى أن قيمته هناك كانت ضعف قيمة الذهب ، وهـذا يفسر تهافت الفراعنة على الحصول على هذا المعدن الثمين الذى كان يذكر ضمن الضرائب التى كانوا يفرضونها على الشعوب المغلوبة . وهكذا تصور العلماء وجود صلات تجارية بين مصر واليونان منذ بداية التاريخ اليـــونانى وارجعوا هذه العلاقات الى حاجة المصريين للفضة . فكان التجار الاغريق يستغلون القيمة المرتفعة لهذا المعدن فى مصر فيصدرونه اليها على هيئـة مسكوكات أو سبائك ويشترون به قمح وادى النيل بثمن زهيد ، لينقلوه الى اليونان حيث يبيعونه بسعر مرتفع جدا (ج . ج ميلن J.G. Milne) ولا شك أن العناصر الاساسية التى لاغنى عنها لهذه التجارة المربحـة قد وجدت فى مطلع الالف الثانى . ومنذ ذلـك الحين ، كان المصريون يقدرون الفضة بصفة خاصة .. وكنز تود Töd ينهض دليـلا على ذلك . لقد كان عالم ايجة اذن قادرا على أن يمد المصريين بالفضة سواء باستخراجها مباشرة فى المناجم الموجودة فى بلاد اليونان ، أو بالتوسط بين مصر والمناطق المعدنية البعيدة فى أوروبا أو آسيا الصـغرى ، فنحن اذا أمام احتمالين : اما أن قدماء الاغريق كانوا ينقلون الفضـة الى مصر ، أو أن المصريين فى بحثهم عن هذا المعدن كانوا يذهبـون بأنفسهم حتى حوض بحر ايجة .

وبالمثل اذا نظرنا الى العلاقات التجارية منذ فجر تاريخ الاغريق ، فهل

نستطيع أن نذهب الى أبعد من هذا ونفترض أن قدماء الاغـــريق كانوا يذهبون الى مصر ليحصلوا على الحبوب ؟ لقد واجهنا بالفعل حركة تجارية كهذه للمنتجات الزراعية — ولكن ليس لدينا الادلة الكافية لاثبات ما نقول — فكل بلاد البحر الابيض كانت تنتج كميات وفيرة تسد حاجة الجماعات القليلة التى كانت تسكنها فى العصور الاولى · واهم هذه المحصولات الغذائية هو العنب والزيت والحبوب والخضروات · وكان الصيد وتربية الحيـوانات تزيد من قيمة هذه الموارد ، فليس من المؤكد أن البحث عن الغذاء قـد استوجب تنقلات كثيرة · ولابد أن ننتظر شدة تكاثف السكان فى ايطاليا وخاصة فى روما حتى يمكن تنظيم القوافل التجارية — على نطاق واسـع — لحمل المؤونة السنوية بقصد تغذية الرومان بالقمح ·

(2) ولكن من الافضل أن نتحفظ فى احكامنا · فاذا كانت القوافل الساحليـة كثيرة جدا فى البحر المتوسـط — خصوصا فى سوريا وفلسطين والاناضول — وحتى فى كريت فى العصر الاول — فان الامر على عكس ذلك بالنسبـة لمصر التى كان ينقصها الخشب منذ عهد الاسرات الاولى فكانت مضطرة ان تبحث فى الخارج عن كتل والواح خشبية لا غنى عنها لبناء اسـاطيلها وعمائرها · ولذا حق للبعض أن يظنوا أنها نظمت لهذا الغرض الارساليات البحرية الاولى المصرية على السـاحل اللبنانى ، الا ان الممر الســورى الفلسطينى كان دائما من الناحية السياسية منطقة غير مســـــتقرة ولا مضمونة ، فهو الهدف الطبيعى للغارات الاسيوية ولذا عانت مصر — فى مناسبات كثيرة — صعابا جمة فى تموين نفسها · ومنذ ذلك الحين ، لم يكن من المستحيل أن تحاول مصر فى حالات معينة الحصول على الخشب الذى تحتاج اليه من أى مكان آخر ، خصوصا من كريت ·

وسوف نتبين انه اذا كانت الحاجة الاقتصادية قد لعبت دورا أيـا كان فى اقامة العلاقات بين عالم ايجة ومصر فلا شــك ان حاجة مصر للفضة والخشب هى التى اضطرتها لبدء هذه العلاقات وهذا جانب من المسألة لم يبحث بحثا وافيا ولاتزال الدراسات الحديثة متجهة الى معرفة الدور الرئيسى الذى لعبته البحرية المصرية فى مختلف العصور ، وهـذه البحوث تجعل هذا الرأى مجرد فكرة قد توحى بشىء مفيد (دراسـات كيـس Kees وسيف سودربرج Säve Söderberg

ولا زلنا حتى الان ننظر الى الموضوع نظرة اقتصادية حديثة كما لو كنا نعيش فى القرن العشرين فى نفس الظروف المادية القديمة — فصحراء مصر بين النيل والبحر الاحمر تجود بكمية قليلة جدا من الفضة ونستخرج منها الذهب والرصاص وأنواعا كثيرة من الاحجار ، سواء أحجار البناء أو الاحجار شبه الثمينة . وسيناء التى تقع على بعـد خطوات من مصر

تجود فى نفس الوقت بالنحاس والفيروز · وينتج وادى النيـــل القمح والذرة البيضاء والكروم والخضر والزيتون بوفرة · كما تربى الماشية التى تلائمها المراعى الطبيعية على ضفتى النهر الواسعتين منـذ القدم ، ولاشك أنها كانت اكثر اتساعا من الوقت الحاضر · وفى الصيد وخاصة الصيد المائى — كان النيل أحد المجارى لمرور الطيور المهاجرة هذا بالاضافة الى كثرة اسماكه — فقد كان غنيا بها ويقدم ثروة غذائية لايمكن اغفالها وفيما عدا فترات القحط النادرة التى يسببها انخفاض فيضان النيـل فان مصر كانت تكفى نفسها بنفسها الى حد كبير · ولم ينقصهـــا الا الخشب والفضة · ونحن نعتقد أن هاتين المادتين هما اللتان كانت مصر تحاول البحث عنهما ·

ولكننا اذا فكرنا بهذه الطريقة فاننا نخدع أنفسنا خداعا خطيرا عندما نعتقد أن احتياجاتنا الراهنة هى نفس احتياجات العالم القديم · ومع هذا فهناك أدلة على أن الحالة لم تكن كما نعتقد ، ذلك أن المصريين أرسلوا فى كل العصور فى الدولة القديمة والوسطى والحديثة بعثاتهم التجارية فى البحر الاحمر الى بلاد بونت البعيدة ، بقصد الحصول على نوع خاص من البخور فقط ، كانوا يحتاجون اليه فى الطقوس الدينية / كذلك واحات صـــحراء ليبيا التى تنتج محصولات زراعية تشبه محصولات الوادى ، كانت على علاقة تجارية دائمة بمصر النيلية ، ذلك لان أداء الطقوس الدينية كان يتطلب بعض العقاقير والخمر والزيت وغيرها وكانت لابد أن تستورد من الواحات دون سواها من الاماكن . فحاجة القدماء اذن تختلف عن حاجتنا نحن ، فبعض المنتجات التى قد نميل الى اعتبارها كمالية ربما تبدو بالنسبة لهم ذات أهمية حيوية · وهكذا تتضح لنا صعوبة المشكلة ، لاننا غير مطمئنين لما لدينا من معلومات ناقصة عنها · فهل كانت مصر وكريت فى حاجة الى منتجات لم تكن تستطيع احداها الحصول عليها الا من الاخرى ؟

وقد كان التفكير فى نوع من الفخار (اوبسيدين Obsidienne) يبدو أن مصر لم تكن تملكه فى باطن أرضها وكان يوجد فى جزر الارخبيــــل اليونانى وخاصة فى ميلوس · ومع هذا فالفخار كثير الاستعمال فى مصر لصناعة الآنية والتماثيل ، فهل كان استعمال هذا النوع من الفخار يعزى الى ضرورة دينية أو سحرية ؟

لقد اعترض البعض لان الفخار الذى استعمل فى مصر ظهر بالتحليـل الكيماوى أن أصله من أرمينيا لامن ايجه (لوكاس A. Lucas) ولـكن هذا الاعتراض يعتمد على أن نوع المعادن فى وقتنا الحالى لايختلف عما كان فى العالم القديم — وهذا أمر غير مقطوع به — ومن ناحية أخرى اذا كان المصريون قد استطاعوا منذ الأسرات الاولى الحصول على فخار أرمينيا ولا ندرى كيف،

فلا شك أنهم بالتالى كانوا يقدرون على تنظيم حركة تجارية مع مناطق كان من اليسير عليهم الوصول اليها مثل كريت ·

مالا نعلمه عن المشكلة :

اذا من الصعب بل من المستحيل أن ندرك كافة الاسباب الجوهريه التى دفعت الايجيين والمصريين الى انشاء علاقات فيما بينهم ، وليس هذا كل مانجهل عندما نتناول بحث العلاقات التى ربطت بين الشعبين ·

فالعلاقات بين كريت ومصر وهى علاقات بحرية بالضرورة تتطلب مراكب تمخر عباب البحر ، ولكن معلوماتنا عن عمارة السفن لاتزال ناقصة وتواجه صعابا كثيرة ، فالمراكب القديمة ليست معروفة لنا — فى أغلب الاحيان — الا عن طريق صور تخطيطيه صغيرة جـــدا ، ومن الصعب أن نفسر بدقة كل التفاصيل التى نلاحظها فيها ، خصوصـــا وأن الصورة لاتعطى الا المظهر الخارجى للسفينة ، أما المعدات الداخلية فلا تظهر فى الصورة · حقا ان لدينا بعض نماذج للسفن القديمة ، فبعضها مصرى من الخشب وبعضها سورى وفلسطينى من الخزف · الا ان هذه النماذج وخاصة الخزفية لم تكن مثل نماذجنا الحديثة المصغرة التى تركب كل أجزائها وفقا لنسبة فى قياس الرســم ، فالصانع الذى صنعها قد اكتفى باعطائها الصورة العامة فحسب دون أن يبين انتاج الاجزاء التفصيلية ، فترتب على ذلك أن مسائل هامة مازالت موضع جدل مستمر · مثال ذلك معرفة ما اذا كان لسفن الشرق القديم اخشاب حقيقية فى القاع ، ومع هذا فنحن أعرف باهمية هذه الحقيقة بالنسبة للسفن التى تضرب فى عرض البحر ، فالسفينة التى لايبطن قاعها بالخشب تستطيع بمشقة أن تتحمل حالات الضغط الجانبى للرياح دون أن تنقلب ، فهى اذا مضطرة الى أن تتابع سيرها مادامت الرياح تهب من خلفها وتدفعها الى الامام · ومع ذلك فانها كانت لاتستطيع أن تجتاز فى أحسن الظروف البحرية الموج العالى وبعبارة أخرى كان من الصعب عليها أن تخوض فى أعلى البحر لمدة طويلة وفى اتجاه معين دون أن تضطر الى التعطل ، مالم تأت الرياح من القطاع الخلفى ، وفى هذه الحالة كانت تواصل السير بالمجداف · ولقد لوحظ أن سفن أعالى البحار المصرية على الاقل ، وأحسن ماعرف منها ، لم تكن سفنا بمعنى الكلمة · لقد كانت مزودة بمجاديف كثيرة ، الا أن هذه كانت فيما يبدو معدة لتسهيل عملية الرسو على الشاطىء لا للملاحة المعتادة ، كما أن طولها لايكفى بجلاء لملاحة منتظمة فى أعلى البحر (بوريه Ch. Boreux)

هل ينبغى أن نستنتج من هذه الملاحظة أنه كان من المستحيل على السفينة المصرية القديمة أن تقطع الطريق مباشرة من مصر الى كريت دون أن تكون الرياح على الدوام مؤاتية ؟ ان الاجابة فى الحقيقة معقدة جدا مادمنا نجهل —

ان كانت مراكب اعالى البحار مزودة بالمجداف ، وان كان الملاحون يسيرون مراكبهم بخفة ، فوجود مجداف وسهولة الابحار بسفنهم تدعو الى احتمال حدوث كل الرحلات البحرية فى البحر الابيض المتوسط · وهذا يؤكد لنا ان المصريين قاموا فى قديم الزمان برحلات بحرية طويلة فى البحر الاحمر حيث ظروف الملاحة لاتفضل بكثير الملاحة فى البحر الابيض ، فكل ماكان يحققه الملاحون بذهابهم الى بلاد الجزيرة العربية كانوا يستطيعون تحقيقه فى البحر الابيض المتوسط ·

نرى من ذلك أنه اذا كانت معلوماتنا عن فن بناء السفن والملاحة فى العصر الاول لاتزال غير مؤكدة فان هذا لايمنعنا من الاعتراف من الآن بأنه كان من الممكن القيام برحلات بحرية طويلة الى حدما · ومهما يكن من أمر فســوف نعترف بأن الملاحين القدماء مهما بلغت جرأتهم ، كانوا يفضلون ولا شــك الاقتراب من الساحل على الملاحة فى عرض البحر لما فيها من أخطار ، ولكنا بعدئذ نصطدم بصعوبات أخرى معقدة · فاذا كانت احدى المراسى الممكنة فى طريق الشرق من مصر الى كريت وهى بوبلوس(١) معروفة تمام المعرفة فالحال ليس كذلك بالنسبة لكل نقط الانتظار · ولقد بدأت الاكتشافات التى عثرنا عليها فى رأس شمرة تلقى ضوءا جديدا على مشكلة الملاحة يتضح يوما بعد يوم · أمـــا قبرص ورودس فعـــلى العكس لاتزالان مجهولتين من الناحية الاثرية فى العصور الاولى · وساحل الاناضــول ليس معروفا على الاطلاق حتى أنه من الصعب أن نعرف أهمية أو انتظام حركة المواصلات فى الطريق الشرقى · والحال كذلك أيضا بالنسبة للطريق الغربى « أنظر الخريطة (١) » وهو ملائم تقريبا للبحارة القدماء ملائمة الطريق الشرقى · كما انه أقصر منه الى حد بعيد ولا يهتم بالكلام عنه أحـــــد ، ذلك لان الساحل الافريقى من برقة الى دلتا النيل لم يكتشف من الناحية الاثرية فى المستويات التى تتصل بعصر البرونز القديم والاوسط ، ولذلك لانستطيع أن نعرف ما اذا كان الملاحون ترددوا عليه أو احتلوه فى هذه العصور · ونحن نجهل أيضا كل شىء عن تنظيم التجارة الخارجية سواء من الجانب المصرى أو الايجى · ولئن كان لدينا فى مصر ما يثبت أن السوريين قد جاءوا يشتغلون بالتجارة على ضفاف النيل فليس لدينا من الآثار مايدل على ذلك فى حالة التجار الايجيين ، لان المصادر الاثرية ســـواء الكريتية منها أو الموكينيــة لا تعطينــا اية معلومات فى هــذا الصــدد . بل ان

(١) Bublos كما سماها الاغريق وهى جبيل الحالية على الساحل اللبنانى (المترجم)

معرفتنا بالتجارة المصرية ذاتها رغم وفرة الوثائق لا تزال محدودة . ومع هذا فلا بد وأن نستبعد احتمال وجود أعمال تجارية قام بهـا أفراد لأن الرحلة الطويلة من كريت لايمكن أن تتم الا بوسائل مادية قوية . وليس فى المصادر التاريخية القديمة ما يشير الى وجود تجار كبار أو (اتحادات للتجار) فحركة التجارة لا بد أنها كانت فى الاصل من أعمال الملوك بل ربما كانت بمثابة مشروعات تنظمها المعابد كمـا تدل على ذلك القـصة المشهورة لأون آمون. لان المعابدكانت تمتلك من الثروات ما يقارن بثروات الملوك ، ولانها كانت تملك ضياعا واسعة فى فلسطين وسوريا . وتعوزنا أيضا المعلومات عن التنظيم المادى للرحلات التجارية . وليس فى جهلنا بهذه الحقائق ما يدعو للعجب لان هذا يعزى الى نفس المصادر التى تساعد على دراسة العلاقات بين ايجه ومصر ، سـواء منها ما يتـعلق بالكتابة أو بالآثار . ويضاف الى كل هذه الصعوبات ترددنا فى تأكيـد الحقائق الذى يرجع الى عدم وجود تاريخ ثابت ، مقطوع به فيما يختص بالعصور الاولى للحضارة الموكينية . وتبعا لذلك ، فمن المستحيل أن نحـدد ولو بطريقة تقريبية الزمن الذى يستغرقه شخص ما ليصل من كريت الى مصر وبالعكس . ومع كل فمن الممكن بفضل هذه التقديرات أن نتبين بوضوح ودقة مدى اطراد العلاقات بين البلدين .

عناصر الحل :

عندما نتعرض لدراسة العلاقات بين بلدين معينين فى التاريخ الحديث والى حد ما فى التاريخ القديم يكون فى متناول أيدينا وثائق معينة وهى معاهدات جغرافية أو تاريخية عقدها حكام هـذين البـلدين ، ووثائق اقتصادية وعقود وأوراق رسمية .. الخ . ولكن لسوء الحـظ ليس من ذلك شيء فى المسألة التى نحن بصددها . أما من ناحية اللغة والكتـابة المينوية فلا تزالان مجرد حروف ميتة بالنسبة لنا (١) . وأما من ناحية الوثائق المصرية المكتوبة فهى من طبيعة خاصة جدا . ومصر القديمة لم تحتفظ لنا بمؤلفات مثل أعمال هيرودوت أو ديودور أو استرابون . بل لعلهـا لم تعرف من قبل مثل هذه المؤلفات . ومع كثرة الآثار الادبية التى سمعنا بوجودها دون أن تصل الينا فان مانعرفه منها لايسـمح بأن نؤكد انه كانت لاتوجد قط آثار تاريخية أو جغرافية لدى المصريين . ان وجـود مجموعة مانيتون تشير الى وجود سجـلات سنوية على الاقـل فى عصر البطالمة ، ان لم توجد مؤلفات تاريخية بالمعنى الذى نفهمـه . وهـذه السجلات ربما كانت فى صورة «كتاب الملوك العبرى» أو الملك «شوكنج»

(١) ظهرت أخيرا جدا محاولات لحل تلك الكتابة كللت بالنجاح (المترجم)

الصينى ، وكذلك أوراق البردى التى نشرها حديثا جاردنر تثبت بدورها أن الجغرافية — الوصفية على الاقل — لم تكن غـير معروفة للمصريين . ولكن لسوء الحظ ضاعت هذه الكتب أو وصلتنا فى حالة سيئة جدا ، حتى أنها أصبحت من الناحية العملية لاتفيدنا فى دراسة العلاقات الايجية المصرية .

كما أن الوثائق الاقتصادية المكتوبة تنقصنا أيضا . حقا لقد وجدت عقود خاصة عديدة ينسب معظمها الى العصر الثانى ، وتشير الى مبـادلات بين الافراد ، ولا تذكر أى علاقات خارجية . ولم نعثر حتى الان — ان كان لذلك وجود — على ما يشبهه فى مصر وسائل تل العـمارنة المسمارية . والوثائق الكتابية المصرية الوحيدة التى يمكن الاستفادة منها فى دراسة العلاقات بين العالم الايجى والمصرى ترجع أما الى نصوص جنائزية خاصة تهدف الى الاشادة بمظهر من مظاهر حياة موظف أو الى صور محفورة على جدران المعابد لتظهر قوة فرعون والالوهية التى تحيـط به . ونظن أن نصوصا هذه طبيعتها لا يمكن أن تستخدم ، كمراجـع تاريخية ، بنفس الطريقة التى تستخدم بها الوثائق والسجلات والنصوص المتصـلة التى خلفها المؤرخون والجغرافيون اليونان . فلا عجب ان بقينا فى شـك مؤسف تماما حتى أن الاسماء ذاتها التى استحدثت للتعبـير عن قدماء اليونان باللغة المصرية ما زالت غير معروفة .

ولقد ساد الاعتقاد طويلا بان كلمة (حاونيبوت) كانت تدل فى الدولة القديمة على هذه الشعوب . وقد حاولنا أن نثبت خطأ هذا ولا زلنا نؤمن بهـذا الخطأ . وكان البعض يعتقـد أن كلمة (كفتيو) تعنى (كريت) ولم يبق الا هذا التعبير « الجزر التى فى وسط البحر » الذى يتفق جميع العلماء على أنه يشير الى العالم الايجى .

يتبين لنا من ذلك أن دراسة النصوص المصرية وحدها مهـما كانت اهميتها ، لاتسمح بحل رموز مشكلة العلاقات الايجيـة المصرية حـلا واضحا . ولكى نصل الى هذا الحل يجب استخدام منهج المقابلة الدقيقة لكل المصادر التى بين يدينا . فالمصادر الاثرية تسمح لحسن الحـظ فى كثير من الحالات بتكملة المعلومات التى تحتوى عليها المصادر الكتابية . والمصادر الاثرية نوعان : مصرية وجدت فى كريت ، كريتية أو موكينيـة وجدت فى مصر . وهناك أيضا رسوم لبعض الاجانب فى القبور المصرية ويقابلها صور مينوية على الجدران . وهذا النوع الاخير من المصادر بلا أدنى شك أنفسها وأقيمها . ولا ريب أنه يساعدنا مساعدة كبـيرة فى حل كثير من المشاكل .

والآن نستطيع اذا بالجمع بين هذه المصادر المختلفة كتابية وأثرية ، أن نكون فكرة عن الروابط التى جمعت بين المصريين وقدماء الاغريق .

الفصل الثانى

العلاقات بين مصر وكريت فى الدولة القديمة

لقد ظن عالم الآثار الانجليزى السير آرثر ايفانس وتبعه علماء عديدون ان تأثير افريقيا (المصريين والليبيين) على كريت قد حدث منذ زمن طويل ، اى منذ بداية الحضارة المينوية . والوقائع التى استند اليها او كان من الممكن ان يستند اليها لتأييد هذا الرأى يمكن تصنيفها فى ثلاث مجموعات متميزة هى :

١ ـ حقائق تتصل بالحضارة من الناحية الأثرية لوحظت فى وقت واحد فى كريت وفى العالم المصرى الليبى لعصر ما قبل الأسرات وبداية الأسرات (آخر الألف الرابع ومطلع الألف الثالث قبل الميلاد) ويرى بعض علماء الآثار انه لا يمكن تفسير هذه الحقائق الا بالهجرة من افريقيا الى كريت .

٢ ـ وجود نصوص فى مصر منذ عهد الدولة القديمة تشير الى سكان ايجة

٣ ـ وجود اوانى حجرية صلبة فى كريت مصنوعة على غرار الأوانى المصرية .

وسوف نتناول بالبحث هذه المظاهر الواحد بعد الآخر ، ولكنا قبل ذلك نود ان نوجه الأنظار الى فجوة خطيرة فى معلوماتنا ، فجوة تجعل اية مناقشة بين كريت والعالم الخارجى فى تلك الفترة صعبة الى اقصى حد . نشير بهذا الى تشككنا فى تاريخ العصر المينوى القديم . فان هذا التاريخ يعتمد فى الحقيقة على توافق مع العصور المصرية . ولكن الفترة الوحيدة فى هذا العصر التى لها قيمة ترجع الى النصف الثانى من الألف الثالث (بعد ٢٤٠٠ ق.م.) وتسمح بان نحدد تاريخ العصر المينوى القديم الثانى بالفترة ما بين ٢٤٠٠ و ٢١٠٠ وهى فترة تقابلها فى مصر النهاية القصوى للدولة القديمة (الاسرة السادسة) وعهد الاقطاع الاول .

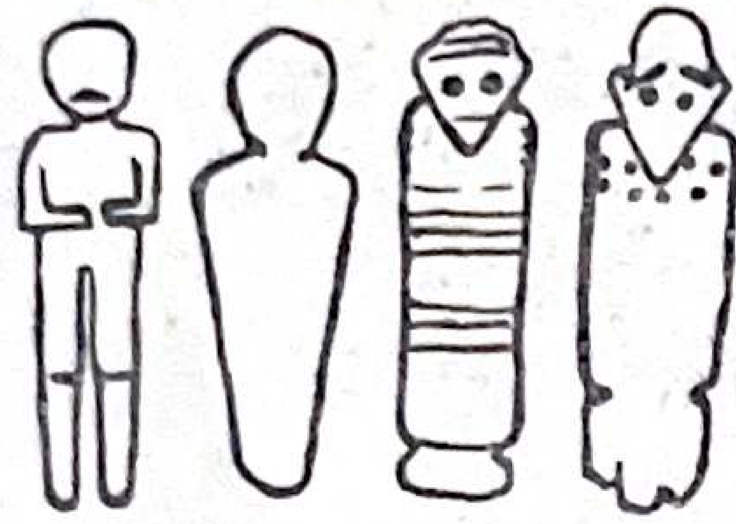
فالعصر المينوى القديم الاول يرجع اذا الى الفترة ما بين ٣٠٠٠ قبل الميلاد (آخر العصر الحجرى الحديث) و ٢٤٠٠ ق.م . وقد يطابق الأسرات المصرية الاولى والجزء الاعظم من الدولة القديمة بمعناها الصحيح (الأسرات ٣ و ٤ و ٥ حتى ٦) ولهذا اهمية كبرى لانه اذا كان رأى ايفانس سديدا فيما يتعلق بالتأثير المصرى الليبى على ايجه ،

فلابد وان العلاقات بين مصر وكريت قد بدأت فى العصر الحجرى الحديث او بعد ذلك قبل بداية الأسرة الثالثة (حوالى ٢٦٠٠) ومنذ ذلك التاريخ أصبح من المستحيل وجود حضارة مصرية ليبية مشتركة

الاستعمار المصرى الليبى المزعوم لكريت الوسطى

فى العصر المينوى القديم

كان ايفانس ـ كما سبق ان بينا ـ اول من افترض ان العلاقات بين افريقيا وكريت قد توقفت منذ عصر متاخر جدا ـ ربما منذ العصر الحجرى الحديث ، وبالتأكيد المينوى القديم . ويدعم هذا الفرض اولا وقبل كل شىء ظاهرة وجود بعض التماثيل التى عثر عليها فى (مسرة) بكريت وفكرة بعض المقابر المستديرة التى عثر عليها فى نفس المنطقة . اما التماثيل فهى تقرب من التماثيل المصرية الصغيرة ، واما المدافن فمن الآثار الليبية ذات الفكرة المناظرة . ومع هذا فان هذه



مصر كريت

شكل (١)

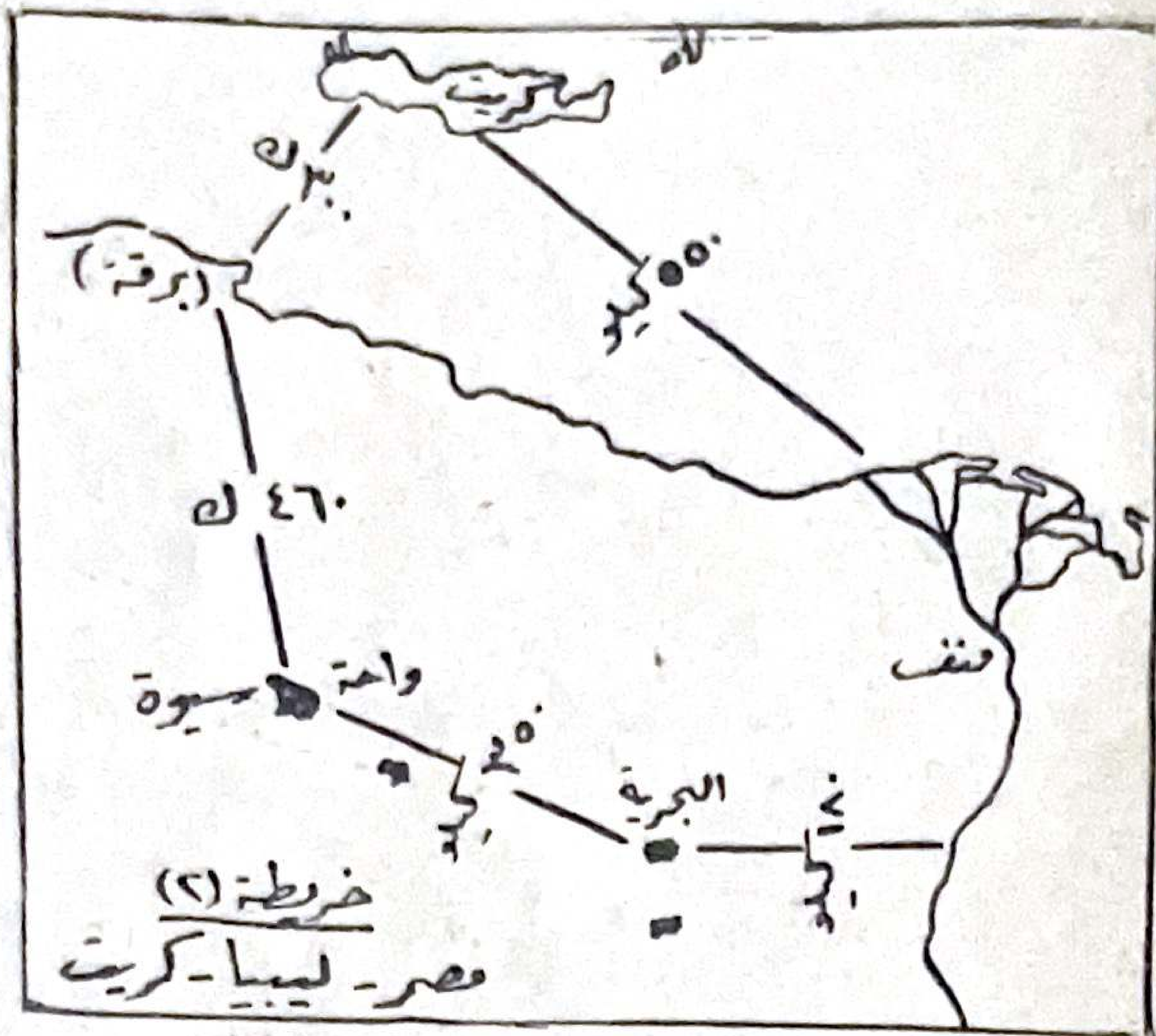
الادلة ليست فى ذاتها قاطعة . فتماثيل العصر المينوى القديم تذكرنا ببعض التماثيل الصغيرة التى ترجع الى ما قبل الاسرات (انظر شكل ١) وهى ليست مطابقة لها . اذا لا نستطيع ان نفكر فى استيرادها مباشرة. والحال كذلك بالنسبة لفكرة المقابر المستديرة . وقد اعترف بعض المؤرخين (ايفانس وبندلبرى وشاخرماير) الذين يقرون هذه الفوارق الرئيسية ، اعترفوا رغم هذا بالتوافق فى التفكير وبنوع من التماثل الثقافى يرجع فى رأيهم الى وجود بعض الجماعات من الجنسين المصرى والليبى فى مسرة .

واذا ما تابعنا هؤلاء المؤلفين فان شعبا ليبيا مصريا يكون اذا فى

عصر متقدم جدا قد عبر البحر الابيض ليحتل كريت – ونلاحظ اولا ان الحضارة الليبية فى العصر المتقدم لم تعرف الا عن طريق الوثائق المصرية المصورة ، وان وجود ثقافة مصرية ليبية بالذات فرض لا يمكن التحقق منه . وقد نكون اكثر دقة من غير شك ان نتكلم – فى العصر التاريخى – عن شعب مصرى من غرب الدلتا تسللت اليه بعض عناصر من الجنس الليبى ، او – على اسوا الفروض – عن شعوب ليبية فى الشرق تمصرت بعض الشئ . فهل من الممكن ان تكون هذه العناصر من الجنسين قد هاجرت عن طريق البحر فى العصر الأول ؟

ليس ثمة شك فى انه فى لحظات مختلفة من التاريخ هجر بعض المصريين وطنهم . وليس من المستحيل اذا ان نتصور ان هذه كانت الحالة فى تاريخ قديم جدا ، وان كنا لا نتبين ماذا عسى أن يكون السبب فى هجرة كهذه . نغرب الدلتا وشرق ليبيا كانا فيما يبدو غير ماهولين بالسكان فى العصر القديم . وحتى لو فرضنا انه كان ثمة هجرة كهذه فهل من المحتمل انها بعبورها البحر الأبيض قد استطاعت أن تصل الى كريت ! اننا اليوم لا نعتقد فى ذلك كثيرا ، ويبدو اننا محقون فيما نقول، بالرغم من ان بعض النقاد قد نادوا من جديد بهذه النظرية (شاخرماير)

فالحق ان الطريق العادى بالنسبة للمصرى المنفى الذى يهجروادى النيل هو برزخ السويس ، كما بينت ذلك بوضوح (مغامرات سنوحى). فانه لما وجد نفسه على الحافة الغربية للدلتا حيث كان قد اشترك فى عمليات حربية ضد الليبيين ، لم يفكر لحظة ان يلتجىء الى ليبيا ، حيث كان يوجد ثوار ضد بلاده ، بل فضل ان يعبر الدلتا بكل عرضها مع ما فى ذلك من مغامرة لاحتمال القبض عليه دون انيواجه صحراء ليبيا. وهذا الاتجاه المصرى الخالص يمكن فهمه بسهولة . فالحق انالمهاجرين او الهاربين عندما يتركون وادى النيل او ضفافه الملاصقة – كما هو الحال فى الشعوب الليبية المصرية – كان عليهم أن يجتازوا ما يقرب من ثمانمائة كيلومتر من الصحراء لكى يصلوا الى ساحل برقه (كورنيكا « انظر الخريطة ٢ ») وهى المنطقة الوحيدة التى يمكن سكناها فى هذا الاتجاه ، فيما عدا مجموعة الواحات الليبية المحدودة جدا . وتتطلب مثل هذه الرحلة فى حالة انعدام الآبار مئونة كبيرة من الماء . وهذا الماء كان لا ينقل فى العصر القديم الا على ظهور الحمير ، ذلك لان الجمل لم يكن قد استخدم بعد فى الاراضى الصحراوية . فانتقال الشعوب من المناطق الليبية المتاخمة لمصر كان فى صورة حملة حقيقية تتمخض عن متاعب لا جدال فيها . اذ كان يتحتم على هذه الشعوب اما أن ترحل مباشرة من اول غرب الدلتا – وكان عليهم حينئذ ان يعبروا ما يقرب من ٦٠٠ كيلومتر فى عرض البحر لكى يصلوا الى كريت فى منطقة رياح



خريطة (٢)
مصر - ليبيا - كريت

مضادة واما ان ينتقلوا نحو الغرب ولا يحاولوا العبور الاعند بروز برقه وميزة هذا الطريق انقاص الرحلة البحرية الى النصف . ولو انه كان يتطلب عبورا لا نهاية له خلالالصحراء الليبية قد تسهله الواحات البحرية وواحة سيوه ، اذاحكمنا على ذلك منحالة الارهاق الشديد الذى كانت تصل اليه القوافل المصرية فى القرن الماضى عند بلوغها سيوه (كايو) . حقا من الممكن القول بان المهاجرين المذكورين لم يكونوا مصريين اوليبيين مصريين من الصحراء القريبة من مصر ، ولكن ليبيين غربيين من سكان برقه تأثروا الى حد ما بالمصريين . وهذا مجرد فرض لاننا لا نعلم شيئا عن شعب برقه فى الألف الثانى قبل الميلاد ،ولا عن التأثير المصرى، وهل كان من الممكن ان يكون بعيدا الى هذا الحد . وهل كانت القبائل ذاتها – ان كان هناك قبائل – ليبية .

فنحن نرى ان افتراض هجرة مصرية او حتى ليبية متمصرة الى كريت – فى العصر الأول – تصطدم بمشكلة امكانيات النقل الخطيرة . اذ اننا لا نعلم شيئا عن الانشاءات البحرية المصرية الليبية فيما قبل الأسرات بل وفى الأسرات الأولى . وازاء هذه الصعوبات هل الادلة التى قدمتها بعض مظاهر الحضارة بين شمال شرقى افريقية وكريت فى عصر البرونز القديم ادلة مقنعة تماما ؟

فترة العورة (١) التى كان يلبسها سكان مصر فيما قبل الأسرات والليبيون فى وقت معاصر للدولة القديمة ، والكريتيون فى العصر المينوى الوسيط . هذا اللباس ليس مقياسا سليما فقد قرر علماء الانثولوجيا (٢) ان هذا النوع من زى الرجال كان يوجد فى حضارات متعددة مستقلة بعضها عن بعض (لروا جوران Leroi Gourhan) والحال كذلك بالنسبة للقوس البسيط وطرف السهم ذى السلاح المستقيم فهى مشتركة بصفة قاطعة بين مصر وليبيا وكريت ولكنها توجد ايضا فى افريقيا الوسطى وفى الشرق الأقصى وامريكا (لرواجوران) . وبالمثل حاول البعض ايجاد شبه بين البلطة المزدوجة فى كريت والبلطه ذات الحدين فى مصر . ففى وادى النيل كان هذا السلاح يستعمل فى عصر ما قبل الاسرات . ومن ثم نلمس الصعوبة الرئيسية التى تقف فى سبيل الفروض المتقدمة عن العلاقات بين كريت وشمال افريقيا فى العصر الاول .

وكل الظواهر السابقة : وجود النقبه والمقابر المستديرة واستعمال القوس البسيط والبلطه ذات الحدين ... الخ لم يتحقق وجودها فى مصر الا فى عصر الأسرات الاولى او بالنسبة لبعضها على ابعد تقدير قبل الأسرة الثالثة (نهاية الألف الرابع او أول الثالث) بينما هذه الظواهر ذاتها لم تلاحظ فى كريت — اول ما لوحظت — الا فى العصر المينوى القديم الثانى ، او فى الأغلب — فى المينوى الاوسط (نهاية الألف الثالث وبداية الثانى) . فهناك اذا تأخر فى الزمن لاربعة قرون على الاقل وربما لخمسة او ستة بين وجود المعالم الأثرية التى تقوى هذا الفرض فى مصر وفى ليبيا ، وبين تاريخ ظهور هذه المعالم ذاتها فى كريت

ولكى يمكن الخلاص من هذه المشكلة الرئيسية اقترح بعضهم الاعتراف بان المعالم المفروض انها نقلت من مصر الى كريت فيما قبل الأسرات وعصر بداية الأسرات ، كانت تقوم فى الواقع فى غرب الدلتا حتى عصر الاسرات (فرانكفورت وبندلبرى) الا أن هذا التفسير مهما تكن وجاهته يصطدم ايضا ببعض الاعتراضات : فمن ناحية ، كل المعالم المشار اليها لم تكن موجودة فى الدلتا ولئن كانت النقبه قد لوحظت فيها فى عصر الأسرات لكن البلطه ذات الحدين كانت قد اختفت منها منذ زمن طويل . ومن ناحية اخرى ، لكى نأخذ بهذا التفسير ، يجب علينا الاعتراف بأن شعوب الدلتا لم يكونوا لينقلوا الى كريت الا صورا لبقايا الحضارة

(١) وتسمى الازرار والنقبة والمجول حسب تطور الازياء قديما (المترجم)

(٢) الذين يدرسون الاجناس البشرية وصفاتها وعلاقاتها ببعضها (المترجم)

القديمة بينما كانت هذه الشعوب نفسها قد اقتبست حضارة عصر الأسرات .

وعلى هذا فان افتراض علاقات مباشرة بين كريت والعالم المصرى الليبى فى العصر الاول يصطدم بصعوبات لا يمكن التغلب عليها من الناحية العملية . فاحتمال وجود روابط مادية بالملاحة بين الساحل الافريقى وكريت ما زال يعوزه الدليل بل لا يمكن التدليل عليه . كما ان قوام الحضارة المصرية الليبية الذى تفرضه بالضرورة الظاهرة المشار اليها (عناصر الزى والاسلحة والمقابر) لم يوجد الا فى عصر ما قبل الأسرات اى فى فترة تسبق بوضوح التواريخ التى يمكن ان ننسبها عقلا للعصر المينوى القديم الثانى ، وهى الفترة التى تبدأ فيها هذه المعالم بالظهور فى كريت . ولابد اذا من الاعتراف بأن هذه الظواهر المقارنة ليست مبتكرة اى انها من وحى الطبيعة ، وجدت فى حضارات مختلفة وليست وليدة استعارة احدى المجتمعات ، او الاعتراف ان كان هناك ثمة تأثير ، بانه قد جاء عن مركز مختلف عن العصر الحجرى الحديث .

مشكلة حاونيبوت

والى جانب الملاحظات الأثرية التى أتينا على ذكرها ، لاثبات حقيقة العلاقات بين كريت ومصر منذ العصر المينوى القديم الاول ، يشير البعض الى وجود الكلمة المصرية (حاونيبوت) التى كان لها المعنى الدقيق (سكان جزر بحرايجه) فمن الواضح انه اذا كانت هذه الترجمة صحيحة ، فان مجرد وجود كلمة حاونيبوت فى النصوص المصرية فى عصر الدولة القديمة يدلل على حقيقة الروابط بين المصريين وقدماء الاغريق فى ذلك العصر .

وندين الى المدرسة الألمانية لفقه اللغة فى تفسير التعبير المصرى (حاونيبوت) بكلمة الايجيين . ويستند هذا التفسير فقط على ترادف لا نزاع فيه بين كلمتى حاونيبوت وهلينيين فى نصوص البطالمة الادارية الأثرية . ولكن الاستدلال بهذه الطريقة يثير صعوبتين : فمن ناحية ،كان كتبة البطالمة كثيرا ما يخطئون فى الاسماء الجغرافية القديمة ومن امثلة هذا ، ربطهم كلمتى كفتيو وفينيقيا . ولهذا استطاع ماسبيرو أن يذكر فى شيء من الطرافة ان السبب الاساسى لعدم قبول ترادف اسم هذا البلد (كفيتو) مع كلمة فينيقيا هو أن الكتبة المصريين فى عصر البطالمة هم الذين قاموا به . وان هؤلاء الكتبة (كانوا لا يعرفون ما يفعلون) . وهناك أسباب أخرى اقوى من ذلك لرفض هذا الترادف . ولكن اذا بالفنا وسلمنا بأن كتاب البطالمة (كانوا لا يعرفون ما يفعلون) فلا اقل من

ان نسلم بانهم كانوا لا يفهمون دائما معنى الكلمات الجغرافية القديمة فالخطا الذى ارتكبوه فى كلمة (كفتيو) يمكن ان يرتكبوه بالنسبة لكلمة (حاونيبوت) . ومثل هذا ما فى النصوص الديموطيقية من ان كلمة (هلينيين) اليونانية لا تقابلها قط كلمة حاونيبوت بل تترجم بكلمة (وينن – Wynn) وهو المعنى المصرى لايونيين

وصعوبة اخرى لم يقف العلماء عندها طويلا هى انه اذا قبلنا الترادف المزدوج بين حاونيبوت وهلينيين وايجيين ، فمعنى هذا اننا نعترف بأن هذه الكلمة قد احتفظت بنفس المعنى من اول التاريخ المصرى الى آخره ، اى خلال ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة . ولكننا نعرف ان الكلمات الجغرافية تميل الى ان تتغير معانيها خلال العصور (قارن كلمة انديز الفرنسية)

واللغة المصرية شأنها شأن سائر اللغات ، قد عرفت كلمات من هذا النوع ذات مدلول متغير مع العصور . فمن المستحيل اذا ان نتقدم بغير دليل على ثبات اسم جغرافى . وينبغى لكى نقبل ثبات معنى كلمة (حاونيبوت) منذ الأسرة الرابعة حتى العصر الاغريقى التدليل على انه لم يوجد تطور خلال القرون . وبعبارة اخرى ان هذه الكلمة كانت تعنى دائما فى الوثائق التى كانت تظهر فيها (سكان جزر بحر ايجه) . وهذا احتمال لا مفر منه اذا كان المصريون قد رمزوا بكلمة واحدة (حاونيبوت) للاغريق والمينويين ، وهما شعبان مختلفان فى الجنس والعادات والمظهر الخارجى واللغة . ولم يكن بينهما شىء مشترك فى الواقع الا الوطن . ذلك لان هذه الكلمة كانت تعنى هذا الوطن – بمعنى انها فى اساسها اسم جغرافى وليس سكانى . وان المصريين كانوا يستطيعون ان يحددوا موقع الدولة التى يشيرون اليها تحديدا تاما ليعرفوا ان الهيلينيين الذين وفدوا مع الغزو المقدونى كانوا يسكنون نفس الاقليم الذى كان يشغله من قبل المينويون ثم الموكينيون . ولكن لا يوجد مثل واحد من الامثلة القديمة لكلمة حاونيبوت التى استطعنا جمعها – وهى تزيد على المائة – يدخل فى نص واضح وضوحا تاما ، يثبت ان التعبير حاونيبوت يدل على بلد بعينه ،وبالتالى فمن المستحيل اثبات ان هذه الكلمة قد دلت قديما على العالم الايجى . فالكلمة مستعملة دائما فى نصوص عامة جدا واحيانا فى نصوص خرافية ، ولم تستعمل قط فى نصوص دقيقة تتعرض لعلاقات طيبة او سيئة بين مصر والبلاد الاجنبية المجاورة او البعيدة .

ولقد تعرضنا مرتين لدراسة معنى هذه الكلمة ومعرفة دلالتها . والمجال لا يتسع هنا كى نتناول بالتفصيل ما سبق عرضه ، وسنكتفى بتلخيصه فى ايجاز :

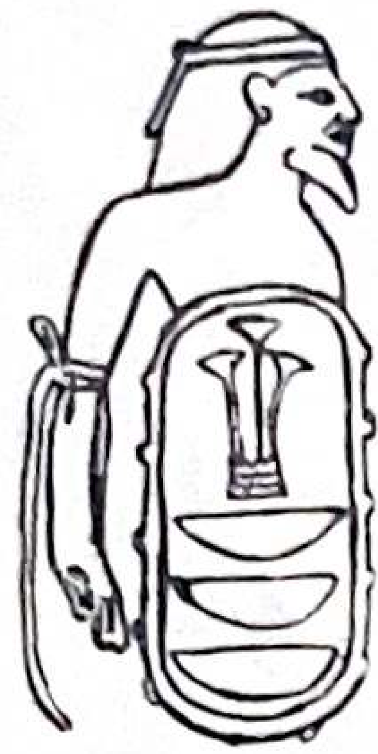
ثمة حقيقة جوهرية تتحكم فى المشكلة ،وهى قدم هذه الكلمة الضارب فقد استعملت فيما يبدو قبل الأسرات . وعلى كل حال فهى موجودة فى النصوص الدينية للاسرتين الرابعة والخامسة . اما فيما يتعلق بمدلولها فيما قبل الأسرات فسنعود بذلك دائما الى مجال الافتراضات التى تقوى اذا استندت الى معنى التعبير فى اللغة المصرية .

فهى من الناحية اللغوية صفة نسبة جمع مذكر لكلمة (حاو او حايو) مركبة من الاسم المؤنث (نيبوت) وتدل على الناس او الاراضى التى هى حول نيبوت . وقد شرح هذا التعبير ولا شك شرحا سريعا على انه يعنى الناس (أو الأرض) التى فيما وراء النيبوت .

فاذا عرفنا مدلول الكلمة القديمة نيبوت من الناحية الجغرافية ومعناها فى اللغة المصرية القديمة (سلة) فسوف نستطيع فى نفس الوقت ان نثبت من هم السكان او البلاد المجاورة فى الوقت الذى نشأ فيه هذا التعبير . لان الافتراض الذى يقول بأن نيبوت (السلال) تعنى الجزر البحرية وخصوصا جزر بحر ايجه ذاتها يستند على ترجمة هلينى بحاونيبوت فى النصوص مزدوجة اللغات فى عصر البطالمة . وهذه الحقيقة لا تكفى – كما بينا – لتبرير التفسير المقترح . كما ان هذه الترجمة لا تتفق مع معنى التعبير ذاته . والواقع انه اذا كانت نيبوت (سلال) تعنى جزر بحر ايجة ، فلماذا كان المصريون وهم الذين يستعملون كلمات دقيقة للدلالة على الناس والاشياء فى مكان معين ، يستعملون هذه العبارة المركبة « الشعوب (أو البلاد) التى هى حول (أو فيما وراء) الجزر » تلك العبارة التى لم تكن الا لتعود على شعوب او بلاد خارجة عن الارخبيل وبالتالى عن سواحل القارة الاوربية والاسيوية . كما يجب بالتالى ان نعترف انه منذ الألف الرابع كان لدى سكان النيل بالفعل فكرة دقيقة لا عن جزر البحر الابيض الشرقية فحسب بل عن شواطىء القارة التى تحيط بها . وهذا راى غير محتمل .

فترجمة نيبوت بمعنى جزر ينبغى اذا رفضها . ولكن ماذا كانت تعنى هذه الكلمة ؟ ان المصادر الوحيدة التى تسمح بتوضيح معنى الكلمة فى العصر الاول هى (نصوص الاهرام) التى عرفناها من المدافن الملكية فى الاسرتين الخامسة والسادسة ولو انها سجلت قبل تاريخ هاتين الاسرتين . وترجع الكلمة حاونيبوت بهذا الى عصر يسبق الاسرة الخامسة ، مما تؤيده احدى كتابات خوفو (الاسرة الرابعة) وفى هذه النصوص يتضح أن كلمة نيبوت كانت تعنى صورة خاصة من الأرض. وهى فى الواقع تقابل فى كثير من الأحيان كلمة (تا = السهول) وكلمة (خاسوت = الصحراء او الجبال) . واذا استندنا الى مختلف النصوص

ومنذ نهاية الدولة القديمة يبدو ان التعبير حاونيبوت كان يدل على شعب ومنطقة واقعين الى الشمال الشرقى قليلا من الدلتا . ومنذ ذلك العصر انتقل هذا التعبير الى الشاطىء الاسيوى الممتد من الدلتا نحو الشمال والشمال الشرقى . وتطور الكلمة الذى بدأ على هذا النحو استمر على طول التاريخ المصرى . فالحاونيبوت يستقرون فيما قبل الأسرات فى الدلتا البحرية التى كانت (آخر العالم) بالنسبة للمصريين الذين كانوا يسكنون فى ذلك الوقت رأس الدلتا ومصر الوسطى والعليا . وكلما تقدموا تدريجيا نحو الشمال والشمال الشرقى ارجعوا بهذا القدر (نهاية عالمهم) وهو مسكن الحاونيبوت البرابرة . وفى الدولة الوسطى والدولة الحديثة بدأت كلمة حاونيبوت تدل على السواحل الاسيوية البعيدة ومجموعة الشعوب التى تسكن تلك المناطق الساحلية . ان الكلمة تبعا لذلك كانت تدل احيانا على البرابرة (الاجانب) عموما بالنسبة لسكان وادى النيل . وعندما اراد الرسامون المصريون ان يرمزوا للحاونيبوت بخطوط تمثل الانسان استعاروا له ملامح رجل من الجنس السامى ذى لحية (انظر شكل ٢) يصعب نسبتها لجنس بالذات .



شكل (٢)

وذلك لأنه حتى الأسرة الثلاثين كانت حاونيبوت تدل فى نظر المصريين على الشعوب الآسيوية التى تشغل السواحل الواقعة فى الشمال الشرقى البعيد عن مصر . ولقد انتهى الأمر بان تطلق هذه الكلمة على مجموعة الشعوب التى تسكن شبه جزيرة آسيا الصغرى : الاناضوليين والكاريين واللوكيين والأيونيين . ثم اطلقت آخر الأمر على الأيونيين وحدهم . وهذه المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الكلمة تؤيدها اشتقاقات لغوية زائفة لا بد انها نشأت فى بداية الاحتلال المقدونى . فالحق ان التعبير حاونيبوت فهم فى تلك الفترة — كما تدل عليه كتابات كثيرة من عصر البطالمة — على انه يعنى «هؤلاء الذين يحيطون بنيبوت مصر اى سيد مصر » لان كلمة (نبتى) بالمصرية تعنى سيد ، ولم

التى تظهر فيها الكلمة (نيبوت) مفردة ، استنتجنا انها تعنى رقعة الأرض المتصلة بالمستنقعات الواقعة على حافة البحر عند الطرف الشمالى للدلتا المصرية . فينبغى ان نحتفظ لها بالمعنى الحرفى لكلمة (سلال) ذاكرين ان بعض الكلمات الشائعة تستعمل فى كل اللغات للدلالة على صور من المساحة او من الأرض . ولنفكر ببساطة فى الكلمات الفرنسية « مقبض — قضيب — كرة — حوض — مقعد — ذراع — فم — سلسلة — قمة — حلق — فراش : الخ » نجدها كلها تستخدم فى معان جغرافية دقيقة .

هذه (السلال) المرتبطة بالنيل كما تدل عليها النصوص ، قد استطاعت فى نظرنا ان تكون صورا شبه ارضية — شبه مستنقعات — ذات تجمعات — نعرف منها امثلة اخرى فى مناطق الدلتا فى الامازون وعلى الدانوب بصفة خاصة . ومن الممكن ان تكون الكلمة قد دلت على نوع خاص من المساحات المائية التى تكونت على الحافة البحرية لمصر . والمفهوم ان مشارف هذه البقعة كانت مأهولة من المنطقة الداخلية حيث تركز السكان . واذا استعملنا كلمة حاونيبوت كلفظة لها مدلول فى علم الاجناس ، لوجدنا انها كانت تعنى فى العصر القديم الشعوب اللامصرية على الحافة البحرية للدلتا . ولما كان من المألوف فى اللغة المصرية انها لا تميز بوضوح تام اسماء البلاد عن اسماء سكانها ، فهذه الكلمة يمكن ان تدل فى نفس الوقت على الشعب (حاونيبوت) اى احد الشعوب التسعة التى كان يتكون منها العالم البشرى ، كما تصوره سكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات . وان استعملت لفظه حاونيبوت ككلمة جغرافية مرادفة لكلمة سهول (تاو) وجبال او صحارى (خاسوت) لتدل على العالم الأرضى ، ففى هذه الحالة نميل الى الاعتقاد بأنها تدل على المستنقعات والاراضى المتاخمة للبحر التى تكون فى مصر احد العناصر الثلاثة الرئيسية للمنظر : ففى الشرق والغرب الصحراء ذات المرتفعات والمنخفضات المتباينة ، وفى الوسط الزرع والوادى المسطح ، وفى الشمال البحيرات الملحة والمستنقعات والبحر .

ويبدو ان تحديد حاونيبوت فى الدلتا البحرية فى فجر التاريخ قد تطور بسرعة جدا ، سواء كان النيبوت انفسهم منذ عصر الأسرات قد اختفوا على اثر التجميد النهائى للدلتا أو بالتجفيف التدريجى ، أو لان الأجناس الذين كانوا يسكنون هذه المناطق طردهم المصريون او قضوا عليهم عند استيلائهم على وادى النيل واستيطانهم به وهو فرض أكثر احتمالا يؤيده بلا شك نقش يجدر بنا أن نشير اليه ينسب الى عهد الملك خع سخموى (الأسرة الثانية) يذكر « عام القتال مع الشماليين »

يفسروه بهؤلاء الذين يحيطون بالسلال . وان كان فى ذلك شيء من التلاعب فى لفظ نيبوت ونيتى ، فالكلمة كانت تدل اذا على بلاط الهلينيين الذى كان يحيط بالسيد الجديد الذى يحكم مصر القديمة .

وهذا العرض الذى تقدمنا به كحل لمعنى (حاونيبوت) قد اخذ به كثير من المؤلفين (جاردنر وفون بسنج وفوروماركا) . الا ان ثمة تفسير آخر قد ظهر حديثا يقتضى ان التعبير المركب حاونيبوت هو نسخ فى اللغة المصرية لكلمتين يونانيتين : فالمجموعة الاولى حاو كان لابد ان تقرا (هلو Helou) وتكتب بصورة اغريقية Elloi لارتباطها بكلمة هلينوى Ellenoi اى الهلينيين . اما المجموعة الثانية (نيبوت) فلعلها نسخ للكلمة اليونانية (ناوس naus) بمعنى سفينة (وهو راى مونتنه P. Montet) ومجموع التعبير ينبغى اذا ان يترجم « هلينيو المراكب » . الا ان هذا التفسير الرائع الذى يريد فى الواقع ان يجعل من « الحاونيبوت » ايجيين يصطدم بجملة اعتراضات تاريخية ولغوية .

فمن وجهة النظر التاريخية — اذا سلمنا بان حاونيبوت يمكن ان تكون نسخا مصريا للكلمتين اليونانيتين (هلوى — ناوس) وادركنا مدى قدم هذه الكلمة فى مصر — وجب علينا ان نسلم فى نفس الوقت بانه منذ بداية الألف الثالث وربما منذ الألف الرابع كانت توجد قبائل أجنبية تتكلم الاغريقية القديمة ، تحتل الشاطىء البحرى المصرى . او بعبارة اخرى يجب ان نسلم بانه كان يوجد دائما اغريق فى مصر (مونتيه) ونرى ان هذا الوضع يتضمن تغييرا شاملا لكل ما نعلم او ما نظن اننا نعلم من تاريخ الهندواوربيين البدائيين . فتاريخ تشتت هؤلاء القوم لابد ان يكون لاقى نهاية الألف الثالث او فى بداية الثانى بل حدث قبل ذلك بالف سنة ، اى ابتداء من آخر الالف الرابع وعلى الاكثر فى بداية الالف الثالث . ونحن نرى ان قلب المعلومات قلبا تاما بهذه الصورة يجب ان يستند على ملاحظات دقيقة لا تقبل اى جدل او مناقشة .

ومن الناحية الاثرية — اذا جعلنا الحاونيبوت اغريقا اى شعبا غير الشعب المصرى يشغل دلتا النيل على الدوام ، ابتداء من بداية الأسرات حتى عصر الاغريق ، اى خلال اكثر من الفى سنة — فاننا نصطدم فى الواقع بانه حتى اليوم لم نعثر على اى اثر يمكن ان ينسب على التحقيق لشعب كهذا . وانعدام الآثار يدعو الى الدهشة ، خاصة وان الجيران الشرقيين لمصر قد تركوا فى هذه المنطقة ذاتها من الدلتا بقايا عديدة كشفت عنها الحفائر . فلكى نقبل هذا الفرض القائل بان حاونيبوت هم الاغريق الذى كانوا يسكنون الدلتا ،لابد وان نسلم بأن هؤلاء الاغريق لم تكن لهم صناعة خاصة ولهذا فانهم فى لغة الاثريين لم يتركوا فى مصر

اى اثر لاحتلال ، مفروض انه دام اكثر من الفى سنة .

والى جانب هذه الاعتراضات الخاصة بالآثار تضاف صعوبات لغوية . فالتفسير المقترح وهو ان حاو المصرية (هلو) تعنى هلوى Elloi اليونانية التى تعنى بدورها الهلينيين لا يكترث بوجود حرف اللام المضعف فى الكلمات اليونانية بل يصطدم ايضابأن الاشتقاق هلوى بمعنى الهلينيين هو مجرد فرض يحتاج الى تدليل والصورة القديمة للكلمة الاغريقية هى فى الواقع ليست هلوى بل سلوى Selloi ولكننا لا نجد اثرا فى النسخ المزعوم باللغة المصرية لحرف السين ولا حرف اللام المضعفة . والى هذه الملاحظات يضاف ايضا ان الهجاء المصرى للمقطع حاو يتعارض مع كونه يدل على اسم شعب . فالحق انه لايمكن بحال من الاحوال ان يحدد برمز من الرموز التى تسمح وفقا للطريقة الهيروغليفية بالتعرف على اسماء الشعوب الاجنبية . والمعادلة نيبوت = ناوس لم يعدلها اساس من الصحة ،لانها تصطدم هى الاخرى باعتراض خاص بتعريفها . فالكلمة المصرية نيبوت لا يحددها قط الرسم التصويرى للسفينة كما كان يجب ان يكون لو كانت بالفعل تدل على صورة خاصة بالسفينة .

واخيرا فان الصيغة اليونانية naus من وجهة النظر الصوتية لا يمكن ان تفسر وجود حرف التاء فى آخر الكلمة المصرية . والواقع ان الفرض بان نيبوت = ناوس لايوجد اى دليل كتابى او صوتى يؤيده . واما الافتراضات الخطيرة على النظرية السابقة مهما كانت جذابة ، يجب علينا الا نأخذ بها . لاننا على يقين من ان كلمة حاونيبوت لم تدل فى اية لحظة من تاريخها الطويل على الايجيين قدماء الهلينيين . وان كانت هذه الكلمة تطلق احيانا على شعوب البحر فى عصر الهجرات الاخيرة ، فما ذلك الالان هذه الشعوب كانت قد مرت بآسيا قبل مرورها بمصر . ويظهر أن الكتاب لم يميزوهم بدقة عن الشعوب الاخرى التى احتلت الشواطىء الآسيوية .

وما دامت كلمة حاونيبوت ليست اذا الا مصطلحا غامضا للدلالة على الشعوب التى تسكن الساحل الآسيوى النائى ، لذلك يجب فى ضوء معلوماتنا الحالية ان نسقطها من قائمة الأسماء التى تطلق على قدماء اليونان . ومن المحال ان نستند الى استخدامها فى مصر فى الدولة القديمة دليلا على وجود صلات بين كريت ووادى النيل فى ذلك العصر .

الأوانى الحجرية الصلبة التى لها اشكال مصرية فى كريت

من كل المناقشات التى يفضلها انصار النظرية الافريقية لاثبات وجود علاقات بين مصر وكريت فى الدولة القديمة على الاقل ، ان لم تكن فى العصر الحجرى الحديث ، لاجدال فى ان اكثرها اقناعا لاول وهلة هى التى تقوم على المقارنات بين الاشكال المصرية للاوانى الحجرية الصلبة والاشكال الكريتية لنفس هذه الاشياء ابتداء من العصر المينوى القديم الثانى .

وعند ما نتناول هذه المسألة التى لا تزال معرفتنا بها محدودة يجب ان نقيم وزنا لوجهين من اوجه المشكلة ، وجهين مرتبطين فى الواقع ارتباطا وثيقا ، ويستحسن ان نميز بين الاوانى المصرية المستوردة فعلا من مصر الى كريت ، وهى التى عثر عليها فى حفائر بمناطق مينوية ، وبين اشكال الاوانى التى يظن انها من اصل مصرى ثم قلدها الصناع الكريتيون فى كريت . هذان الوجهان من المشكلة يكمل احدهما الآخر لان صناع كريت كان لابد ان يكون تحت ايديهم الأصول المصرية كى يقلدوا اشكالها . وبعبارة اخرى لكى ندلل على نقل الكريتيين لنماذج من مصر فى عصر معين يجب علينا الحصول على اصول مستوردة من مصر فى نفس ذلك العصر ، ومقارنتها باوانى كريتية مستلهمة من الاشكال المصرية المعاصرة . وهكذا نرى ان الامر يتعلق اصلا بمسألة تاريخ نسبى .

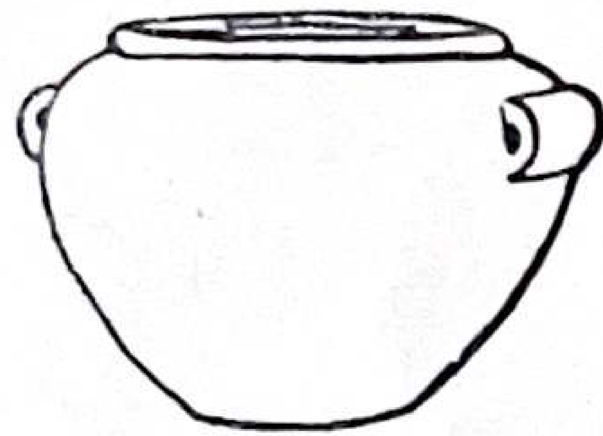
فان بندلبرى فى كتابه عن الاشياء المصرية التى عثر عليها فى ايجه ، المسمى (ايجيبتياكا Aegyptiaca) ، لا يذكر الا عشر أوان من الحجر الصلب يعتبرها ذات أصل مصرى . وهو يرى أن هذه الاوانى قد ترجع اما الى الدولة القديمة واما الى عصر ما قبل الأسرات فى مصر . ومن بين هذه الاوانى العشر ، خمس عثر عليها فى طبقات اثرية لا يعرف تاريخها ، واربع جمعت من مستويات لاحقة بكثير للدولة القديمة ، اما الاناء الاخير وهو نموذج رائع (انظر شكل ٣) فقد عثر عليه مع اوانى فخارية من العصر الحجرى الحديث وما قبله (بندلبرى) تحت جناح من قصر كنوسوس . الا ان هذه الحقيقة يجب الاتخدعنا . فالواقع انه لا يوجد دليل على ان هذا الاناء الحجرى والآنية الفخارية من عصر واحد . فالاناء المذكور كالقطع الخمس الأخرى التى هى فى اغلبها من نفس النوع وعثر عليها فى كنوسوس لا يمكن تاريخها ، وشظايا الأوانى التى عثر عليها فى طبقات العصر الحجرى الحديث الاعلى فى كنوسوس ايضا ، من الصعب نسبتها الى اية حضارة مهما كانت ، حتى ان مناصرا شديد الاقتناع بالنظريات الافريقية مع انه قرر انها تنتمى الى أوان من عصر ما قبل الاسرات الحديث ، فى كتابه (آثار كريت) لكنه لم يجرؤ ان

يضعها ضمن قائمة الاشياء المصرية التى عثر عليها فى كريت .

وهكذا فانه من بين الاوانى العشر المصرية ، ست اوان مصدرها طبقات اثرية لا يعرف تاريخها ، وواحدة عثر عليها مع اشياء من العصر المينوى الأوسط الثالث ، والثلاث الاخيرة جمعت من مدافن العصر المينوى والهيلادى الحديث . وهذه الاشياء ما كان يمكن اذاً ان تستخدم بطريقة جدية لدراسة العلاقات بين مصر وكريت فى الدولة القديمة ، طالما لم نعثر على واحدة منها فى مستوى اثرى ينتمى بطريقة مؤكدة الى هذا العصر

ولقد قلل البعض من اهمية المستوى الأثرى ليتجنبوا هذه الصعوبة فان الاوانى المصرية قد كانت تستورد قديما من كريت فى وقت يقرب من تاريخ صناعتها بمصر ، وانها كانت تنتقل من جيل الى جيل بسبب اهميتها الكبرى . وبعبارة اخرى انهم يجعلون الاهمية لا للمستوى الاثرى الذى عثر فيه على هذه الاشياء بل للتاريخ ذاته الذى صنعت فيه هذه الاوانى فى مصر .

ودون رغبة منها فى ابراز ما فى مثل هذا الاستدلال من احتمال افتراض ، نود ان نصر على صعوبة تاريخ هذه الاوانى تاريخا دقيقا من الناحية الاثرية . لقد نسبت الى عصر ما قبل الاسرات الاوسط او فيما بعد ، الى بداية الدولة القديمة (بندلبرى) فهل يستطيع المرء ان يثق ثقة مطلقة فى هذه النسبة ، لسنا واثقين من ذلك فالاوانى المصرية التى عثر عليها فى كريت وفى حوض بحر ايجه يرجع اغلبها الى نوع واحد ، القطاع ذى المقبضين المستديرين anses tubulaires (انظر شكل ٣) ومن المؤكد هنا ان هذا الشكل من الاوانى يشاهد فى عصر ما

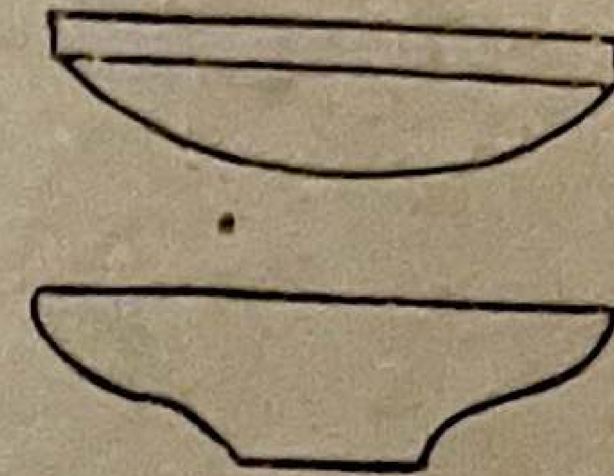


شكل (٣) اناء من الحجر الصلب ذو مقبضين انبوبيين مستديريين

قبل الاسرات ــ ولكنه لا يقتصر فى مصر وهذا ما أغفله البعض على هذا العصر وحده . وقد قدمت لنا مقبرة زوسر فى سقارة (الاسرة الثالثة حوالى سنة ٢٧٠٠) عددا كثيرا من الاوانى التى تشبه أوانى كنوسوس وما اشبهها من الاشياء التى جمعت فى مصر ذاتها من مقابر أواخر الدولة

القديمة تحت حكم الاسرة السادسة (خصوصا فى دندرة) فليس من الصحيح اذا ان ننسب هذه الاوانى الى ما قبل الاسرات اذ من الممكن انها صنعت فى مصر خلال فترة من الزمن تمتد الى عصر ما قبل الاسرات حتى نهاية الدولة القديمة اى تقريبا من نهاية الالف الرابع حتى حوالى سنة ٢١٠٠ ق.م . وهكذا نرى انه من المستحيل ان نتخذ منها دليلا لاثبات وجود علاقات بين مصر وكريت منذ عصر ما قبل الاسرات ما دام من الممكن جدا القول بانها صنعت فى الدولة القديمة فقط ، ان لم يكن فى الايام الاخيرة من ذلك العصر .

وقد نسبت بالمثل الى بداية الدولة القديمة اوان اخرى مصرية من الحجر الصلب من نوع يختلف عن النوع الذى رايناه ، هذه الاوانى ترجع الى نوع من القطاعات المنخفضة ذات او بدون عنق (انظر شكل ٤ و ب) نحن مضطرون ان نقرر هنا ايضا التسليم بقدمها :



شكل (٤) اوان من الحجر الصلب

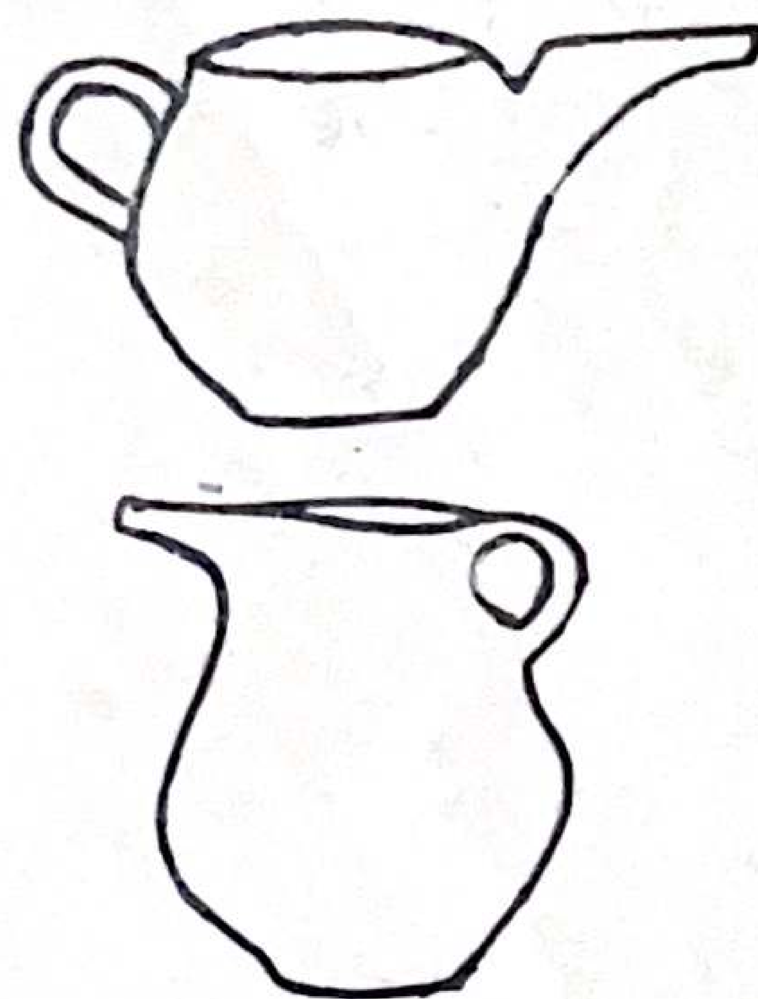
فهذه الاشكال ليست فى الحقيقة خاصة بالاسرات الاولى والثانية والثالثة والرابعة وحدها ، كما يمكن ان يفهم . فنحن نجدها ايضا حتى نهاية الدولة القديمة (جيكية Jéquier) . وواحدة فقط من الاوانى المذكورة يبدو انها ترجع الى نوع خاص بالاسرة الرابعة المصرية . ولسوء الحظ نجد انفسنا ازاء اناء جدده ايفانس وفقا للاشكال المصرية ، ولا نستطيع ان نقيم له وزنا ، فقاعدته فقط هى التى تثبت صحة نسبه ولكنه ليس ذا مميزات خاصة تساعد على ارجاعه الى تاريخ دقيق .

وهكذا فان كل الاوانى المصرية التى عثر عليها فى كريت أو فى ايجة يمكن ان يرجع تاريخها بحق الى نهاية الدولة القديمة بدلا من ان ترجع الى عصر بداية الاسرات . ومن المستحيل أن نرجعها الى ما قبل ذلك . الا انه اذا درسنا الاوانى الكريتية من الحجر الصلب ادركنا انها لا تظهر فى جزيرة كريت الا ابتداء من العصر المينوى القديم الثانى ، اى فيما بين عامى ٢٤٠٠ — ٢١٠٠ ق.م وهى الفترة التى تمتد فى مصر من نهاية الدولة القديمة (الاسرة السادسة) حتى بداية الدولة الوسطى (حكم الملك انتف الثانى فى الاسرة الحادية عشرة) . ونتيجة لهذا ، اذا اعترفنا بوجود علاقة

بين ظهور فن نحت الاوانى من الحجر فى كريت واستيراد الاوانى المصرية فى نفس الجزيرة ، وهى علاقة ان لم يقم الدليل عليها فهى على الاقل محتملة ، نرى ان تاريخ صناعة بعض الاوانى المصرية التى عثر عليها فى العالم الايجى يحتمل ان يرجع الى الاسرة السادسة اكثر من احتمال الرجوع به الى فترة سابقة ، ويؤكد ذلك ما سبق أن رايناه من اشياء معينة عثر عليها فى مصر .

واخيرا فان انتشار الاوانى المصرية من النوع القديم والاوانى ذات المقابض الاسطوانية انتشارا عظيما يمكن تفسيره بالاحداث التاريخية التى كانت مصر مسرحا لها فى نهاية الدولة القديمة وسياتى الكلام عنها فيما بعد .

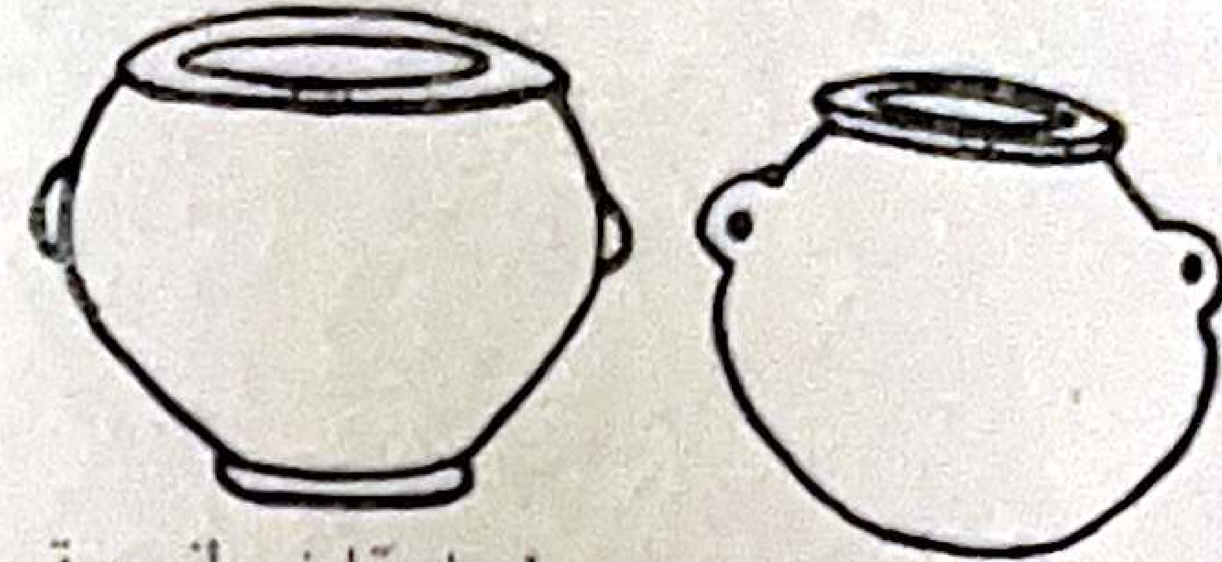
فابتداء من العصر المينوى القديم الثانى بدا الكريتيون يصنعون بانفسهم أوان من الحجر ، وهذه الاوانى المحلية هى التى قورنت بالاوانى المصرية . والآن لنترك جانبا المشكلة الزمنية التى تنجم عن الاشياء المقلدة ونقتصر على دراسة اشكال هذه الاشياء ذاتها . فبعض هذه الاشكال كريتية خالصة ولا تدين لمصر بشيء (انظر شكل ٥) والبعض الآخر يمكن مقارنتها بأشكال معروفة فى وادى النيل . ولكى نزيد المناقشة وضوحا ، نضع هنا بين يدى القارىء جنبا الى جنب الاشكال الكريتية (ك) والمصرية (م) التى يقال انها فى الاصل تقليد ايجى .



شكل (٥) أوان كريتية من الحجر

فالقطعة ذات القبضين المستديرين (شكل٦) الموجودة فى مصر منذ عصر ما قبل الاسرات حتى نهاية الدولة القديمة وان كانت أكثر شيوعا فيما

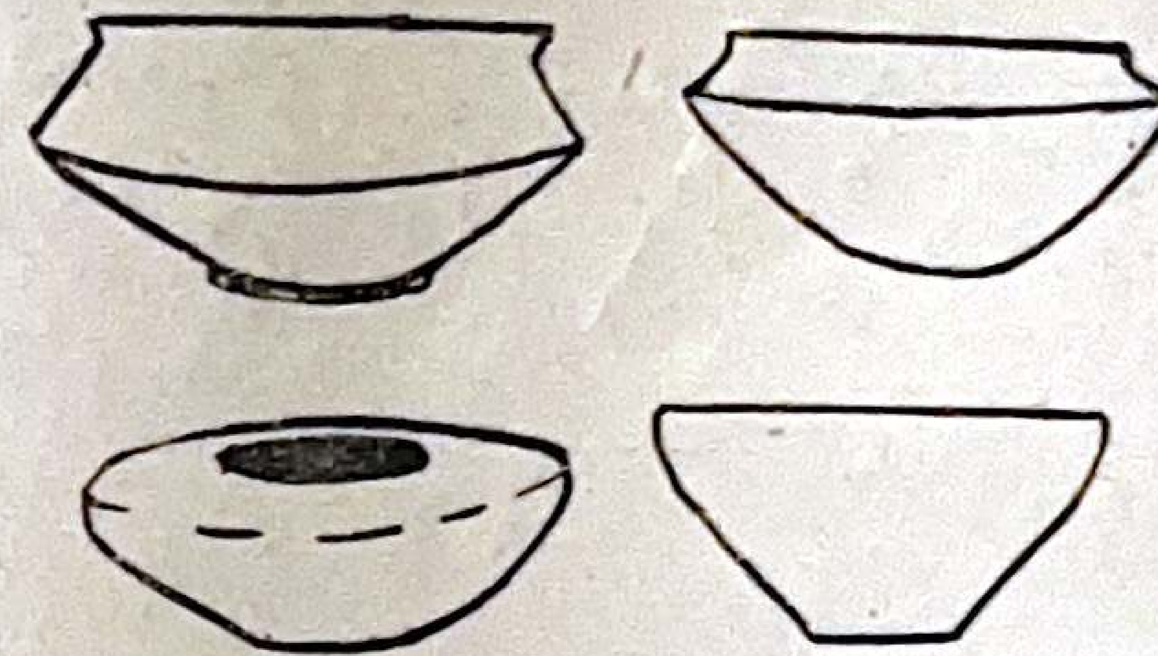
قبل الاسرات ، يظهر وجودها مرة اخرى فى بعض الاوانى الكريتية . ومع هذا فان الاشكال الكريتية لها روح يختلف عن روح الاشكال المصرية . فالصانع الكريتى فى هذه الاوانى بالذات يضع المقابض اقرب كثيرا الى



شكل (٦) اناء مصرى وآخر كريتى لهما مقابض انبوبية مستديرة

وسط الآنية بينما يميل الصانع المصرى الى وضعها قرب العنق . فضلا عن ذلك فان المقابض فى كريت ليست نصف دائرية كما يتميز بها الشكل المصرى . واخيرا فان القاعدة ذات الحافة البارزة جدا للاوانى الكريتية لا وجود لها بالمرة فى الاوانى المصرية التى ليس لها قواعد مكورة . فاذا لم نستطع أن نستبعد احتمال وجود تقليد للاشكال المصرية من جانب الصانع الكريتى قديما ، فنحن على الاقل امام الهام واضح ولكنه غير مقيد لا يمنعنا من تفسيره على انه مجرد تشابه بين الاشكال وقع بالصدفة دون أن يكون هناك بالضرورة تأثير من احدهما على الآخر .

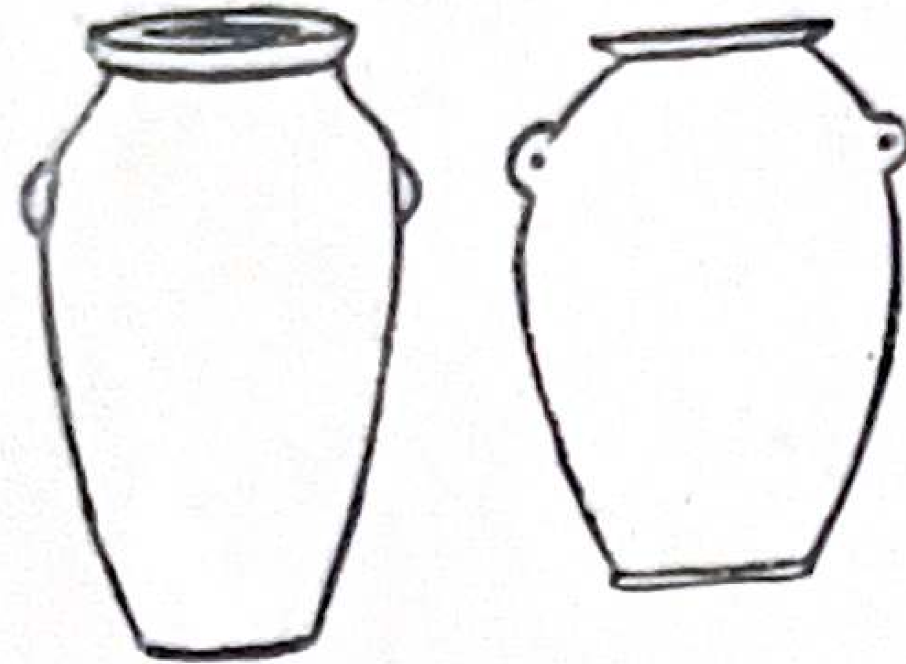
اما القطعة بلا مقبض (شكل ٧) فنجد مثيلات لها فى كريت كما نجد



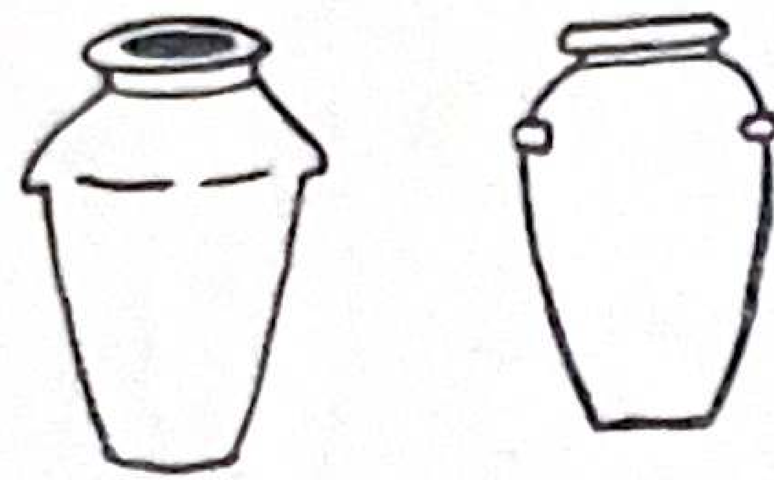
شكل (٧) كؤوس ليست لها مقابض

فى مصر بعض الاشكال الكريتية التى تشبه الى حد بعيد الاشكال المصرية ، اما بعضها الآخر فقد صنعت بروح مختلفة تماما . فالصانع الكريتى يعيب بوضوح فكرة وجود كتف للاناء يتمثل فى المقبضين باعتباره جزءا من التركيب للمحافظة على الاوانى المصرية . وكما فى القطعة ذات المقبضين

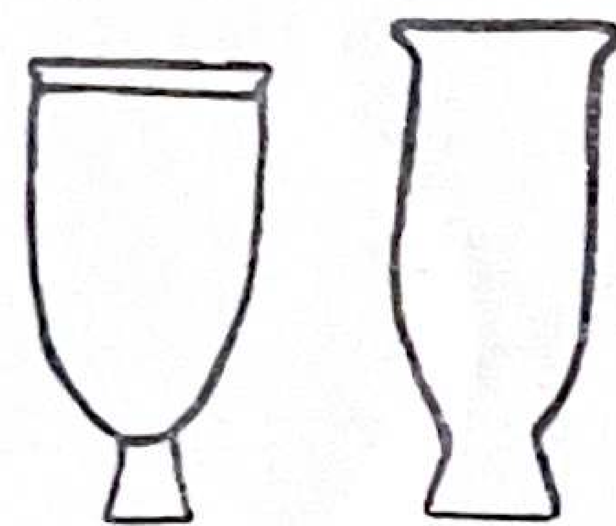
يحتمل أن هناك تأثيرا مصريا على الصانع الكريتى ، لكننا فى هذه المرة لا نستبعد حدوث تشابه بالصدفة ايضا .



شكل (٨)
اوانى مستطيلة



وشكل الآنية المستطيلة (شكل ٨) قد قورن ايضا بالاشكال المصرية القديمة (بندلبرى) الا أن الصناع الكريتيين يفصلون بوضوح تام فوهة الآنية عن المقبض بدرجة تجعلها تبدو كعنق حقيقى لها . وهذا طراز لا وجود له فى الاوانى المصرية . يضاف الى ذلك أن المصريين يجعلون عادة للاوانى التى من هـذا النوع قاعدة ذات حافة لا وجـود لهـا فى الاوانى الكريتية . وخلاصة القول بالرغم من وجود تشابه معين فى الظاهر ، فاننا لا نعتقد انه من الممكن الكلام عن تقليد أو حتى عن الالهام . وفى حالة الاوانى المستطيلة والاوانى البيضاوية ذات الاقدام (شكل ٩) وهى قريبة جدا من الآنية المستطيلة ، لكنها تتميز بوجود قاعدة واضحة الانفصال عن الساق.



شكل (٩)
كأسان بيضاويان
لهما قاعدة

ونلاحظ فى الاوانى الكريتية ان الفوهة تنفصل عن جسم الآنية انفصالا اوضح مما هو عليه فى الاوانى المصرية المشابهة . وفى حالات معينة يفصل حلق حقيقى مطمور بعمق بين شفة الآنية والساق وهذا لا وجود له قط فى مصر .

واخيرا تأتى القاعدة وهى فى اوانى كريت اكثر دقة منها فى الاوانى المصرية ، لذا نعتقد هذه المرة فى تأثير الشكل المصرى على الشكل الكريتى، وبأن المسألة ليست مجرد تشابه بالصدفة .

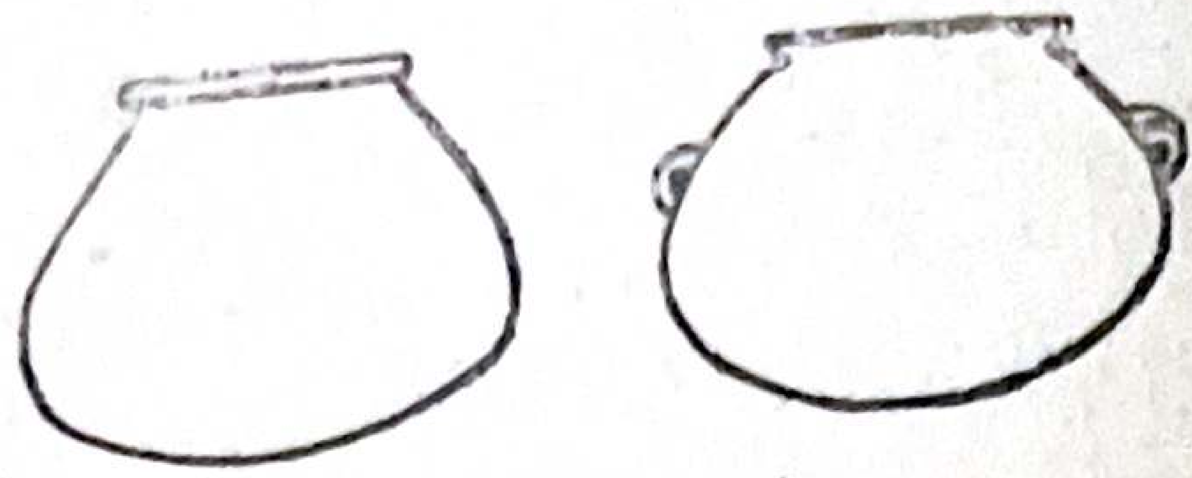
اما الاوانى الانبوبية المستديرة (شكل ١٠) فالشبه فيها هذه المرة لا يمكن انكاره — وهو يذهب الى حد التوحد والتماثل التام .



شكل (١٠) اوان انبوبية مستديرة

ونستطيع اذا ان تعترف ان هذا النوع من الاوانى الموجودة بحق فى Mochlos هو تقليد حقيقى لنوع مصرى — وهذا على جانب كبير من الاهمية لان النوع المصرى للاوانى التى من هذا النوع فيما قبل الاسرات واثناء الجزء الاكبر من الدولة القديمة — لا يحتوى على قاعدة (انظر شكل م ٢) اى الرسم للآنية المصرية الثانى . اما الشكل ذو الجذع المخروطى بعض الشىء ذو القاعدة المسطحة ذات الحواف (انظر شكل ١٠ م ١) فهو خاص — فى مصر — بالاسرة الرابعة . ولدينا هنا مشجع جدا لصورة مصرية ولتقليدها الكريتى المعاصر . ويحدث ايضا ان نجد شكلا مالوفا منتشرا فى كريت ومصر ولكن تفاصيل تركيبه تختلف فى كريت عنها فى مصر . والمثل الواضح لهذه الظاهرة صورة نادرة فى كريت تمثل اناءا ذا مقبض هابط (انظر شكل ١١) له نموذج فى مصر . ولكن الاناء المصرى مزود بمقابض لا توجد فى الاوانى الايجية .

وكما نرى فان وجود الشبه بين صور الاوانى فى مصر وفى كريت كثير الحدوث ويفسر لنا شعور بعض علماء الآثار الذين لم يترددوا فى ان يعتبروا الاوانى الكريتية مجرد تقليد للاوانى المصرية ، او انها من عمل



شكل (١١)

صناع اتوا الى كريت من مصر . وقد استطاع احدهم ان يكتب بخصوص اوانى العصر المينوى الثانى القديم فقال ان النموذج (وهو من نتاج الاوانى الحجرية فى كريت) انما جاء بالاتصال المباشر مع مصر حيث فن صناعة الاوانى من اكثر الاحجار صلابة معروف منذ فجر الحضارة ، ومن المؤكد ان اشكال كثيرة من هذه الاوانى تؤيد هذا الفرض (بندلبرى) الا ان المشكلة اكثر تعقيدا مما يظهرها لنا انصار التأثير المصرى ، فالواقع ان اشكالا عديدة لا تدين بشىء للفن المصرى ما عدا الصورة الاكثر بساطة والاقل تمايزا فهى وحدها التى يمكن مقارنتها . ومن ناحية اخرى فان وجود التقارب الذى سبق ذكره ينصب فى معظمها على صورة منتشرة جدا منذ عصر ما قبل اسرات فى مصر ، واحداها على الاقل (الآنية البيضاوية ذات القدم) خاصة بهذا العصر وتختفى فى مصر بعد عصر ما قبل الاسرات . فكيف نفسر اذا ان الصناع الكريتيين الذين كانوا يعيشون فيما بين سنتى ٢٤٠٠ و ٢١٠٠ قبل الميلاد قد امكنهم ان يستلهموا صورا مصرية يرجع تاريخها الى نهاية الالف الرابع ؟

لقد افترض البعض — كما راينا — انه منذ بداية التاريخ المينوى جاءت أوانى مصرية الى كريت (ايفانس وبندلبرى) الا ان هذ االفرض يناقضه عدم وجود أشياء مصرية فى انحاء كريت القديمة جدا (العصر الحجرى الحديث والمينوى القديم الاول) . كما انه لا يفسر انعدام بعض الاشكال المصرية ذات الخصائص المميزة ، ونحن نشير خصوصا الى الاوانى الاسطوانية الكبيرة التى لا قاعدة لها (انظر شكل ١٠ مصرى ٢) وهى اوان مميزة للفن المصرى لا فيما قبل الاسرات فحسب بل لاسرات العصر الطينى والدولة القديمة كلها .

ولكى نستطيع الاخذ بالنظرية المتقدمة لدى اصحاب الرأى الافريقى اى التأثير المصرى الذى ظهر فى كريت منذ ما قبل الاسرات وبداية الدولة القديمة ، يجب الاعتراف بأن الايجيين قد اختاروا من بين الصور المصرية فاعرضوا عن اكثرها شيوعا واحتفظوا باكثرها ندرة واكثرها قدما . وهذا مصدر الصعوبة . فهل ينبغى اذن التشكك فى قيمة وجوه الشبه

ذاتها وجعلها نتيجة لمحض الصدفة ؟ وهل الصورة المصرية المقترحة كنماذج كانت مالوفة جدا حتى انها عرفت ايضا فى آسيا وكريت (ب . ديمارن P. Demargne) . ولقد راينا ا نهذا التفسير ممكن بل ومحتمل بالنسبة لبعض وجوه الشبه المقترحة . الا انه توجد حالات اخرى لا يمكن انكار التاثير المتبادل فيها . فالاوانى فى مخلوس (انظر شكل ١٠ كريت) هى اقرب جدا لصور الاسرة السادسة المصرية حيث لا يمكن ان يكون الشبه نتيجة الصدفة . ونخلص من هذا تدريجيا الى تفسير اكثر دقة ، يقيم فيما نعتقد وزنا للوقائع التى حققناها . فالتاثير المصرى المباشر او غير المباشر لا يمكن فى نظرنا انكاره فى حالات بعينها (كالاوانى الاسطوانية التى لها شكل مستدير وربما فى القطع ذات المقابض او بدونها) . لكن ذلك لم يحدث الا ابتداء من الاسرة السادسة . وتقليد الكريتيين للاوانى المستديرة المصرية يكفى لاثبات هذه الحقيقة اما تقليد صناع كريت لصور ما قبل الاسرات وبداية الاسرات اذا اعترفنا به ، وهو ليس بجديد فى حالة الاقداح ، فيمكن ان يفسره بالمثل تاثير يرجع الى الدولة القديمة .

والواقع انه ابتداء من نهاية الاسرة السادسة ، كانت المقابر المصرية القديمة قد بدات تنهب بكثرة من المصريين انفسهم او من الغزاة الاسيويين الذين تسربوا فى ذلك العهد الى وادى النيل . والنصوص المصرية العديدة التى ترجع الى الاسرتين الثامنة والعاشرة لا تدع مجالا للشك فى هذا الشان ، ويشير احدها الى نهب المقبرة الملكية اذ يقول : «انظروا ان الذى دفن فى صورة الصقر (الملك) قد انتزع من تابوته . وقد افرغ ما فى قلب هذا الهرم » . ويشير نص آخر الى ان مدافن طيبة كغيرها قد نهبت : « لقد حاربت مصر فى المدافن — فلا تخرب المقابر ، لا تخربها ، لا تخربها — لقد فعلت انا هذا وارتكبت نفس الخطأ — وها هو يحدث لى مثل ما حدث لغيرى » يقول هذا شبح الملك العجوز لابنه . ثم يقول أيضا : «أنظر ان شيئا مخيفا حدث فى عهدى ، لقد نهبت مدافن طيبة » .

وعندما نفكر فى الكمية الهائلة من الاوانى الحجرية الصلبة الموزعة فى المقابر الملكية الخاصة بعهد ما قبل الاسرات وعهد الاسرات الاولى فى الحفائر الحديثة بحلوان ، فلا عجب ان يكون ذلك قد حدث على اثر عصور الاضطراب فى مصر بالذات ، اذ تعرضت المدافن للسلب والنهب ، وكان الاسيويون يحتلون الوادى ، وكانت الاوانى من أقدم العصور تظهر هنا وهناك فى مصر وخارجها .

لذلك فمن المستحيل عدم تقارب الاوانى الحجرية الصلبة التى عثر عليها فى كريت من تلك التى اكتشفت فى مخازن أساس المعبد السورى

فى بوبلوس ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى نجد الاوانى التى تحمل رسوم عهد ما قبل الاسرات مختلطة بأشياء من الاسرة السادسة او مطلع عصر الانتقال الاول . وهو العصر الذى انشئت فيه مخازن بوبلوس . ويتفق هذا بالذات مع العصر المينوى القديم الثانى الذى شهد ظهور الاوانى من الحجر الصلب فى كريت .

ينبغى اذن الاعتراف ان الاوانى المصرية الموجودة فى طبقات اثرية ليس لها تاريخ فى كنوسوس ، من الممكن ان تكون قد حملت الى كريت ، ولكنها لم تصل اليها فى عهد ما قبل الاسرات او فى بداية الدولة القديمة ، بل فى نهاية هذه الفترة اوفى بداية عهد الانتقال الاول ، اى فى تلك الفترة التى بدا فيها الصناع الكريتيون يصنعون بانفسهم اوانى من الحجر . وهذه الاوانى التى وصلت كريت عن طريق نهب القبور المصرية القديمة ترجع الى تواريخ عدة ، وهذا يبين ان الصناع الكريتيين قد استلهموا فنهم فى نفس الفترة من الاشكال القديمة جدا كالاقداح والاشكال الحديثة نسبيا كالاوانى الاسطوانية على هيئة اكواب . وكان هناك اذن علاقة زمنية بين استيراد الاشياء وتقليدها فى كريت . ونحن نعترف اننا هنا بصدد افتراض فقط ، فان الحفائر الكريتية لم تعطنا أوانى مصرية فى الطبقات المينوية القديمة الثانية والثالثة . وان اقدم طبقة خرجت الينا بشىء كهذا ترجع الى العصر المينوى الثالث . فيوجد اذن هوة تتكون من ثمانية قرون ، وهى تشبه ما اعترى العصر المينوى الثالث من اضطرابات ، يقابل هذا فترة فوضى وغزو اجنبى لمصر بحيث ان الاناء المصرى (الذى كان قد تحطم واعيد انشاؤه من جديد) الموجود فى كنوسوس الى جانب آنية من العصر المينوى الوسيط الثالث ، اتى الينا عن طريق السلب الذى وقع خلال عهد الانتقال الثانى تحت سلطان الهكسوس فى مصر . ومثل كل هذا كمثل الاوانى التى عثر عليها فى طبقات العصر المينوى والموكينى الحديث .

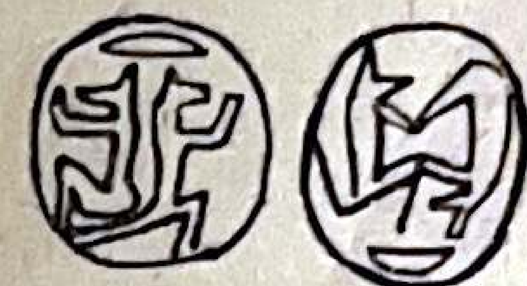
علاقة كريت بمصر

فى نهاية العصر المينوى القديم

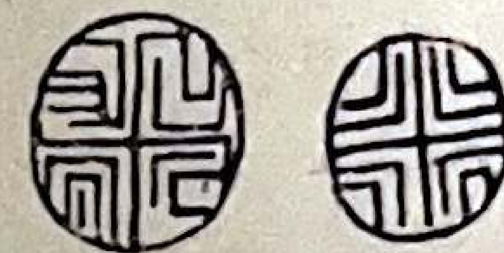
ان تاثير النفوذ المصرى على شكل الاوانى الكريتية لا يظهر الا بعد العصر المينوى الثانى ، ولكن ليس معنى هذا طبعا انه كانت توجد علاقات مباشرة بين كريت ومصر فى تلك الحقبة . وكما بينا من قبل لقد زودتنا حفائر بوبلوس بمادة فى علم الآثار المصرى قريبة جدا من تلك التى عثر عليها فى كريت فى نفس الفترة . ولذا لا يجب ان نبعد الفرض بأن التاثير المصرى على كريت جاء عن طريق سوريا . ولا تنقصنا ايضا الادلة التى

تثبت ذلك . ولذا تعتبر الاختام على شكل ازرار التى ظهرت وقتا طويلا فى كريت منذ نهاية العصر المينوى الثانى وانتشر استعمالها فى العصر المينوى الثالث ، كدليل على قيام صلات مباشرة بين مصر وكريت فى العصر المينوى (بندلبرى) . وفى الحقيقة لقد عثرنا على نماذج متشابهة من تلك الادوات والاوانى فى كل من مصر وكريت ، ولكنها كانت منتشرة ايضا فى آسيا . ويبدو أن أدوات هذا النوع جاءت عن طريق آسيا وانتشرت فى مصر وكريت (فرانكفورت) . وسنلاحظ بهذا الصدد اننا لا نجد اطلاقا فى مصر ادوات يرجع تاريخها الى العصر المينوى القديم . ويبدو ان الاوانى التى عثر عليها فى مقابر ملوك الاسرة الاولى فى ابيدوس ، والتى تنتمى الى الحضارة الايجية (بترى) كان مصدرها فى الغالب سوريا (هول) ، ولكن ليس فيها شىء يدل على انها ايجية . كما يجب أن ننوه بأن الاناء الذى ينتمى للعصور الكوكلادية القديمة Cycladique وعثرنا عليه فى انتيباروس والذى كان يظن انه من تاثير مصرى (بترى) لا ينتمى باية صلة لمصر .

وان عدم وجود اوانى ايجية فى مصر فى مدة الدولة القديمة يؤكد ، كما يبدو طبيعيا ، العلاقات غير المباشرة التى كانت تربط الحضارتين ابتداء من العصر المينوى الاوسط اى ابتداء من الوقت الذى اخذت فيه دولة منف القديمة تنتهى . ويبدو فيما نعتقد أن العلاقات والاتصالات الاولى بين كريت ومصر بدات فى سوريا والنصوص المصرية تؤكد ذلك الاحتمال .



شكل (١٢)
اختام كالازرار



مسالة (كفتيو) فى آخر الدولة القديمة

ان كلمة نيبوت ليس معناها بالضبط قدماء الهلينيين كما راينا ، ولكن لو سلمنا بالقضية انه كانت هناك علاقات مباشرة أو غير مباشرة بين المصريين وقدماء الهلينيين منذ العصر المينوى الثانى . اليس من العدالة اذن ان نبحث فى النصوص المصرية القديمة عن اشارات الى الحضارات

الايجية التى كانت تتلقى منتجات الصناعة المصرية . وهل يوجد فى اللغة المصرية القديمة لفظ آخر غير (حاونيبوت) يدل على هذا المعنى ؟

ولا تتردد كتب التاريخ منذ اكتشافات السير آرثر ايفانس بكنوسوس فى التسليم بأن جزيرة كريت كان يرمز لها فى النصوص المصرية بكلمة (كفيتو) . ولكن هذه التسمية يبدو ان كل الناس غير متفقين عليها . وفى العصر الحالى لا يوافق كل المختصين على هذا الراى . بل هناك اربعة آراء : فمن قائل ان كلمة كفتيو كلمة جغرافية وليست جنسية ومعناها كريت ومن قائل ان معناها كيليكيا ، وهى فى راى البعض تعنى كيليكيا وكريت فى نفس الوقت ، وفى راى الآخرين انها تؤدى معنى منطقة فى القطاع الغربى من سوريا على الاقل ابتداء من حقبة معينة . والنصوص المصرية القديمة التى تشير الى بلاد الكفتيو كثيرة . فهناك ثمانية وعشرون وثيقة تستخدم هذه الكلمة وخمسة وعشرون رسما عليها صور سكان هذه الجزيرة . وهذه الوثائق والصور تكون الجزء الاكبر من مراجعنا فى دراستنا للعلاقات بين مصر وبين قدماء الهلينيين . ولو استبعدنا دلالة كلمة كفتيو على كريت لاصبحت الوثائق التى بين ايدينا غير ذات قيمة ، ومن هذا يتضح ان مسالة كفتيو هى جوهر المشكلة . ومع ان كلمة كفتيو بمعنى كريت قد أثارت عددا كبيرا من الابحاث والدراسات فان تاريخ ظهور هذه الكلمة بالنصوص المصرية القديمة من ناحية اخرى لم تشغل اى مختص حتى يومنا هذا . وفى راينا ان هذا الجانب من المشكلة فى غاية الاهمية .

ويجب ان نعرف قبل كل شىء تاريخ ظهور كلمة كفتيو فى النصوص المصرية القديمة . فلنوضح ان هذه الكلمة التى تؤدى معنى كلمة كريت كانت معروفة فى مصر منذ نهاية الدولة القديمة فلدينا دليل قاطع على انه كانت هناك علاقات بين المصريين وقدماء الهلينيين فى نهاية عصر البرونز القديم . هذا بالاضافة الى الادلة التى سبق أن استنبطناها من الاثار المصرية القديمة .

وكلمة كفتيو المصرية التى تخرج فى الغالب من كلمة قديمة هى كفتر Kftr تظهر لاول مرة فى النصوص المصرية القديمة للاسرة الثامنة عشرة . ولكن هل معنى هذا ان اللفظ (كفتيو) وافق المصريون على استعماله منذ هذا العصر ؟ نحن لا نوافق على هذا الراى لسببين — وهو ان بعض نصوص الدولة الحديثة التى تستخدم هذا اللفظ ما هى الا نسخ لوثائق قديمة و لاشىء يدل على ان هـذا اللفظ استعمل فى الفترتين على التناوب .

ثانيا ان شكل الكلمة يدل على أنها قديمة واستعماله اسابق للدولة الحديثة كما انه ليس فيها اى حرف متحرك ، كما هو معروف فى حالة

الكلمات المصرية التى من اصل اجنبى سواء بعد الاسرة السابعة عشرة او قبلها .

فما هو تاريخ ظهور هذه الكلمة فى مصر ؟ ان اكبر دليل على قدم هذا اللفظ هو كونه ورد فى التنبؤات المعروفة باسم نصائح من بردية ليد Leyde . وفى الفقرة التى ظهرت فيها هذه الكلمة يقول النص « نحن لا ننزل بكل تأكيد الى بوبلوس اليوم وماذا سنصنع فى اشجار البلوط التى سنوضع فيها مومياتنا والتى تستخدم فى دفن رجال الدين وستخدم زيتها فى تحنيط الملوك حتى بلد كفتيو » . ولا شك ان هذه الوثيقة ذات اهمية كبيرة فهى لاتربط بين بوبلوس وكفتيو فحسب بل تشير ايضا الى العادات الجنازية فى بعض البلاد النائية . ولسوء الحظ لم يصلنا من هذا النص الا نسخة ناقصة يرجع تاريخها الى اوائل الاسرة التاسعة عشرة ؛ ولا شك فى انه كتب قبل ذلك بكثير . ومع ذلك يجب التساؤل ان كان ذكر كلمة كفتيو ما هو الا نتيجة ان الكاتب نقل هذه الكلمة من النصوص القديمة فى الدولة الحديثة . ولكن يبدو ان هذا الاحتمال ضعيف نظرا لانه من غير المعقول ان يكون الكاتب قد استعمل كلمة انتهى استعمالها فى العصر الذى كان موجودا فيه . اذا فيمكن التسليم بأن كلمة كفتيو ظهرت فى النص الاصلى ويكفى ان تحدد تاريخ هذا النص لنعرف منذ اى عصر ظهرت هذه الكلمة اواستخدمت.

وحين عرف المختصون نص (النصائح) قدمت اقتراحات فيما يختص بتاريخ النص . فمن قائل انه ينتمى الى عهد الانتقال الثانى أى ما بين ١٧٨٠ — ١٦٨٠ ق.م ومن قائل انه ينتمى الى عهد الانتقال الاول اى ما بين ٢٤٠٠ — ٢١٦٠ ق.م ؛ ومن بحث قدمه شبيجل J. Spiegel بخصوص هذا النص ينصح الباحث بضرورة التنازل عن فكرة ان النص كتب من عهد الانتقال الثانى . ولا شك فى ان النص الاصلى كتب فى عهد الانتقال الاول ويمكن الجزم بأن نحدد تاريخ ذلك النص بالضبط وهو ٢٢٠٠ ق.م ؛ فى اثناء حكم الأسرة الثامنة . ويقابله عند اليونان العصر الهيلادى القديم الثانى — فى تلك الفترة التى بدأت فيها علاقات بين مصر وقدماء الاغريق .

ومن دراسة هذا النص يتبين لنا ان المصريين بدءوا يشعرون بوجود كريت منذ نهاية الدولة القديمة — وهناك اتفاق تام بين المصادر الاثرية والمصادر المكتوبة . ولكن دراسة النص وتحليله يفتح امامنا افاقا جديدة فذكر كلمة بوبلوس فى اول الجملة الواردة بالنص لم يأت حتما عرضا . ويبدو ان الكاتب كان يقصد بها اى بكلمة بوبلوس مركزا تجاريا كان يتبادل العلاقات التجارية مع كل من مصر وبلاد كفتيو البعيدة . وهناك

افتراض قوى يرجع الاختام التى على شكل ازرار الى اصل سورى . تلك الاختام التى انتشر استعمالها فى كل من كريت ومصر عن طريق آسيا. والنص ذاته يفترض ان سكان بلد كفتيو كانوا يمارسون على الاقل عادة تحنيط الموتى من الملوك . وفى الحقيقة ان اليونان قد احتفظوا ببعض العادات الهيلنية ومنها تحنيط جثث الموتى ، وعندما اكتشف شليمان احدى الجثث الملوكية التى اعتقد بعض الناس خطأ انها محنطة قيل ان جثث ملوك اسبرطة كانت تغمس فى العسل ، وان هذه العملية حدثت اكثر من مرة . كما قيل ايضا ان جثة بروتيسيلاوس Protésil aos حفظت فى سائل مالح (هلبج Helbig) ؛ فليس اذا ببعيد ان يكون اليونان قد تعودوا تحنيط جثث موتاهم ، ولكن على طريقتهم الخاصة (بيكار) . ومن المغرى فعلا ان نعثر فى نص (النصائح) على ما يشير الى هذه العادات .

فلو صح هذا القول لكان الدليل القاطع على ان المصريين من عهد الانتقال الاول عرفوا سكان كريت خير معرفة . ولكن هناك سؤال يتردد على الاذهان : هل من الممكن ان يكون المصريون عرفوا اهل كريت دون ان تتح لهم فرصة مقابلتهم الا على ساحل سوريا ؟ ولم لا نسلم بان السفن المصرية آخر ايام الاسرة السادسة كانت تتاجر مع بوبلوس وكانت احيانا تتابع السير حتى كريت .

ولو استثنينا الادوات فى فترة الدولة القديمة والتى عثر عليها فى كنوسوس فى فترات مصرية غير معروفة او التى كان يقلدها الصناع فى كريت ، فسوف لا نملك اى دليل اثرى يؤكد هذا الفرض . فكوننا عثرنا على بعض الادوات المصرية من قبرص او من رودس فليس معنى هذا ان الملاحين المصريين استعملوا الطريق الشرقى . ومع ذلك فهناك حقيقة واضحة وهى اصل كلمة كفتيو .

فقد ساد الاعتقاد فترة طويلة ان Kaphtor التى وردت فى الانجيل وكلمة كفتيو Keftiou التى وردت فى النصوص المصرية كلها ذات اصل واحد . كما ساد الاعتقاد ايضا بان الكلمة التى وردت فى الانجيل ماخوذة من اللفظ المصرى وقد أثبت اكتشاف راس شمرة ومارى ان كلمة كفتيو كانت معروفة فى القطاع الاسيوى قبل ان تردد فى الانجيل، ونجدها مكتوبة على الواح براس شمرة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد اى فى تاريخ قريب من تاريخ النص المصرى المعروف باسم النصائح. ولكن احدى لوحات اشور تسمح لنا ان ننقل ذلك التاريخ الى ما بعد ذلك . ولكن لوحة اشور كالنص المصرى تماما ما هى الا نسخة متاخره لوثيقة يرجع تاريخها لعهد سرجون Sargon القديم . وجمهور

الناشرين والمعلقين على هذا النص لا يشكون فى صفحة نسبتها لسرجون . ينجم عن هذا اذا أن كلمة Kaptara يجوز انها استعملت فى آسيا حوالى ٢٢٠٠ق.م اى انها ظهرت فى اللغات السامية فى نفس الفترة التى استخدمت فيها فى مصر ، حيث ان النص المصرى الذى استخدم هذه الكلمة يذكر حوادث حدثت قبل قصة الراوى . فلو فرضنا ان الراوى عاش فى عهد الاقطاع الاول، اذن فلا يمكن ان تكون تلك الحوادث قد حدثت قبل فترة من الدولة القديمة بين سنتى ٢٤٠٠ و ٢١٩٠ ق.م تقريبا .

والكلمة المصرية كفتيو Keftiou التى كانت تكتب قديما كفتر Kefter تشبه الى حد كبير الكلمة السامية Kaphtor/Kaptara ولا يمكن باى حال ان يكون هذا التشابه من باب الصدفة . فمن اين جاءت هذه الكلمة ؟ هل ولدت فى مصر ومنها انتقلت الى آسيا اوجاءت من المنطقة الساحلية الى مصر . والمسالة فى غاية الاهمية نظرا لانها تبحث فى اصل العلاقات بين المصريين وقدماء الهلينيين . فلو كان المصريون قد اخذوا هذا اللفظ عن السامية فهذا راجع الى ان اول اتصالات بين المصريين وسكان بحر ايجه تمت فى آسيا . ولو كان الساميون هم الذين اخذوا هذا اللفظ عن المصريين فلدينا الدليل على أن سفن مصر التجارية التى كانت تمر بسوريا هى الاصل فى هذه الروابط الاولى بين الشرق والغرب .

ولكن لسوء الحظ لا يمكن ايجاد حل لمشكلتنا هذه فى ضوء معلوماتنا الحالية ولكن يمكن القول فقط بانه لو كانت كلمة كفتيو جاءت الى مصر عن طريق آسيا فلا شك انها جاءت منذ زمن بعيد جدا لان الانتقال فى اللفظ من كبتارا Kaptara الذى يوجد فى المقطع الاخير منه حرف راء الى اللفظ كفتيو Keftiou الذى لايوجد فيه حرف راء ، كان معروفا منذ عصر الاقطاع الاول .

لان تغيير حرف الراء بالحرف (ياء) ظاهرة صوتية معروفة فى اللغة المصرية القديمة. ومعنى هذا ان اللفظ كفتر Kefter كان موجودا قبل نهاية الدولة القديمة. ولذلك يجب أن نتصور امكان حدوث اعارة فى اللفظ من فترة حكم الاسرة الخامسة على اكثر تقدير . اى بعبارة اخرى ان الاتصالات بين مصر وكريت يرجع عهدها الى مينوس الأول .

ولكن الافتراض الثانى وهو ان هذه الكلمة كفتيو دخلت اللغة المصرية عن طريق آسيا ليس بمستبعد . ويجب فى الحقيقة ان نشير الى ان اللغة المصرية القديمة كانت تنقل حرف ph/p السامى الى حرف p المصرى فنسخ الحرف ph/p الى p ان لم يكن امرا غير

عادى فهو غير منتظر بتاتا فى اللغة المصرية القديمة . وفى نفس الوقت نجد كلمات مصرية قديمة تحتوى على حرف (f ف) وتنسخ فى اللغات السامية بكلمات تحوى الحرف (p ب) .

فالمشكلة اذا معقدة وسوف لا يمكن تحديد اى البلدين آسيا ام مصر استعمل كلمة كفيتو قبل الآخر طالما لم نعثر على نصوص مصرية وآسيوية تذكر هذه الكلمة قبل ٢٠٠٠ ق.م ،وبالتالى يكون من المستحيل ان نحدد اى البلدين (آسيا ام مصر) اتصلت بكريت قبل الاخرى .

ومع ذلك فهناك حقيقة ملموسة وهى ان علاقة المصريين بقدماء الهلينيين من آخر الدولة المصرية القديمة كانت قوية لدرجة انه من المستحيل ان نتصور ان اسم كريت لم يكن معروفا لدى المصريين فى تلك الفترة . وهكذا فكل الادلة التى تريد ان تثبت ان حضارة كريت القديمة كان لها اصل ليبى مصرى لا يمكن الاعتماد عليها او القطع بصحتها .

ولا بد ان نسلم هنا بان مصر وكريت لم تكن تعرف احداهما الاخرى على الاقل من أول العصر الحجرى حتى آخر العصر المينوى الاول اى من سنة ٣٠٠٠ الى سنة ٢٤٠٠ ق.م ، واول علاقات بدات بين مصر وكريت كانت فى العصر المينوى القديم الثانى وهو يوافق فى مصر سقوط الدولة القديمة وعاصمتها منف ، كما يوافق الفوضى الطويلة التى حدثت فى عصر الانتقال الاول اى من سنة ٢٤٠٠ الى ٢١٦٠ ق.م تقريبا . وليس من باب الصدفة ان يتفق حدوث الفوضى فى مصر وظهور أول علاقات بين قدماء الهلينيين والمصريين .

ولم تشتهر فترة الانتقال الاولى فى مصر بسقوط قوة الملكية المركزة فى ممفيس او بالحرب الاهلية بين سكان مدينة هيراكليوبوليس (١) وطيبة فحسب بل تعرضت تلك الفترة لغزو اجنبى اكتسح الدلتا . وقد حل محل النفوذ المصرى فى سوريا فى الدولة القديمة التى كانت تحدها مدينة بوبلوس وبعض المناطق الفنية بالغابات فى لبنان حل محلها فجاة عن طريق الغزو اتصال بين عدد كبير من بدو آسيا وبين السكان المقيمين فى مصر .

ولقد فكر البعض وقتا طويلا فى وجود تأثير سورى على مصر فى الدولة الحديثة . اذا أليس هناك ما يبرر ان نتخيل كمقدمة لهذا التأثير ما اذا كان لا بد ان يتقدم الرعاة الرحل فى الدلتا المصرية الغنية ، حيث كانت تزدهر الحضارة الراقية فى الدولة القديمة ؟ لهذا نرى انه من غير المجدى أن نتصور وجود دولة متأثرة بسوريا فى الدلتا المصرية (بندلبرى) التى تفسر ظهور الاختام على صورة ازرار فى العهد المينوى

---

(١) اهناسيا المدينة حاليا (المترجم) .

الاوسط ، هذه الاختام التى نجد نموذجها فى سوريا كما فى مصر .

ولقد عثر الكريتيون فى سوريا التى مصرها الغزو المصرى على اوان يرجع عهدها الى ما قبل عهد الاسرات او قبل الدولة القديمة ، والتى من الجائز ان يكون قد استولى عليها احد زعماء القبائل كنتيجة لنهب احدى المقابر المصرية القديمة ولا يوجد هناك ما يبرر الراى الذى كان سائدا فى العصور القديمة والقائل بان كان هناك تدفق مستمر من البضائع والافكار المصرية على جزر بحر ايجة منذ الدولة القديمة بمصر . ذلك ان الاتصال بين مصر وبحر ايجه ، الذى كان بلا شك ضعيفا جدا ، لم يبدأ قبل نهاية الدولة القديمة — وفى العصر المينوى القديم ٢ . وقد استمرت هذه العلاقات فى العصر المينوى القديم ٣ . وبالرغم من ضالة الادلة التى فى ايدينا مثل ظهور كلمة (كفتيو) فى النصوص المصرية القديمة ، او تقليد الصناع الكريتيين للاوانى المصرية التى كانت تستعمل اثناء الاسرة السادسة ، او ظهور الاختام التى على شكل الازرار فى منطقة بحر ايجه ؛ الا انه لا يمكننا باى حال من الاحوال ان نقلل من اهمية هذه الحقيقة .

وليس من السهل ان نقرر بالضبط الدور الذى لعبته سوريا فى العلاقات بين مصر وبلاد اليونان القديمة . ويمكن أن نتصور الملاحين المصريين وهم يشقون طريقهم الى ما بعد بوبلوس ، ويعملون كوسطاء بين سوريا وكريت . ويجب ان نعترف بكل تواضع أن هذا ما هو الا فرض وان كان فرضا جميلا جدا فى ذاته يمكن ان نبرر به أن كلمة (كفتيو) قد اعيرت لمصر عن طريق آسيا .

ومعلوماتنا عن التجارة الايجية وتجارة سوريا فى تلك الفترة ضعيفة لدرجة اننا لا نستطيع ابعاد احتمال قيام علاقات مباشرة بين كريت وسوريا ، سواء كان هذا عن طريق السوريين او عن طريق الكريتيين . فلو صح هذا القول لكان نفوذ مصر فى كريت غير مباشر فى الحقيقة ، وان كان هذا اقل الاحتمالات جراة الا انه اقربها للحقيقة .

الفصل الثالث

علاقات مصر بكريت فى عصر البرونز المتوسط

يبدو ان مصر لم تبدأ فى ايجاد علاقات مع كريت قبل العصر المينوى القديم ٢ . وكان من المتوقع ان تقوى هذه العلاقات غير المباشرة فى الفترة التالية من التاريخ ولا سيما ان كلا من مصر وكريت فى تلك الفترة كانت حضارتهما فى حالة ازدهار مادى وهذا أمر لا شك فيه . ففى كريت كانت هناك فترة القصور الاولى وتلتها فترة القصور الثانية ، وفى مصر فى نفس الفترة الدولة الوسطى والاسرة الثانية عشرة حيث استردت الملكية قوتها ودخل الفن المصرى فى مرحلته الثانية الكبرى . وفى الواقع ان المصادر الاثرية والمصادر المكتوبة لا تهتم كثيرا بالعلاقات الخارجية بين البلدين فى تلك الحقبة من التاريخ ولو اعتمدنا على الاستنتاجات التى نخرج بها من تلك المصادر تشككنا فى قيام علاقات مباشرة بين جزيرة كريت وبين وادى النيل فى تلك الفترة .

الادوات المصرية فى الدولة الوسطى بكريت

بينما نجد احتمال وجود علاقات بين عالم النيل وبحر ايجه فى العصر المينوى القديم ٢ يستند فقط على وجود بعض الادوات المصرية فى كريت فاننا فى الفترة التالية نعثر فى نفس الوقت على ادوات مصرية فى كريت وادوات كريتية فى مصر . واهم الادوات المصرية التى عثرنا عليها فى كريت هى الجعل وقد عثرنا على عشر من تلك الحشرة بعضها فى العصر المينوى القديم ٣ والبعض الآخر فى العصر المينوى المتوسط ، وقد يحدث احيانا ان يحمل بطن الحشرة (الجعل) كتابة غير مصرية وليس هنا مايثير الدهشة ان الجعل المصرى فى الدولة الوسطى لم يكن يحمل اية كتابة ولا سيما أن كان الجعل محفورا من مادة نصف قيمة وصلبة مثل مادة الاماتيست . هذا والطرقة التى اتبعها الصناع الكريتيون فى غاية الاهمية لانه يبدو انها تبين كيف ان الجعل المصرى كان يستخدم كختم . اذا فالجعل سواء اكان فى مصر او فى كريت كان يستخدم لنفس الفرض .

والمينويون كانوا لاينظرون الا للناحية العملية فى شكل الجعل وهذا يفسر عدم وجود اى جعول مصرية فى اثاث الموتى عند اهل كريت ولم نعثر الا على جعل واحد فى احدى مقابر العصر المينوى القديم ٣ ، ويبدو

انه وضع فى هذا المكان لكونه مصنوعا من مادة اولية وهى حجر اللازورد او لغرابة شكله وطرافته ، اذ انه يمثل شكل قرد جالس . ولا يمكن ان نستمد اية معلومات من اللآلىء التى عثرنا عليها هنا وهناك فهذه الاشياء يمكن تقليدها بسهولة ومن السهل جدا ان نقابل صورا متشابهة منها . وامام هذه الحالة لا يمكننا ان نرجعها للاصل المصرى ، او نستنتج وجود علاقات مع مصر . ونفس الحال ينطبق على الاثرين المصريين اللذين عثرنا عليهما فى كنوسوس ، احدهما تمثال من الديوريت وجدناه بين آثار العصر المينوى الاوسط ٢ب، والآخر وهوغطاء اناءيحمل خرطوشا باسم ملك الهكسوس (خيان) وقد عثرنا عليه بين اثار العصر المينوى الاوسط ٣ – أ .

والتمثال للاسف غير كامل فالجذع والراس غير موجودين ولم يبق منه غير القاعدة واسفل الجسم ابتداء من الحزام . ولفظ تمثال الذى ينطبق على هذا الاثر غير صحيح وكان من الاجدر ان نسميه دمية statuette اى تمثالا صغيرا . وطول هذا التمثال كما عثرنا عليه ١٢٫٥ سم ويبدو ان طوله العادى اى قبل ان يكسر كان ٢٥ سم فهو اذا تمثال صغير من تماثيل الدولة الوسطى التى كثر فيها استعمال مثل هذه التماثيل .

وطول التمثال الذى يتراوح بين ٢٠ – ٣٠ سم والطريقة التى صنع بها وكذلك النقوش المكتوبة على قاعدته تدل بلا نقاش على انه من تماثيل الدولة الوسطى . ولكن هل يرجع تاريخه لاول ذلك العهد ام لآخره ؟

وقد افترض العلماء هذين التاريخين ويعتمد الفرض الاول على الدراسة الاركيولوجية للاثر ويعيد تاريخه للاسرة الثانية عشرة . اى بعبارة ادق لايام امنمحات الاول بين سنين ١٩٩٠ و ١٩٠٠ ق.م .

ويبدو ان الاقتراح الثانى يعتمد على دراسة النقوش والاسماء المكتوبة على الاثر ويرمى الى نسبة هذا الاثر للاسرة الثالثة عشرة ، اى فى الفترة ما بين ١٧٨٥ ، ١٦٨٠ ق.م (هول) . ويلاحظ انه لايمكن التوفيق بين هاتين الحجتين بدليل اننا عثرنا فى مصر فى كل العصور على تماثيل عديدة حفرت فى فترة سابقة للنص او الكتابة المنقوشة عليها . وعلاوة على ذلك فالتماثيل فى حالة سيئة جدا حتى أن الحجج التى تعتمد على دراسة الاسلوب تبدو لنا واهية تماما . ومن الافضل ان نوجه اهتمامنا لدراسة الاسلوب اى طريقة صنع التمثال ذاته . ففى الحقيقة ان هذا النص يبدو اقرب لنصوص الاسرة الثالثة عشرة منه لنصوص الاسرة الثانية عشرة . ومن الافضل الجزم بأنه صنع ايام الاسرة الثالثة عشرة .

هذا واسلوب الكتابة المنقوشة على التمثال من مستوى ضعيف يبدو انه من صنع اياد ريفية . ونلاحظ ايضا أن التمثال لا يحمل اى لقب ويبدو انه يمثل شخصية مصرى مقيم فى جزيرة كريت . واغلب الظن ان هذا التمثال صنعه شخص لم يكن متعودا على الكتابة الهيروغليفية . وصاحب التمثال منقوش اسمه بصفة خاصة عليه وهو (عبد الله ملك السماء) . وهذا يدل على انه خرج من مدينة هليوبوليس .

وفى نفس الوقت لا يمكننا ان نفصل بين الاشياء التى عثرنا عليها فى كريت وبين مثيلاتها فى الحوض الشرقى للبحر الابيض . ونظرة واحدة الى الخريطة (٣) تكفى للدلالة على ان ادوات الدولة الوسطى فى مصر



ومعظمها تماثيل عادية او تماثيل صغيرة مصنوعة من الحجر تشبه التمثال الذى نحن بصدد الكلام عنه . هذه التماثيل كانت منتشرة فى كل منطقة الشرق الاوسط ، الا ان معظمها موجود بالممر السورى الفلسطينى . وقد عثر فى الحقيقة على عشرين قطعة من هذه الآثار فى ثمانية مواقع من هذه المنطقة . والغريب ان اكثر الاماكن التى توجد بها هذه الاثار ليست هى المناطق القريبة من مصر فى سوريا او فلسطين ، بل المناطق البعيدة عنها . فراس شمرة وحدهاالمدتنا بتسع قطع اثرية من الحجر الصخرى (سبعة تماثيل منها بين كبيرة وصغيرة وتمثالين لابى الهول) وكلها يرجع تاريخهاللدولة الوسطى . اذا فاكتشاف التمثال الذى عثر عليه فى كنوسوس مهما تكن اهميته ، لايثبت حتما وجود علاقات مباشرة بين كريت ومصر وأن كانت هذه العلاقات عن طريق سوريا .

هذا وغطاء الاناء الذى يحمل اسم (خيان) والذى عثر عليه فى مخزن بمدينة كنوسوس ، يرجعه ايفانس الى العصر المينوى الوسيط ٣ ا ولا يمكن ان يكون هذا الاناء قد تم تنفيذه فى مصر قبل عام ١٧٠٠ ق.م على الاقل . ولا شك انه وصل الى كريت بسرعة حيث العصر المينوى الوسيط ٣ب الذى عثر فيه على تمثال اوزوريس ،وهو التمثال المكتشف فى كنوسوس ويوافق عصر الاسرة الثالثة عشرة ، اى ما بين ١٧٨٥ و ١٦٨٠ ق.م . وتاريخ الشىء المصرى هو نفس تاريخ ظهوره فى الطبقات الاثرية من الناحية العملية . ونلاحظ فى الدولة الوسطى ان ادوات الهكسوس لا توجد خارج مصر الا فى فلسطين . وفى الحقيقة لو استثنيت بعض الجعالين الهكسوسية التى وجدت فى صيدا بجنوب سوريا وهو موقع لا يبعد كثيرا عن فلسطين ، فاننا لم نعثر على اى اثر هكسوسى ذى اهمية بالمواقع السورية . ونلاحظ ايضا انه لم توجد علاقات بين بوبلوس ومصر فى تلك الفترة بالذات . ولذلك لا يمكننا ان نتصور جواز مرور بعض الاشياء المصرية من مصر الى كريت عن طريق سوريا . الامر الذى كان يبدو قريبا من الصحة فى الفترة ما بين العصر المينوى القديم الثانى والثالث ، والعصر المينوى المتوسط الثانى .

لذلك نجد انفسنا امام افتراضين : فاما ان يكون اهل كريت انفسهم اتصلوا بعالم الهكسوس المنتصر سواء فى الدلتا او على الساحل الفلسطينى ، او ان هكسوس آسيا هم الذين اتصلوا مباشرة بالعالم الايجى . وقد تصور البعض أن الهكسوس كانت لهم دولة ضخمة تفرض سلطانها بطريق مباشر او عن طريق الارهاب على كل منطقة الشرق الادنى . ومما يؤيد هذه النظرية ويدل على صحتها ، اكتشاف اسد من البازلت فى مدينة بغداد ومكتوب عليه اسم خيان .

ولكن مع ذلك ليس لدينا الدليل القاطع على ان هذه الدولة عاشت وصمدت فعلا . ومن الافضل ان نسلم بأن العلاقات بين مصر وكريت التى يؤيدها العثور على اناء خيان فى كنوسوس تمت عن طريق الكريتيين لا عن طريق الهكسوس . ومن العلاقات المباشرة بين مصر المحتلة وبين جزيرة كريت ما يسمح بتفسير اثر الفن الايجى على بداية فن الدولة الحديثة فى مصر . وستتاح لنا الفرصة للعودة الى هذا الموضوع من جديد .

وهكذا فان دراسة الادوات المصرية التى وجدت فى كريت توضح لنا كيف ان العلاقات بين المصريين وقدماء الهلينيين استمرت فى عصر البرونز الاوسط . ومن المعروف أنه اثناء الفترة الاولى التى تمتد من الاسرة الثانية عشرة حتى الثالثة عشرة كانت لمصر علاقات مع كريت عن

طريق سوريا ، سواء بواسطة السفن المصرية التى كانت تبحر شرقا حتى كريت ، وتكون العلاقات فى هذه الحالة بمثابة مظهر من مظاهر ازدهار مصر السلمى فى منطقة الشرق الادنى كلها فى عهد الاسرة الثانية عشرة ، او عن طريق الايجيين الذين كان يقابلهم المصريون فى غرب سوريا . وهذا الفرض الاخير يبدو اقرب الاثنين الى الصواب . ومع غزو الهكسوس يبدا الفصل الثانى من تاريخ العلاقات بين مصر والعالم الايجى . فمصر المستقلة تقطع الصلة بسواحل البحر الابيض ولا يمكن ان تكون هناك علاقات مباشرة بين المصريين والايجيين . ولكن كل شىء يستمر فى مجراه كما لو ان اختفاء التجار المصريين من الطرق البحرية الواقعة شرق البحر الابيض قد عوضه امتداد تجارة الايجيين فى نفس الطرق البحرية . وبعبارة اخرى ففى زمن الهكسوس (حوالى ١٧٠٠ – ١٥٨٠ ق.م) تبدا كريت فى الظهور كدولة بحرية قوية . وفى نفس هذا التاريخ تظهر دولة القصور الثانية فى كريت .

الادوات الكريتية فى مصر وفى الشرق الادنى

ويتفق مع الفترة الاولى من العلاقات المصرية الكريتية فى عصر البرونز المتوسط والتى يمكن استنتاجها مما عثر عليه فى كريت ، يتفق معها فى مصر ظهور عدد لا بأس به من الاوانى من العصر المينوى الوسيط ٢ فى الحراجة وابيدوس واللاهون . ونفس الاوانى الايجية يصحبها بعض التقليدات المحلية ، وتوجد فى قبرص وكذلك فى راس شمرة . وهكذا فان اكتشاف بعض الاشياء الكريتية فى مصر لهو خير دليل على انه كانت هناك علاقات تجارية بين وادى النيل وبين كريت . وقد دفعت كثرة الاوانى الكريتية التى وجدت بمصر بعض الكتاب للاعتقاد بأن هذه الوفرة فى الاوانى ما هو الا نتيجة لامتداد نشاط التجار الكريتين فى مختلف بلاد الشمال الشرقى (هـ . كانتور) وبالرغم من ان الموضوع جائز جدا الا اننا يجب أن نكون فى منتهى الحذر . والحقيقة أنه من الخطر ان نستخدم الطرق الاحصائية عندما يتعلق الموضوع بمصر . فكون مصر قد قدمت عددا من الاوانى الايجية اكثر من اسيا ، فليس معنى هذا حتما انه كانت هناك بين وادى النيل وبين العالم الايجى علاقات اقوى من تلك التى كانت بينها وبين الشرق الاسيوى . ومصر نظرا لظروفها الخاصة اصبحت مع مضى الزمن مستودعا كبيرا للوثائق الاثرية . وقد كانت نتيجة لتقاليد الموت عن المصريين أن تراكمت الاشياء فى المقابر وقد ساعد على حفظ تلك الاشياء جفاف تربة المقابر الذى لا يتوافر فى اية تربة اخرى . وقد كانت مصر منذ بداية القرن التاسع عشر اكبر بلد فى الشرق الاوسط يهتم به

هواة المجموعات ، نظرا لضخامة عدد الاشياء التى استطاعت ان تمدهم بها ، ونظرا للاستغلال المنتظم لثروات مصر الاثرية . فان حركة التنقيب فى الممر السورى الفلسطينى وهى مسألة حيوية فى حد ذاتها بالنسبة لدراسة التجارة الايجية فى الشرق لم يكثر الاقبال عليها . وقد زاد النشاط فى البحث عن الآثار فى هذه المنطقة (الممر السورى الفلسطينى) فى السنوات الثلاثين الاخيرة . ويجب ان نلاحظ هنا ان الاشياء الايجية بدات تظهر كما فى مصر ، فى بوبلوس وفى راس شمره واخيرا فى قبرص . ومما يثير اهتمامنا حقا هو ان هذه الاشياء ما كانت تظهر فى تربة ظروفها لا تساعد على حفظ الآثار القديمة مثل تربة مصر . ولا يجب ان يمنع ظهور عدد كبير من الآثار الايجية فى مصر فى اثناء الدولة الوسطى دون الاعتقاد بانه كانت هناك تجارة غير مباشرة بين مصر والعالم الايجى عن طريق سوريا وفلسطين .

وقد سبق ان راينا كيف ان توزيع الاشياء المصرية التابعة للاسرة الثانية عشرة والثالثة عشرة فى الشرق الادنى كان من شانه تأييد هذا الاضمحلال . ولكن ليس هذا هو الدليل الوحيد فقد اكتشف مستودع لامنمحات الثانى بمعبد طود Tôd بمصر العليا . وكان هذا المستودع يحتوى علاوة على الاشياء الاسيوية الصرفة مثل الاختام الحلزونية على بعض اوانى الطبخ المصنوعة من الفضة والتى يظهر فيها بوضوح تأثير النفوذ الايجى . وقام احد علماء الآثار اخيرا بتحليل تلك الاشياء من الناحية الاثرية وتبين انه لو صح ان بعض هذه اوانى كانت من ايجه ، ولو صح تبعا لذلك ان جزءا من هذا الكنز من اصل كريتى ، اذا فهذه الاوانى لا يمكن ان تكون تقليدا اسيويا لبعض النماذج الكريتية F. Chapouthier وهذا مما يؤيد وجود تجارة مصرية كريتية عن طريق سوريا . كما لا يمكن ان نغفل بهذه المناسبة ان نذكر ان اوانى العصر المينوى المتوسط فى الحراجة مثل كاهون واللاهون وجدت مختلطة باوانى اخرى ذات اصل سورى . وسنرى كيف ان تحليل المصادر الادبية المصرية سينجم عنه نفس النتيجة وانه لمن المستحيل ان نفصل العالم الايجى عن العالم السورى الفلسطينى .

وفى المرحلة الثانية ان العلاقات المصرية الكريتية فى عصر البرونز المتوسط الذى يعتبر فاتحة العلاقات المباشرة ان لم تكن بين مصر وكريت فعلى الاقل بين كريت وفلسطين من ناحية وبين مصر من ناحية اخرى . وهذا مما يدل على انتقال بعض النقط التجارية التى كان يحتلها الكريتيون نحو الجنوب . لا نجد فى هذه المرحلة فى مصر اى اشياء ايجية من العصر المينوى الوسيط ٣ . ويبدو لاول وهلة ان هذه الملاحظة تقضى على الفرض القائل بوجود علاقات تجارية بين المصريين وقدماء الهلينيين فى هذه المرحلة . ويستحسن ان نتكلم بحذر شديد فيما يتعلق بهذا الموضوع .

فان كان غزو الهكسوس قد امتد احيانا الى طيبة ، فهو لم يتعد بصورة عامة حدود الوجه البحرى ، والدلتا هى اقل الاجزاء المصرية معرفة من ناحية الآثار . وهناك عشرة مواقع فقط امدتنا ببعض من مظاهر الدولة الوسطى . ومن هذه الاماكن امدتنا (تل اليهودية) وحدها بالفخار حتى انه من المستحيل ان نعلق اية اهمية على عدم وجود اوانى ايجية . ومع ذلك فمما لاشك فيه ان اكتشاف اوانى مينوية فى كل من الدلتا وفلسطين سيكون امرا غاية فى الاهمية .

وقد اثار عدم وجود اوانى العصر المينوى الوسيط ٣ فى مصر كما فى آسيا مشاكل كثيرة ، ولا سيما ان الاشياء المصرية التابعة لعصر الهكسوس التى عثر عليها فى كنوسوس وايسوباتا وبلاجوس تدل على ان العلاقات لم تقطع بين كريت من ناحية وبين افريقيا تحت السيطرة الاسيوية من ناحية اخرى .

اسم مينوس فى اللغة المصرية القديمة

حين استدعى الملك سنوسرت الاول المغامر الاول سنوحى بعد سنوات طويلة قضاها فى اسيا وجه اليه سنوحى نصائح فى السياسة الخارجية يمكن ان نلخصها فيما يلى :

« فلتامر جلالتك اذا باصطحاب ميكى امير كدم الشمالية وياءوش امير كيوشو ومينوس امير البلدين فنخو . انهم امراء ذوو سمعة حسنة تربوا على حبكم . وليس هناك ما يدعو الى ذكر بلاد رتنو ، فهم بالنسبة لك كالكلاب » (ترجمة لوفيفروجن G. Lefebvre et B. Gunn) وقد جرى التساؤل عما اذا كانت كلمة منوس Mnnws لا تعنى اسم مينوس كريت (و. ف. البرايت W. F. Albright) . وهذا الافتراض المبتكر مغر جدا ، فهناك نص مصرى من الدولة الوسطى يذكر ملك كريت بين ملوك ساحل فينيقيا . وهكذا تعتمد الصلات بين مصر وكريت عن طريق سوريا وفلسطين على جملة واحدة تؤيد وجودها . ولسوء الحظ يظل هذا الافتراض فى ضوء معلوماتنا بلا دليل يؤيده .

والحق ان كلمة منوس لا تظهر فقط فى النصوص المصرية فى تاريخ سنوحى ، بل نجدها فى الدولة الحديثة فى القوائم الجغرافية العديدة التى تعدد الغزوات الحقيقية او المزعومة لفراعنة مصر . وفى هذه القوائم يظهر مينوس مرة فى صحبة الكفتيو (كريت) او الرتنو (سوريا الشمالية) ومرة مع بلاد ايزى (قبرص) . وانه بالاستناد الى هذه القوائم كان علماء الاثار المصريون فى القرن الماضى قد اقترحوا ان يجعلوا من اسم منوس اسم المدينة مالوس Mallos فى صقلية (م. مللر M. Müller) . وقد

لا يكون هناك مجال لتعليق اهمية كبيرة على هذا الربط الذى يقوم على تشابه النطق بين مالوس ومنوس ، خصوصا وانهم فى اواخر القرن التاسع عشر ، كانوا يعتقدون ايضا فى اسم صقلية لكلمة كفتيو . والحقيقة ان المرادف منوس = مالوس لا يستند الى اساس صحيح .

وحتى لو استبعدنا هذا الربط ، ولو اعترفنا نتيجة لهذا ان منوس يمكن ان تعنى ككلمة كفتيو العالم الايجى فانه لا يبقى الا ان نجد انفسنا ازاء مشكلة عظيمة . فان نص الدولة الوسطى يجعل من منوس اميرا ، ولكنها فى قوائم الدولة الحديثة بلد. فاذا كانت قصة سنوحى التى تذكر منوس على انه امير بلاد (فنخو Fenkhou) يمكن ان تشير الى مينوس ملك كريت ، فكيف نفسر ان الكتاب المصريين — بخطأ مماثل لخطأ قرد لافونتين(١) — قد استطاعوا ان يخلطوا ملكا ببلد ؟ واذا اخضعنا القوائم الجغرافية التى تذكر بلاد منوس لتحليل دقيق فسوف نرى ان هذه القوائم لا تسمح بتحديد موقع هذه البلاد . انها منطقة فى اقصى الشمال على علاقة وثيقة بسوريا الشمالية وكريت وقبرص دون شك . وهى تختفى من الافق السياسى المصرى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشرة . ولو كنا متاكدين من وجود بلاد منوس . ولكن يجب فعلا اثارة الشكوك حول هذه النقطة ، ومن المزعج ان نقرر الى اى حد تكون النصوص الجغرافية التى تذكرها غامضة وغير مؤكدة . ويحتمل ايضا ان القوائم قد نقلت بعضها عن بعض. وليس من غير المحتمل ان تكون قد استعارت ببساطة كلمة منوس من نص سنوحى ذاته . فنحن نعلم من مثال آخر ان قصة سنوحى ، وهو نص ادبى ، من اكثر النصوص شعبية فى مصر القديمة ،قد الهم الكتاب المكلفين بانشاء قوائم البلاد التى فتحها فرعون. وهجاء كلمة منوس فى النصوص المختلفة التى يظهر فيها هذا ، من التشابه بحيث لا يستطيع المرء ان يميز تاثير مصدر واحد من الوثائق التى اعيد نسخها بعد ذلك نقلا عن هذا المصدر المشترك . وقد يكون من المغرى اذا ان نفترض ان منوس قد نقلها ببساطة (اشباه الجغرافيين) من قصة سنوحى .

وفى هذه الحالة لا يبقى هناك الا وجه واحد لكلمة منوس ، هذا الوجه هو الذى يجعل منها اسم امير . ومع هذا فان التفصيل يرتد بنا الى التساؤل فنحن نجد فى احدى مقابر طيبة التى ترجع الى الدولة الحديثة صورة لشخص يرمز لبلاد منوس (انظر شكل ١٣) وهذا

---

(١) من كبار ادباء القرن ١٧ بفرنسا وقد نظم خرافات مشهورة منها خرافة القرد والدرفيل التى كذب فيها القرد على الدرفيل حين ساله الاخير ايعرف « بيرية » فكذب قائلا انه صديق قديم . وبهذا خلط بجهله بين اسم مدينة واسم شخص (المترجم) .

الشخص يتميز ببضع خطوط من نوع الخطوط التى ينسبها الرسامون المصريون عموما لقدماء الهلينيين . فصبغة جلده حمراء بنية ولا لحية له ، وشعره يتدلى فى خصل متموجة . وهذه هى الخصائص الرئيسية للملتزمين الايجيين فى المقابر المصرية . فلو ان الرسام المصرى وقد عاش فى عصر تحتمس الثالث قد استلهم من « قصة سنوحى » وحدها فلماذا اضفى على الشخصية التى ترمز لمينوس صفات قدماء الهلينيين ، بينما لا يوجد شىء فى هذه الوثيقة يدل على ان امير مينوس يستطيع ان يكون من جنس يختلف عن الاسيويين المذكورين معه ؟ واذا فنحن ندرك بالرجوع الى النص الاصلى ان محرر القصة الذى كان يعيش فى الدولة الوسطى قد خلط هو الآخر الرجال بالمدن . وهكذا فان (ميكى Meki) امير كدم Quedem معروف فى هذه القوائم الجغرافية للدولة الوسطى كاسم بلد (بوزنر Pausener). فنحن نرى ان المشكلة التى اثارتها كلمة مينوس لا يمكن الخروج منها بنتيجة . فاما ان نص سنوحى صحيح ومعاصرو سنوسرت الاول كانوا يعرفون بوجود امير يسمى مينوس كانت سلطته تمتد حتى ساحل فينيقيا ، واما ان النص يجب ان يصحح ويجب الاعتراف بأن الحدود البحرية لسوريا الشمالية كانت تشمل فى نفس العصر امارة باسم مينوس . وتتعقد المشكلة ايضا عندما نلاحظ ان اسم مينوس ذاته لكى يظل قائما مع المعلومات التى قدمتها لنا صحيفة Chronique de Paros قد لا يرجع الا الى سنة ١٤٣١ . ولما كان نص سنوحى يرجع تاريخه الى حوالى ١٩٥٠ ق.م تقريبا فان اسم مينوس اذا سلمنا بنظرية منوس = مينوس Menos=Menous تكون بهذا سابقة بخمسة قرون على حكم مينوس الاول الذى شهد به حجر باروس Marbre de Paros



شكل (١٣)
اسير من
بلاد (منوس)

والحق ان دراسة كلمة منوس يصعب تناولها بسبب عدم كفاية

المراجع التى بين ايدينا . ويجب الاعتراف بان الاسئلة العديدة التى تثيرها هذه الكلمة لا يمكن حلها . وطالما انه ليس لدينا مثيل لها فى نصوص اكمل وادق ، فاننا لا نستطيع ان نحدد ما اذا كانت كلمة منوس اميرا او بلدا ، والمعادلة منوس = مينوس تبقى اذا لسوء الحظ - وحتى تزداد معلوماتنا فيما بعد - فرضا مغريا لا دليل عليه .

بلاد الكفتيو فى النصوص المصرية بالدولة الوسطى

واينا ان نصوص الاسرة الثامنة عشرة المصرية حيث تظهر كلمة كفتيو التى تدل على كريت هى فى الحقيقة نسخ لنصوص اقدم . وبعض هذه النصوص ترجع فيما يبدو الى الدولة الوسطى . ومن ناحية اخرى فان نصا من هذا العصر يستعمل كلمة كفتى التى ربما كانت اسم بلد . ولكن محتويات النص غامضة جدا بحيث لا نستطيع معه الاستفادة بهذه الوثيقة .

وتذكر بردية هيراطيقية ترجع الى اوائل الأسرة الثانية عشرة بلاد الكفتيو فى تذكرة طبية تصف القول الطبى الذى يسميه المصريون (قول بلاد الكفتيو) ، وكان كثير الاستعمال فى «الوصفات» الطبية والصيدلة المصرية . ومن المهم اذا ان نؤرخ لهذا النص بانه يسمح بالرجوع الى عصر كانت فيه مصر تستحضر من كريت منتجات ذات استهلاك جار ، ينطوى فيما يبدو على علاقات وثيقة قديمة . والورقة التى حفظت لنا هذه الوصفة قد كتبت على اكثر تقدير فى بداية الاسرة الثامنة عشرة تحت حكم احمس (١٥٨٠ - ١٥٢٨) ان لم يكن قبل ذلك . ولكن ليس هذا الا جمعا للنصوص الطبية السابقة على هذا التاريخ ، حيث جمعت فى المخطوط الذى وصلنا اليه . واذا حكمنا على هذا النص من مفردات اللغة التى استعملت فى هذه الوصفة فانه من المحتمل الاعتراف بأن النص الاصلى يرجع الى الدولة الوسطى .

واذا علمنا انه ليس من المؤكد ان مصر فى الدولة الوسطى قد عرفت اسم مينوس فنحن نرى ان المصادر الكتابية لهذا العصر قليلة العدد جدا باستثناء الوصفة الطبية ، لا يشير اى نص هام الى العلاقات بين مصر وقدماء الهلينيين . ومع هذا فان المصادر الاثرية فى كريت وفى مصر ولو انها قليلة العدد هى الاخرى تثبت أن العلاقات التى استحدثت فى نهاية الدولة القديمة وفى العصر المينوى القديم الثانى ، قد تتابعت فى عصر البرونز الاوسط .

ان ندرة هذه المصادر سواء منها الكتابية او الاثرية تضع المؤرخ فى حالة حرج من ناحية الضمير . فاى موقف يمكن اتخاذه اذا ما افتقر

الى المعلومات ؟ هل يلجأ الى النقد الشديد ويشكك فى وجود العلاقة
بين الحضارتين او بالعكس يرى فى بعض الحقائق التى يلاحظها دليلا على
علاقات وثيقة ثم يترك للخيال مهمة تكملة البناء الشامخ ؟ ان الحكمة
هى ان نعترف فى حدود ما وصلت اليه معلومات حتى الآن بالجهل .
توجود بعض اوان ايجية فى مصر ، واوان مصرية عثر عليها فى كنوسوس،
والنصوص ذاتها لا تكفى مع هذا لاثبات وجود روابط وثيقة بين قدماء
الهلينيين والمصريين . ومع هذا فان العلاقات بين الشعبين لم تكن فى
البرونز الاوسط نادرة كما توحى بذلك قلة النصوص . وبغض النظر عن
الوقائع المحسوسة ، فان وجود اشياء ايجية فى مصر واشياء مصرية فى
كريت ، وورقة البردى الطبية ايبرس Ebers تدل فى الواقع على ان
المصريين كانوا يحصلون من كريت على بعض الادوية . وتنطوى هذه
الحقيقة من جانبهم على معرفة ولو بسيطة على الاقل بكريت . ومع هذا
فان نصوصا مصرية فى الاسرة الثامنة عشرة تدل على ان المصريين لم
يعرفوا فقط الطب ، بل عرفوا كذلك السحر الكريتى ايضا . وهذا
يدفعنا الى التمسك بأن العلاقات الوثيقة بدات بين مصر وكريت فى
العصر البرونزى الاوسط ، وذلك رغم انعدام المصادر التاريخية
الوثيقة . اذ من المستحيل التعرض لكريت ومصر دون ملاحظة الاتصال
الذى حدث بينهما .

لقد اصبح من الممكن حقا ان نعتبر استخدام الكريتيين للختم المصرى glyptique المستدير الخاص بالأسرة ١٢ بدلا من الختم الحلزونى spirale الخاص بكريت خير دليل على توطد العلاقات بين المصريين والمينويين ، من ظهور اوانى كمارس نفسها فى مناطق مصر الوسطى (كانتور H. Kantor). وان كانت هذه الاستعارة الواضحة لا تثبت صلات مباشرة بين البلدين فيمكننا الاستدلال عليها من ظهور الاختام الحلزونية فى المناطق الفلسطينية والمصرية على السواء فى مطلع عصر البرونز الوسيط . وقد يتضاءل هذا الدليل امام اكتشاف خزانة المجوهرات المصرية للاسرة الثانية عشرة (بدهشور خاصة) واكتشاف آثار الهكسوس من الاسرة الخامسة عشرة حتى بداية الاسرة الثامنة عشرة (خنجر احمس) وكلها تنطق بأثر النفوذ الايجى الواضح . فان كان المصريون قد طبقوا الاساليب والفنون الصناعية الموجودة فعلا فى بلاد الهلينيين القدماء ، فاننا نفهم بوضوح ظهور الصناعات الفنية المصرية وتطورها فى كريت فى عصر البرونز الوسيط ، وخاصة فنون الرسم والنقش والخزف

وهذه الإستعارات المتبادلة الى جانب الادوات الكثيرة المكتشفة هنا وهناك ، يمكن ان تفسر بعلاقات غير مباشرة بين العالمين المصرى

والكريتى عن طريق الوساطة السورية فى مطلع البرونز الوسيط ، والوساطة الفلسطينية فى نهاية هذا العصر ذاته . ولكن هذا لا يستبعد امكان قيام علاقات مباشرة ، فان البحرية المصرية فى الاسرة الثامنة عشرة كانت قوية جدا فى شرق البحر الابيض المتوسط . فهل فى مثل هذا دليل طيب على خيال غير منتظم افضل من وضع المشكلة البحرية فى الدولة الوسطى ؟ ان ظهور الادوات المصرية للاسرة الثانية عشرة من جديد فى سوريا الشمالية يسمح باثارة هذا السؤال ، لاننا نشك كثيرا فى ان هذه الآثار استطاعت ان تصل بعيدا الى هذا الحد فى ذلك العصر ، عن طريق البر . فما هى اذا السفن التى نقلتها ؟

اليس ضعف قوة الاسطول المصرى ، نتيجة لانقراض الاسرة الثانية عشرة فى مصر ،هو السبب فى اختفاء ادوات مصرية فى سوريا الشمالية، فى نهاية عصر البرونز الوسيط ؟ قد يكون من المغرى اذا ان نرى فى ضعف بحرية الفراعنة هذا ، احد اسباب اتساع تجارة كريت نحو الجنوب الشرقى الاسيوى فى ذلك العصر .

الفصل الرابع

علاقات الايجيين والمصريين

فى عصر البرونز الحديث (١٥٥٠ – ١٢٠٠ ق.م)

ان المصادر الكتابية منها والأثرية التى تسمح بدراسة العلاقات الايجية المصرية فى عصر البرونز القديم والبرونز الوسيط تعتبر فى مجموعها مصادر قليلة العدد .

اما ابتداء من عصر البرونز الحديث الذى يقابل فى مصر الاسرة الثامنة عشرة القوية فان كثرة الوثائق تعطينا فكرة واضحة بعض الشىء عما كان يعرفه المصريون عن الايجيين ، وما اخذوه عنهم وعن الطريقة التى سلكوها لبدء العلاقات معهم .

ان غزو « شعوب البحر » فى القرن الثانى عشر قلب من اساسه التوازن السياسى والثقافى لشرق البحر الابيض ، ووضع حدا للروابط السلمية التى كانت قد نشأت بين غرب افريقيا وشرقها ، فلابد من انتظار التوسع الاغريقى فى القرنين الثامن والسابع كى تتوثق تلك الاتصالات من جديد . الا ان الحضارات قبل الهلينية تكون عندئذ قد انقضت واختلطت بالهلينية . فتثار « مشكلة الشرق » بطريقة مختلفة تماما ، ولكنها ليست من اختصاصنا ، وتخرج عن اطار هذا الكتاب . وتتوقف دراستنا اذن عند فجر القرن الثانى عشر قبل الميلاد .

والقرون الاربعة التى تبدا من ١٥٥٠ « منتصف حكم امينوفيس الاول ١٥٥٧ – ١٥٣٠ » حتى هزيمة شعوب البحر فى مصر (حوالى ١١٩١) تتميز باضطرابات هامة ، تقلب فى كثير من الاحيان العلاقات الدولية فى البحر المتوسط راسا على عقب . فان مصر تحت سلطة امينوفيس والتحامسة الاقوياء ، بعد ان كونت وحدتها الداخلية وطردت الفزاة الاجانب ، تندفع فى سلسلة من الحملات الحربية على آسيا حيث تصطدم بالميتانى ، وهم الفزاة الجدد الذين اقاموا شرق الفرات .

ولقد انشا الفراعنة المصريون او احتفظوا لعملياتهم الحربية البعيدة عن وادى النيل ببحرية قوية ولا نعرف لسوء الحظ التاريخ المفصل لهذه النهضة البحرية المصرية ، ولكن من الواضح انه ابتداء من الحكم الشخصى لتحتمس الثالث (١٤٨٤ – ١٤٥٠) كان الاسطول المصرى سيد البحر المتوسط . ومن المحتمل جدا انه فى عهود حكم امينوفيس

الاول وتحتمس الاول والثانى ، وهم اول من حمل الاسلحة المصرية حتى اعالى الفرات (نهارينا) كانت البحرية الفرعونية قوية جدا ايضا . لذلك فمن المحتمل ان نلاحظ ان تقدم القوة البحرية المصرية يقابله توسع فى العلاقات مع العالم الايجى — فالظاهرتان مرتبطتان ارتباطا واضحا كل منهما بالاخرى .

ومن الجانب الايجى يتطور الموقف بالمثل ، فبينما كانت الحضارة المينوية الكريتية حتى العصر المينوى القديم الثالث تمثل وحدها من الناحية العملية الحضارة قبل الهلينية فى تجارة الشرق ، تبدا فى عصر البرونز الحديث الحضارة الموكنية تلعب دورا فى العلاقات بين الغرب والشرق ، هذا الدور سوف يزداد نموا . وابتداء من نهاية القرن الخامس عشر (تخريب القصور الكريتية) حتى القرن الثانى عشر سيكون تجار القارة الاوربية والارخبيل وحدهم هم الذين يزاولون المقايضات المثمرة بين آسيا وافريقيا :

وهكذا نرى فترتين كبيرتين ترتسمان : من سنة ١٥٥٠ حتى ١٤٠٠ تحت الحكم الفرعونى تكون التجارة فيها بين ايجة ومصر تحت اشراف وتنظيم مصر ما فى ذلك شك وفى هذه الفترة تلعب كريت ايضا الدور الرئيسى بينما كان الموكنيون يشتركون فيها من قبل. ومن سنة ١٤٠٠ حتى ١٢٠٠ تحتل القارة نهائيا بالآخيين وتقع تحت تاثيرهم بعد ان كانت تحت تاثير جزيرة مينوس . واكثر من هذا ، فانه ابتداء من ١٣٨٠ تقريبا واستغلالا للتدهور المصرى فى آسياء تنمو التجارة الموكنية فى الشرق وفى افريقية ويصبح الخزف الموكينى اكثر انتشارا فى مصر من الاوانى المينوية . واخيرا فان غزو شعوب البحر ثم غزو الدوريين يقضيان على التجارة الموكنية فى الشرق الادنى وفى تاريخ العلاقات بين المصريين وقدماء الهلينيين .

هل الكفتيو اسيويون ام كريتيون ؟

عند ما عرضنا فى اول الامر لمسالة بلاد الكفتيو بينا اهميتها فهى فى الواقع من صميم مشكلة العلاقات بين المصريين والهلينيين القدماء فى كل العصور . فاذا تخيلنا — كما يفعل ذوو النوايا الطيبة — عن الفكرة القائلة بان كريت هى كفتيو فى النصوص المصرية فالمصادر التاريخية التى تبقى تحت ايدينا لدراسة العلاقات الايجية المصرية تصبح غير كافية . ويكون لنا الحق حينئذ ان نتساءل ان كانت قد وجدت قط علاقات بين كريت ومصر .

ولن نرجع الى تاريخ ظهور كلمة كفتيو فى النصوص المصرية ،

فورقة بردى ليد المعروفة بالنصائح تدل على ان الكلمة كانت قائمة من قبل فى مفردات اللغة المصرية منذ نهاية الدولة القديمة . ولنذكر بهذا الصدد ان هذه الحقيقة تقوى المعادلة كفتيو : كريت .

وجغرافية سوريا وفلسطين قد عرفت الآن معرفة جيدة . وكذلك اسماء البلاد والشعوب التى كانت جزءا منها ، تظهر ايضا بصورة اكثر فى القوائم الجغرافية للدولة الوسطى منها فى الدولة الحديثة. ومع هذا فانه من المستحيل ان نظن ان بلاد الكفتيو هى فينيقيا كما كان يظن من قبل (تشاباس وماسبيرو) . فاذا كانت الكفتيو اذن احدى بلاد الساحل الاسيوى فلا يمكن ان تكون بلدا واقعا فى الشمال من راس شمره لانه لا محل لها على هذا الساحل بين هذا الميناء والساحل المصرى . ولكن اذا كانت فكرة الكفتيو فى النصوص المصريه وظهور امارات غير مشتركة فى العلاقات بين كريت ومصر ابتداء من العصر المينوى القديم الثانى ، وتقليد الصناع الكريتيين لآنية الاسرة الرابعة المصرية وظهور الاختام المستديرة فى شكل الازراء فى كريت ، وكلها كانت معاصرة . فليس الحال كذلك بالنسبة لآسيا وكيليكيا والاناضول او منطقة الإسكندرونة ، فليس هناك دلالة اثرية واحدة تشير الى ان هذه البلاد كان يمكن ان تكون على علاقة بالعالم المصرى فى نهاية الدولة القديمة . وهذا كما نفهم دليل سلبى وبالتالى يؤخذ بحذر . ولكن لا جدال فى ان كافة الاشياء المتساوية وظهور كلمة كفتيو فى اللغة المصرية وما تبقى لنا من التاثيرات الأولى المصرية فى كريت لها وزنها الكبير فى توحيد بلاد الكفتيو وكريت .

ولم يكن المرء ليتوصل الى هذا تدريجيا الا بالاستناد أساسا الى صور المقابر المصرية حوالى عام ١٩٣٠ ليرى بالاجماع تقريبا ان كلمة كفتيو هى الاسم المصرى لكريت. وفيما عدا ذلك فان بعض المستشرقين، ويحسن ان نذكر على راسهم (وين رايت) لم يقبلوا قط هذا الراى ، وظلوا يرون فى كفتيو بلاد كيليكيا . وقد لاقى هذا الراى منذ بضع سنوات قوة جديدة . وبعد محاولات كثيرة يقترح البعض اربعة حلول على مؤرخى التاريخ القديم . فبلاد كفتيو يمكن ان تكون :

ا — كريت فقط (وهذا راى جاردنر وجوتيه والمؤلف) .

ب — كيليكيا (وين رايت وفورومارك) .

ج — كريت وكيليكيا (ايفانس وبندلبرى وهول) .

د — جزءا من سوريا الشمالية (شيفرومس ولكر وكرستوف) .

والحقيقة انه يجب ان نتصور لهذه المشكلة حلين فقط : فاما ان

كفتيو هى كريت وحدها واما ان موضعها يجب ان يكون فى كيليكيا . والواقع ان الحل الثالث الذى يجعل من هذه البلاد كريت وكيليكيا فى وقت واحد حل مستحيل . لان البلدين يفصل بينهما مايقرب من ٩٠٠ كيلو متر ، ولا ندرى كيف ان الجغرافيين المصريين مهمـا بلغ جهلهم يجعلون منهما منطقة واحدة . اما الحل الرابع فليس الا تنويعا للحل الثانى الذى يجعل بلاد كفتيو هى كيليكيا .

والواقع ان الحجج التى ترد سندا لهذا الافتراض الاخير ليست من الدقة بالدرجة الكافية التى نستطيع بها ان نوحد بين الكفتيو ومنطقة ادنة مثلا والاولى ان نوحدها بمنطقة الاسكندرونه (سوريا الشمالية) والمدينتان لا تبعدان الا بمسافة مائة كيلو متر تقريبا . فبلاد الكفتيو كانت اذا ، اما فى الزاوية الشمالية الشرقية من البحر الابيض (سليزيا وتراقيا وسنجق الاسكندرونة) واما فى كريت . وقد بينا ان المؤرخين يجب ان يختاروا بين هذا الحل او ذاك (جاردنر) .

وابتداء من عام ١٩٠٠ قـام تحـديد موضـع بلاد الـكفتيو على ملاحظتين او مجموعة من الملاحظات يعدونها جوهرية :

اولا : صور سكان بلاد كفتيو على جدران المقابر الخاصة بمصر تتشـابه تشابها دقيقا مع صور المينويين المرسومة على جدران كريت — فهم اذا كريتيون .

ثانيـا : الكلمة المصرية كفتى Kefti قريبة جدا من الـكلمة الواردة فى الانجيل كفتور Kaftor وكفر Kafer ، لذا فهى لا تدل على نفس البلاد . اذ جاء فى الانجيل (آموس — ٩ ، ٧) « الست انا الذى استقدمت ... فلسطينى كفتور » (انظر ايضـا Jér., XLVIII, 4) وتبعا لروايات الانجيل واليونان جاء الفلسطينيون من كريت . ومن ثم فالمعادلة كفتور / كفتيو = كريت .

ويرد على هذا انصار التحديد المنطقى الاسيوى للكفتيو بقولهم :

١ — انه من الخطا وصف سكان بلاد كفتيـو المرسومين على المقابر المصرية بانهم ايجيون ، بل هم آسيويون (وين رايت) . والواقع او الانسب تمييزهم عن الايجيين الحقيقيين الذين يختلطون بهم (وين رايت) واما ان اغلب الرسومات المصرية التى تصاحب نصا من النصوص تبين بدقة ان الامر يتعلق باهل كفتيو ، فانهـا تصورهم على انهم آسـيويون ؛ لا بوصفهم هلينيين قـدماء (فورومارك) .

٢ — لا شىء فى الانجيل يؤكد ان الكفتور تدل حقيقة على كريت . وليس

هذا الا استنتاجا للنقاد المحدثين (وين رايت وفورومارك) .

٣ — فى القوائم الجغرافية ترتبط بلاد كفتيو ببلاد الحيثيين (سـوريا الشمالية) ونهارينا (ميتانى) وسنقر (فى بابل) وايزى (قبرص) . وكل هذه البلاد بلاد آسيوية ، فتكون كفتيو ذاتهـا اسيوية (وين رايت) .

واذا فنحن نجد فى حالة الرسـومات ان نفس المصـادر الاثرية تظهرنا على البعض من سكان كفتيو بوصـفهم كريتيين والبعض الآخر بوصفهم آسيويين . ومن الواضح اذا ان الرسوم وحدها يمكن ان تؤدى الى حل المشكلة . فالنصوص المصرية وكذلك السامية لا تسمح وحدها بان تحدد بدقة المكان الذى يشغله الكفتيو . فهى اما ان تذكر هذه البلاد عرضا كموردة لسلعة خاصة ، ولا نستطيع ان نستنتج من هذا شيئا ، واما ان كفتيو تظهر فى القوائم الجغرافية . ولو ان المصريين اتبعوا نظاما جديا فى تعدادهم للبلاد الاجنبية لاستطعنا اذا دون شك تحديد مكانها . وهذا ماظن البعض انهم يستطيعون عمله ، بوضع هذه البلاد فى كيليكيا ، لانها تظهر بين منوس Menous (مالوس فى كيليكيا) ، والميتانى (اعلى الفرات) ورتنو « سوريا الشمالية » (وين رايت) . ولكن راينـا من ناحية انه من غير المؤكد ان مينوس تعنى بالضبط احدى مدن كيليكيا ، ومن ناحية اخرى لم يتبع الكتاب قط نظاما معينا فى تعدادهم للبـلاد الاجنبية عند ما يكتبون . وهذا هو الحـال فى القوائم القصيرة التى تذكر مناطق كبيرة وحضارات كبرى غير المصرية .

والواقع ان الكتاب — وهذه مشكلة نقد داخلية تتعد الاطار الضيق لما يشغلنا الآن — لم ينشئوا قوائمهم لكى يؤلفوا فى الجغرافيا وانما الأمر عندهم هو تمجيد « عالمية » القـوة الملـكية المصرية . ومن ثم أصبح لا يهمهم تصوير الاسماء المذكورة فى هذا المكان او ذاك ، انما المهم عندهم هو عدم نسيان واحد منها . وقد استطعنا ان نبين ايضا بخصوص هذه القوائم انه اذا اخذنا ثلاثة اسماء متجاورة لبـلاد ، متجهين من الغرب الى الشرق : مثل (١) بلاد النهرين (٢) ميتانى (٣) بلاد الحيثيين فان القوائم المصرية تحدد لنا التجاور على نحو ما ذكرنا ١ ، ٢ ، ٣ أو ٢ ، ٣ ، ١ أو ٢ ، ١ ، ٣ أو ٣ ، ٢ ، ١ أو ٣ ، ١ ، ٢ . وواضـح اذا انه

عندما كان المصريون يذكرون اسماءجغرافية ، لم يكونوا ليشغلواانفسهم بالموقع المتعلق بهذه البلاد بعضها بالنسبة للبعض الآخر. ومن المستحيل ان تخرج بشيء دقيق من هذه النصوص ما لم تكن بلاد كفتيو واقعة فى اقصى الشمال والى الغرب من الامبراطورية المصرية « وهذا ينطبق ايضا على كريت الواقعة فى الشمال الغربى بالنسبة لمصر بالمعنى الصحيح ، ولا ينطبق على كيليكيا الواقعة الى الشمال الغربى من الامبراطورية المصرية كما صوروها فى بداية الدولة الحديثة .

وسنلاحظ مع هذا ان بلاد كفتيو تقترن فى كثير من المرات بالغرب وان سكانها ياخذون شكل الغربيين مثل الليبيين (مقبرة رخمارع) . ولا ننس ان قبرص (ايزى) تعتبر ايضا بهذا الصدد فى حكم الغربية (نصب الكرنك الشاعرى) وان تكن واقعة الى الشرق من مصر . الا ان نبات الرواية المصرية التى تجعل من بلاد كفتيو بلدا غربيا هى فى صالح التحديد الموضعى لكريت ، وفيما عدا هذا تتساوى الاشياء كلها . ومع هذا فما ذلك الا احتمال ، لأن النصوص لا تؤكد ان بلاد كفتيو هى كريت وليست كيليكيا .

والجدل الذى يستخلص من المعادلة : كفتيو = كفتور = كريت ليس هو الآخر فى ذاته مقنعا جدا ويجب الاعتراف بهذا . وقد لوحظ حقا انه اذا امكن اثبات ان الكفتيو عند المصريين كانت هى كريت فان هذا سيقوى المعادلة : كفتور = كريت (جاردنر) . اذ أن من الواضح انه يستحيل عمل استدلال عكسى واثبات التحديد الموضعى لبلاد الكفتيو فى كريت باستخدام نصوص الانجيل او النصوص السامية القديمة .

وسنوجه نفس الاعتراض للمحاولة الحديثة المبتكرة التى تنسب الى فورومارك للتقريب بين كابتارا Kaptara وكفتيو فى النصوص المصرية الاسيوية واسم العلم كابديروس Kabdéros فعلى تمثال عثر عليه حديثا (١٩٤٧) فى كاراتيبى Karatépé يذكر ايستا واندا Aistawanda ملك دانونيم Danunim أن وريث عرشه موسعو Musphu (موبسوس Mopsus) . وقد جرى تقريب هذا النص من احدى الروايات الهلينية التى تؤكد ان موبسوس تزوج من بامفيل ابنة كابديروس . وهكذا نجد موبسوس مرتبطا بكيليكيا الشرقية ، وطن الدانونيم (نص كراتيبى) وكابديروس « كفتيو ؟ » فى بامفيلى او كيليكيا التراقية (فى الروايات اليونانية) الا انه مهما بلغ هذا التقريب من الاغراء ، فانه لايبدو لنا حاسما . فقد انقضى ما يقرب من الفين من السنين بين ظهور كلمة كفتيو / كابتارا فى المجال المصرى السامى

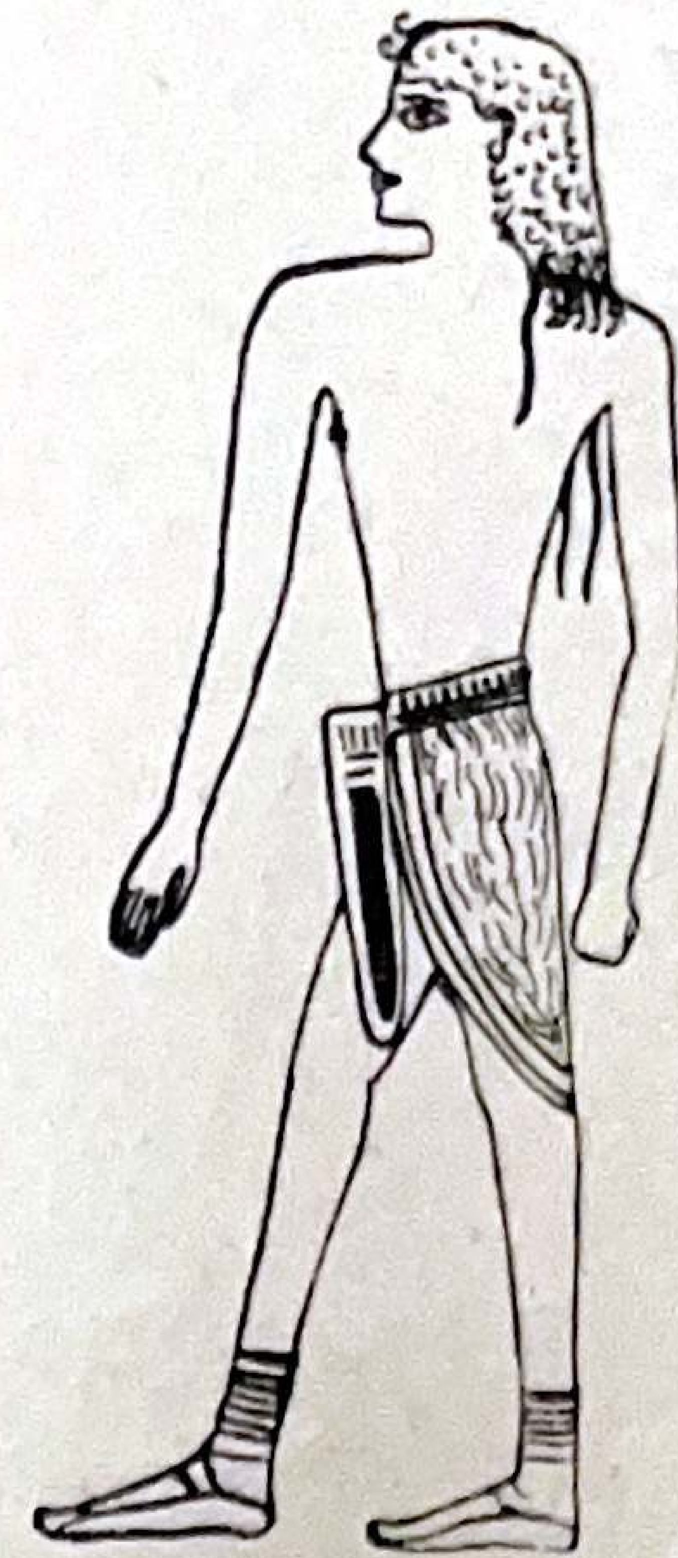
والمنطقة الاثرية التى كتب عليها نص كراتيبى (وهذا الاخير يذكر كلمة موبسوس ولا يذكر كابديروس) .

كل هذا يحمل على الظن فى الواقع ان كلمة كفتيو كانت توجد فى مصطلحات اسماء بلاد الشرق الادنى حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م . ويرجع نص كراتيبى الى القرن الثامن . اذا فمن المستحيل كما بينا ان ننهض بلا دليل على استمرار معنى كلمة جغرافية ، خصوصا عندما يتعلق الامر ببلاد فى منطقة التقلبات بالهجرات كآسيا الصغرى فى الالف الثانى قبل الميلاد . فاذا كانت كابديروس تمثل حقا كابتارا القديمة فليس هناك ما يمنع انصار التحديد الموضعى الكريتى من ان يجعلوا من هذه الكابديروس / كابتارا كريت المهاجرة التى ثبتتها غزوات القرن الثانى عشر — او غزوات اكثر قدما — على ساحل بامفيلى . وكما نرى يظل بحثنا فى مجال الافتراض .

يجب الرجوع من هذا اذا الى الرسوم المصرية لانها هى وحدها التى تقدم الوثائق المعاصرة تماما ، والتى يمكن اذا مقارنتها بدقة . فاذا كان اجانب بلاد الكفتيو الذين وردت صورهم على جدران المقابر المصرية لهم سمات المينويين ويلبسون زيهم ، كما يمكن ان نلاحظ ذلك على الآثار التى عثر عليها فى كريت ، فالسبب مفهوم وسكان الكفتيو كريتيون. وعلى العكس ان كانوا مختلفين تماما ، يجب العدول عن التحديد الموضعى الكريتى ويكون على انصار تحديد موضع كيليكيا اذا ان يثبتوا ان سكان كفتيو على جدران المقابر المصرية يمثلون حقا الصورة الطبيعية من حيث السحنة والهيئة وانهم يلبسون زى اهل كيليكيا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

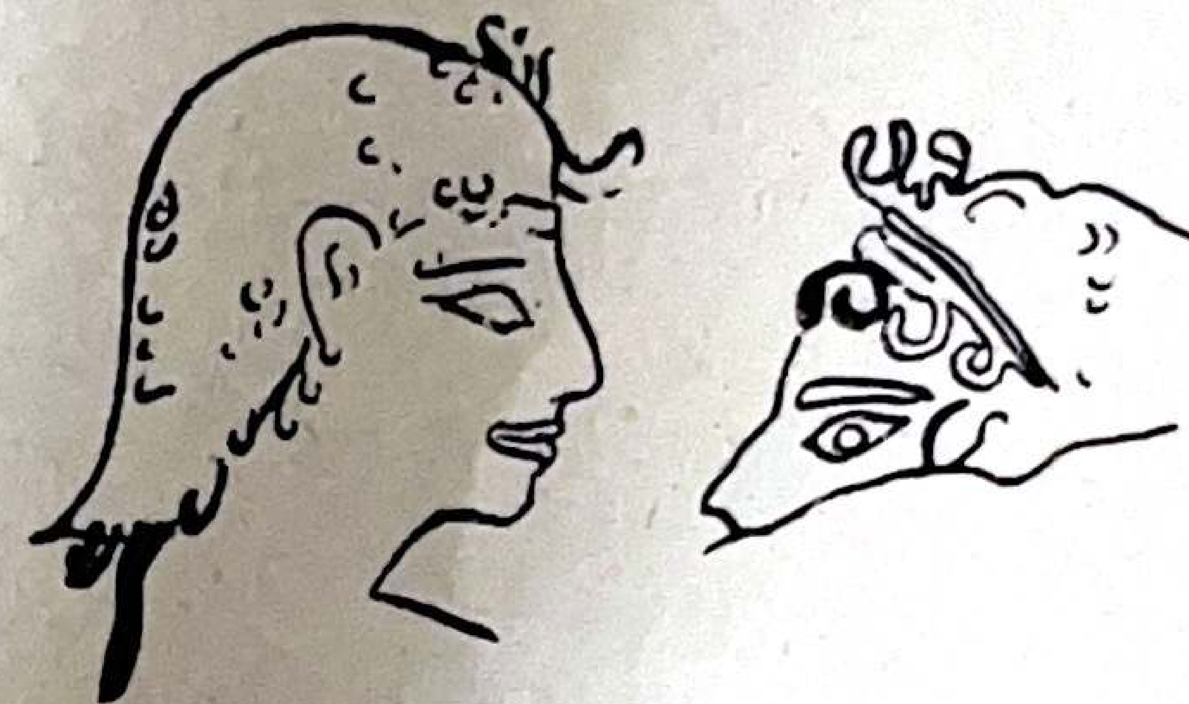
وقد صور الفنانون المصريون فى المعابد تارة وفى المقابر تارة اخرى الشعوب الاجنبية : رجالا من البدو يحضرون للاله وللملك محاصيل بلادهم ، واسرى الحرب يقدمون الولاء للآلهة او القرابين لهم . ولكن خمسة مقابر فى طيبة من بين صور الاجانب كلها تبين شكلا انسانيا غريبا كل الغرابة لا يظهر فى اى مكان آخر للفن المصرى .

هذا الشكل لرجل اجنبى يتميز اولا بلون جلده البنى الاحمر الداكن جدا ، وبغرابة فى تصفيف شعره ، يتضمن فى نفس الوقت الضفائر الطويلة المتموجة والضفائر المعقوفة القصيرة وكثيرا جدا ولكن ليس دائما ، ضفيرة او اكثر على شكل حلزونى تعلو الجبهة او الرأس . كما يتميز ايضا بعدم وجود لحية . اما ملبسه فقوامه السروال القصير المنقوش غالبا ، وتتدلى منه قطعة من الامام احيانا ويكون معقودا فى احيان اخرى . وله ايضا حذاء عال غريب (شكل ١٤)



شكل (١٤)
صورة أجنبى
بمقابر طيبة

فاذا قارنا مختلف خصائص هذا النوع الانسانى بتصويرات الايجيين على جدران مقابر كنوسوس مثلا ، امكننا ان نقرر وجود اوجه شبه لا يمكن انكارها . كاللون البنى للرجال يقابله اللون الفاتح لرفيقاتهم وتصفيف الشعر فى ضفائر مموجة او معقوفة باطوال مختلفة ، وخاصة الخصلات التى تعلو الجبهة او الراس .. تلك هى السمات التى يجدها المرء على جدران المقابر وفى رسوم كريت كما هو بالمثل فى نقوش طيبة (شكل ١٥)



طيبة (رخمارع) — كنوسوس

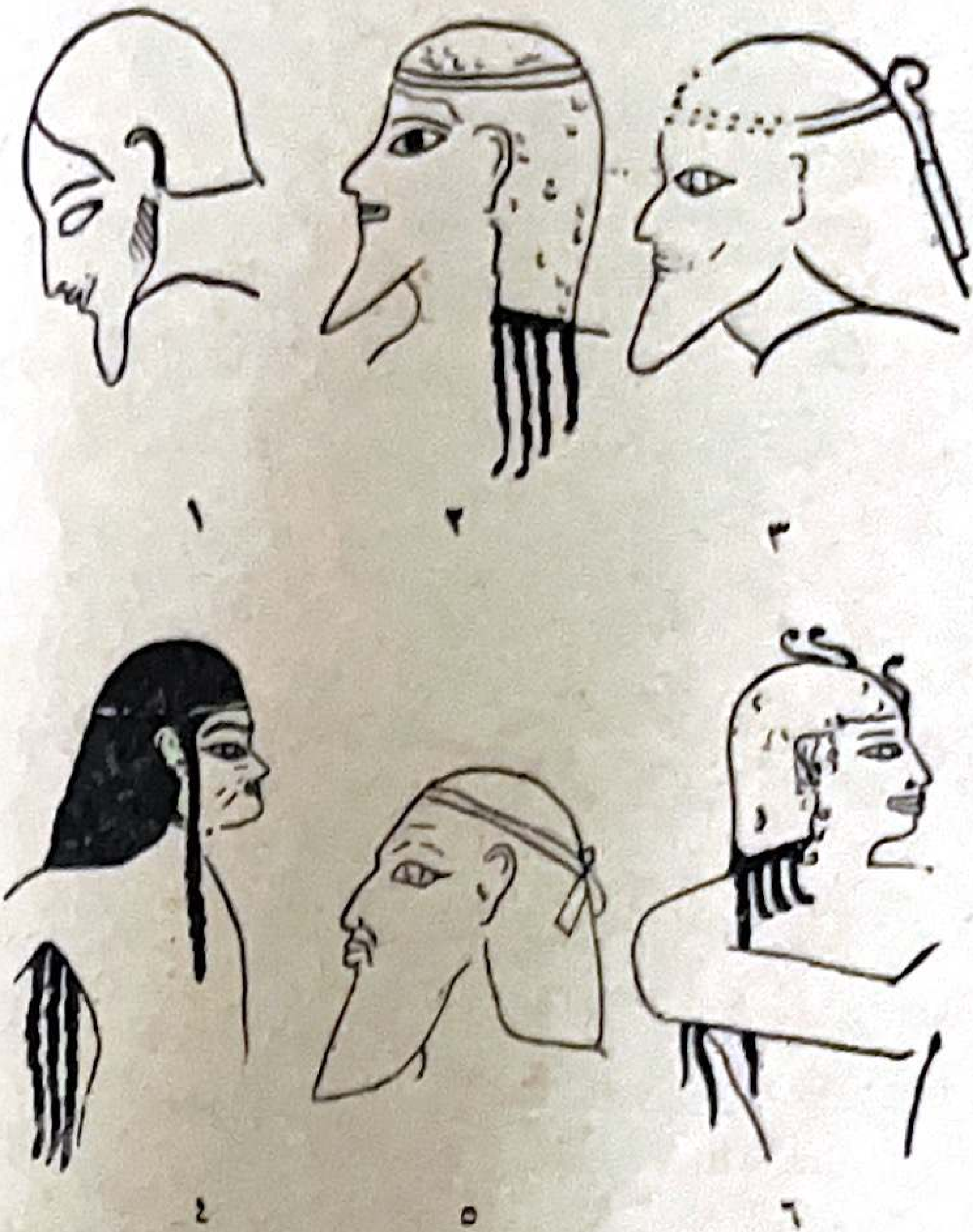
شكل (١٥)

والرجال على جدران مقابر كريت كما هم فى الصور المصرية بلا لحى، وكذلك نوعا الزى : السروال القصير ذو القطعة الامامية والسروال (الشبيه بالفوطة) المعقودة – معروفان جيدا فى كريت وفى القارة الاوروبية حيث تتعدد الوانها . وكذلك الاحذية المرتفعة شوهدت فى كريت كما صورت على جدران المقابر المصرية . وهكذا فان القرابة بين قدماء الهلينيين – كما تدلنا الآثار الايجية – والجنس الاجنبى المصور فى المقابر المصرية ، من الوضوح بمكان مما جعل العلماء المعادين لفكرة توحيد الكفيتو وكريت يعلقون على هؤلاء الملتزمين المصورين فى مقبرة رخمارع بانهم اشباه مينويين quasi — minoens (فورومارك) .

فالمشكلة التى تواجهنا ليست اذا فى معرفة ما اذا كان الملتزمون على جدران مقابر سنموت واوسرآمون ورخمارع ومنخبررع سنب التى تحمل السمات التى سقناها ايجيين حقا ، فكل الاخصائيين يعترفون بذلك ولو بالنسبة للمقبرتين الاولى والثانية مما ذكرنا ، بل المشكلة هى ان نعرف ما اذا كان هؤلاء الايجيون يحملون او يحملون اسم كفيتو .

والحقيقة ان الايجيين المرسومين فى مقبرتى سنموت واوسرآمون لا يوصفون بانهم من سكان كفيتو ، ولكن مقبرة رخمارع فقط هى التى تصورهم يحملون اشارات امراء بلاد الكفيتو والجزر التى فى وسط البحر وذلك فى منظرين . الا ان رسوما اخرى لاجانب عنوانها «سكان الكفيتو» تمثل آسيويين من انواع مختلفة غير هؤلاء . واعتمادا على هذه الملاحظة ، وبعد جمع كل هذه الصور المختلفة امكن التشكيك حديثا فى الطابع الايجى لشعب بلاد الكفيتو فى مجموعة (فورومارك) . فاذا وضعنا جنبا الى جنب كل الصور التى تمثل سكان هذه البلاد ، فان الحجة تبدو فى الحقيقة قوية (شكل ١٦) . فان ملتزمى رخمارع وحدهم هم الايجيون لا جدال ، اما الآخرين جميعا فانهم اسيويون من ذى البشرة الفاتحة . اما اذا تمسكنا فى ذلك بالحجة العددية ، فمن المؤكد ان سكان بلاد الكفيتو ليسوا كريتيين . الا ان كل مؤرخ يعرف جيدا ان الاهمية ليست فى عدد المصادر بل فى نوعها . وقد قيل فى صدد الحديث عن المصادر المكتوبة « انها لا تعد ، ولكن تقدر بقيمتها »(١) الا ان هذه الملاحظة صحيحة ايضا بالنسبة للرسوم : « ان كثرة العدد لاتعنى شيئا . فقراءة خاطئة يمكن ان تحدث فى كل المخطوطات الموجودة» (كولومب P. Collomp) ولكن اذا اخضعنا للنقد الرسوم المصرية المختلفة لسكان كفيتو التى وصلت الينا ، لادركنا ان واحدة منها فقط هى الجديرة بالثقة ، تلك هى صورة مقبرة رخمارع .

(١) Non numerentur sed ponderentur.



شكل (١٦) سكان اقليم كفتيو كما يظهرون فى الرسوم المصرية

ولنلاحظ اولا وقبل كل شيء انه من غير الصحيح القول بان اغلب صور اهل الكفتيو تجعل منهم اسيويين . فان امير كفيتو فى مقبرة منخبررع سنب (شكل ١٦ ـ ١) سورى من الشمال اصيل . وملتزمى امنحتب (شكل ١٦ ـ ٣) سوريون فلسطينيون من فرعين مختلفين ، وشخصية كينامون (شكل ١٦ ـ ٢) الذى وصف بانه من اهل كفيتو هو فى الحقيقة من سكان بلاد بونت (فى جنوب الجزيرة العربيـة ـ فالصورة فيها لاحد شواطىء البحر الاحمر) اما مقبرة اينينى Ineni من الحيثيين (شكل ١٦ـ٤) . واخيرا فان صورة معبد ابيدوس (شكل ١٦ ـ ٥) فهى لاحد افراد الجنس السامى ـ قليل التمايز من غير شك وهكذا نرى انه من العبث ان يصبح مفهوما ان خمسة آثار من ستة تمثل الكفتيو بوصفهم اسيويين وواحد فقط هو الذى يجعل منهم ايجيين . وكان ينبغى أن نقول ان سكان كفيتو فى اثنين من هذه الآثار مختلفون بوصفهم سوريين فلسطينيين ، وفى واحد آخر من بلاد بونت وفى رابع من بلاد الحيثيين (اى هندى اوروبى) ، وفى خامس احد الساميين وفى السادس احد قدماء الهلينيين . ومن الواضح اذا ان الكثير من هـذه

الرسوم زائف مادام ان بلدا واحد بالذات كان مسكونا بايجيين وسوريين وافريقيين (بونت) وحيثيين وساميين فى وقت واحد فى اشكال غير ايجيـة .

فاننا نرى ان اخطاء جسيمة قد ارتكبت فى الكتابات التى تصاحب صور الاجانب فى خمسة منها : ففى مقبرة منخبررع سنب نجد امير الحيثيين تمثله سمات رجل سورى ، وفى رسوم جدران قبر امنحتب نجد نفس الاشخاص يوصفون بانهم ملوك كفيتو ومينوس فى احد السجلات ويسمون ملوك رتنو (سوريا) فى سجل آخر . وفى قبر كينامون نجد ليبيا فى سمات رجل من الجنس السامى بينما بصور الآسيوى (منثيو) فى قبر اينينى فى شكل الزنوج واخيرا نجد صورة الليبى فى معبد ابيدوس كاحد سكان كفتيو فى شكل احد الساميين .

وهكذا فان الآثار الخمسة ولا شك فى اسبقيتها جميعا لعصر مقبرة رخما رع ، ليس منها ما هو جدير بالثقة . وعلى العكس فاننا بفحصنا منظر الجزية الاجنبية فى مجموعة مقبرة رخمارع لانجد فيها خطأواحدا. فجزية الجنوب لاتشمل الا السودانيين والنوبيين ، وجزية بلادبونت لاتمثل الا نماذج انسانية من سكان الصومال ، وجزية سوريا (رتنو) تتكون فقط من السوريين باختلاف واضح اذ يلبسون الاردية الطويلة . ونتيجة لهذا فمن الواضح انه وجدت اخطاء من جانب الفنانين المصريين فى كثير من النصوص ، ولكن لا يحتمل ان يكون الخطأ من عمل فنان رخمارع الذى لم يرتكب غلطة واحدة بينما كان كل من الفنانين الخمسة الآخرين قد اعتادوا السهو الكبير .

ولا مجال للشك اذا نظرنا فى احدى الصور فوجدنا انها هى وحدها الجديرة بالثقة ، تلك هى صورة مقبرة رخمارع . حتما لقد قيل ان الملتزمين كانوا ايجيين حقيقيين ، وبالتالى فان كلمة كفتيو لم ترتبط بصور دافعى الجزية الآخرين وارتبطت فعلا بايجيين حقيقيين . بينمـا اراد البعض ان يجعل من اشباه المينويين خليطاواضحا من سمات مأخوذة عن مصادر مختلفة (فورومارك) . ونحن نظن على العكس ان الاجانب فى رخمارع هم حقا هلينيون قدماء وان الايجيين الذى وصفهم الكاتب بانهم (امراء بلاد كفيتو) لايمكن ان يكونوا الا كريتيين .

ونكتفى فى هذا الصدد بملاحظتين . احداهما تكمل الاخرى لاثبات الحقيقة : أولا كما تشير الى ذلك النصوص « ان سكان بلاد الكفتيو » و « سكان جزر البحر » اذا لم يختلطا كما تدل على ذلك قائمة الكرنك الشاعرية فانهما يتبعان مع هذا حضارة واحدة بعينها . والحقيقـة ، ولسنا وحدنا الذين نشير اليها ، انه فى الرسم بمقبرة رخمارع «لايوجد

شىء مطلقا يمكن ان يقترح ان الرسام قد اراد ان يصور شعبين متمايزين» (فورومارك) فسكان الجزر واهل الكفتيو يظهرون اذا حضارة واحدة . ولكن سكان الجزر هم دون مشقة ايجيون . والجميع يوافقون فى الواقع على اعتبار ملتزمى مقبرة سنموت مينويين حقيقيين « لا يمكن ان يوجد اى شك فى ان اهل كريت هم المرسومون فيها » (فورومارك) . ولكن اذا وضعنا جنبا الى جنب صور سنموت واوسر آمون لوجدنا اننا بازاء جنس واحد بعينه (انظر شكل ١٧) والنص (غير المنشور) الذى يصاحب



شكل (١٧)
الملتزمون الايجيون

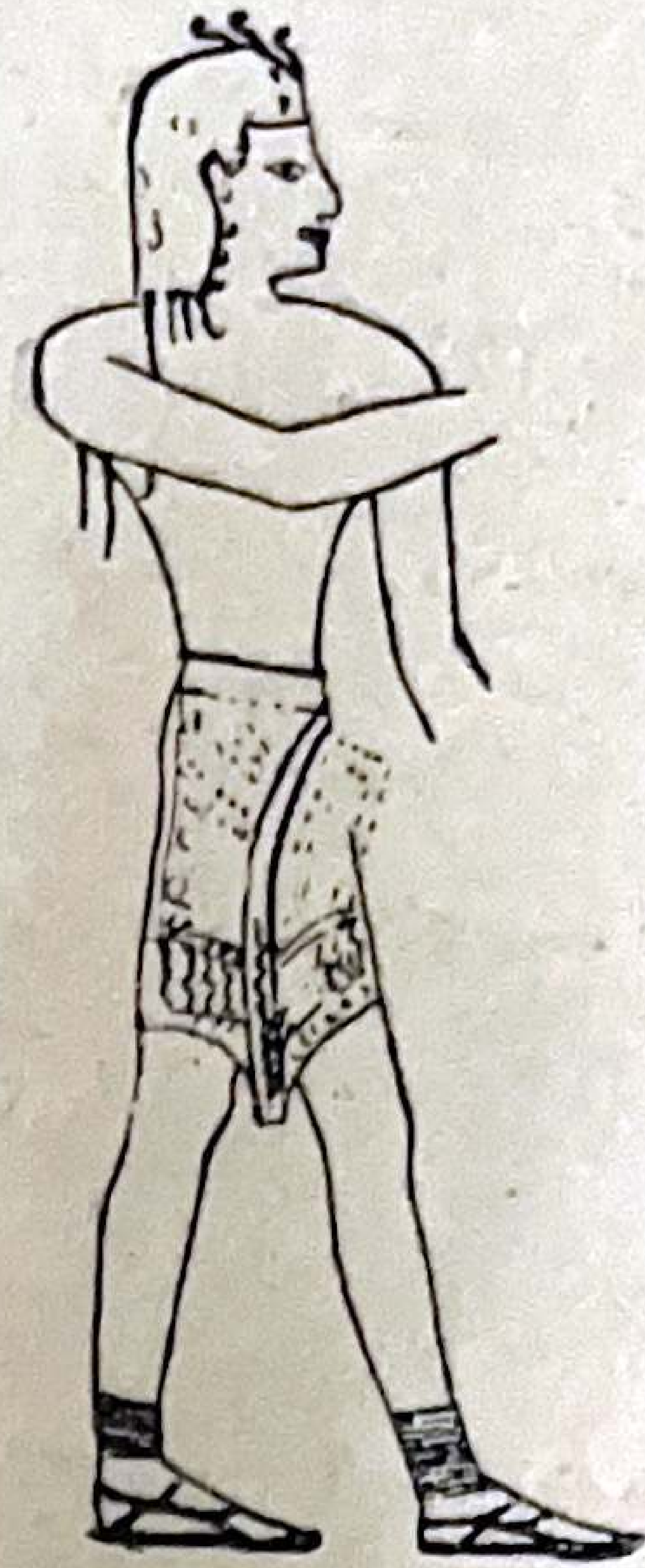
ملتزمى اوسر آمون يبين بدقة ان هؤلاء سكان «جزر هى فى قلب البحر» فاذا كان ملتزمو سنموت اذا هلينيين قدماء ، وهذا واضح فان سكان اوسرآمون هم كذلك ايضا ومهما قيل فى ذلك فان تعبير « الجزر التى هى فى قلب البحر » ينطبق جيدا على الايجيين ، ولما كان نفس التعبير قد استعمله كاتب رخمارع ليصف الملتزمين « اشباه المينويين » فانه ينتج بالضرورة ان هؤلاء المتزمين هم قدماء الهلينيين وليسوا من اختراع فنانين مصريين . ونتيجة لهذا فان زعماء بلاد الكفتيو الذين لهم نفس السمات ونفس الخصائص التى لسكان «جزر البحر» هم ايضا ايجيون.

ومهما يكن هذا الاستنتاج منطقيا فقد كنا نود ان تسنده ادلة اخرى كالدليل الذى نظن اننا نجده فى التحليل النقدى لتصويرات الايجيين فى مقبرة رخمارع . وستكون هذه هى ملاحظتنا التى تكمل برهاننا على ان الكفتيو هم حقا من اهل كريت .

والاساطير التى تصحب صور الاجانب فى مقبرة رخمارع مزدوجة.

فالمقدمة المنقوشة امام الوزير رخمارع تصف المنظر فى مجموعة ، وفيها نجد من بين جملة اشياء ، هذا الموظف الكبير « الذى يتسلم جزية بلاد الكفتيو ، ومن ناحية اخرى نقرا وصفا منقوشا بالضبط فى اعلى سجل الملتزمين الايجيين عن « مجىء امراء بلاد الكفتيو وامراء الجزر التى فى وسط البحر مسالمين» ، الا ان حقيقة حديثة جدا قد غيرت الفكرة التى كانت لنا عن مقبرة رخمارع . فان تنظيف المقبرة «١٩٤٧ — ١٩٥٠» قد اظهر انه تحت الرسوم التى كنا نعرفها من زمن طويل والتى اخذت منها مستخرجات فى كل مكان تقريبا ، كانت توجد رسوم اقدم ، لايجيين ايضا . هذه الصور قد محاها المصريون انفسهم لكى يخلوا مكانا لنقوش يمكن رؤيتها فعلا . فنحن اذا بازاء نوع من سطح مكتوب عليه مرتين . سجل الملتزمين الايجيين ، وهذا السجل فقط قد محى بكامله لكى يحل محله منظر مماثل . وتنجم حينئذ مشكلة معرفة ما هو الرسم الذى كتبت من اجله هاتان الاسطورتان ، هل هى النقوش الاولى ام النقوش الثانية على هذا السطح : ان المقدمة لا تمثل اى اثر لتعديل او تغيير فهى اذا معاصرة للحالة الاولى من النقوش وفى هذه الحالة تعود كلمة كفتيو على جدار المقبرة المحو الذى كان يمثل ملتزمين ايجيين ، ولا نزال نرى منه اثارا واضحة جدا هنا وهناك . وعلى العكس فالنص الذى يدخل فى صلب الرسم الذى هو فى حالة « بسيطة جدا » قد امكن محوه مع الرسم واعادة تاليفه بعد ذلك . ولكن اذا كان الكتاب لم يترددوا فى ان يخفوا سجلا بكامله بضعة امتار مربعة لكى يحلوا محله نقوشا فلا ندرى لماذا يذكرون النص القديم اذا لم يعد مطابقا للنقوش الجديدة وبعبارة اخرى أن النص الذى يعلو الرسوم سواء تجدد عمله ام لا فهو يصف باى حال المنظر الجديد .

واشباه المينويين فى رخمارع — الحالة الثانية — يمثلون اذا « بحق امراء بلاد الكفتيو والجزر التى هى فى وسط البحر » ولكن اذا كان لهم السمات الجسمية لملتزمى سنموت واوسرامون ، فهم يختلفون عنهم فى الملبس (شكل ١٨) ، ولكن اذا كان الرسامون المصريون ، وهم يعلمون انهم يرسمون سكان نفس البلاد مادام اسمهم قد ذكر فى الاساطير التى كانت تحت اعينهم ، قد تكلفوا عناء محو عملهم الاول كله ، لمجرد استبدال الزى الذى تلبسه هذه الشعوب ، فواضح ان ذلك سببه أن سكان كفتيو والجزر لم يعودوا يلبسون فى نهاية حكم تحتمس الثالث نفس الملابس التى كان يخلعها عليهم الفنانون خلال الحكم السابق (سنموت) وفى بداية حكم تحتمس الثالث (أوسرامون) . وبعبارة اخرى ففيما بين السنوات الاولى لحكم تحتمس الثالث وموت هذا الملك (الحالة الثانية للرسامين فى رخمارع) كان للرسامين المصريين فرصة رؤية مبعوثين ايجيين. واذا

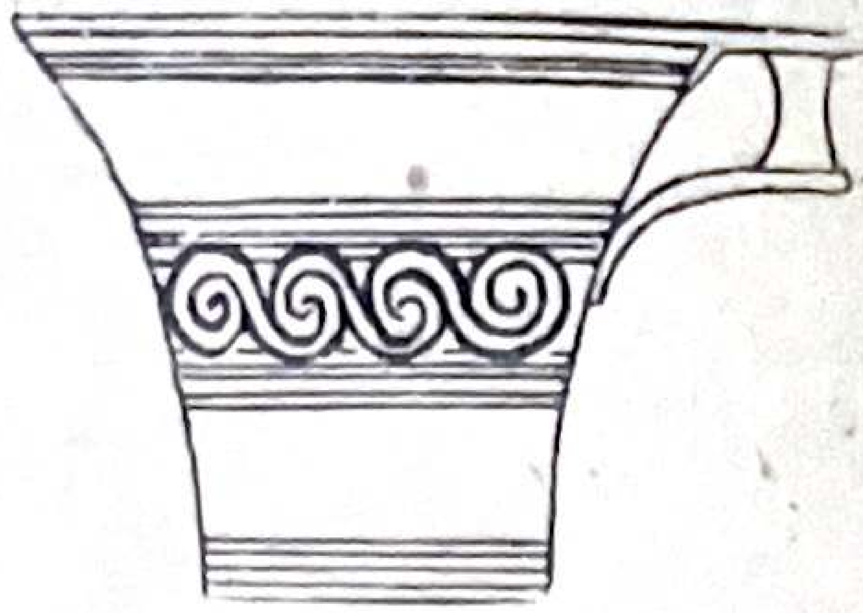


شكل (١٨)
حامل الجزية
بمقبرة رخمارع

فان مقبرة رخمارع ، التى يبعد ان تكون تاليفا تحكميا مكونا من رسوم ماخوذة عن مصادر مختلفة ، هي احدى المقابر التى يمكن ان ندرس فيها بأكبر ثقة ماكان يعرفه المصريون عن الشعوب الايجية. هذا الراى يمكن استخدامه نتيجة لحقيقة سجل الجزية لبلاد كفتيو الذى اعيد تأليفه من جديد فى نهاية حكم تحتمس الثالث ويؤيده تحليل هذه الرسوم .

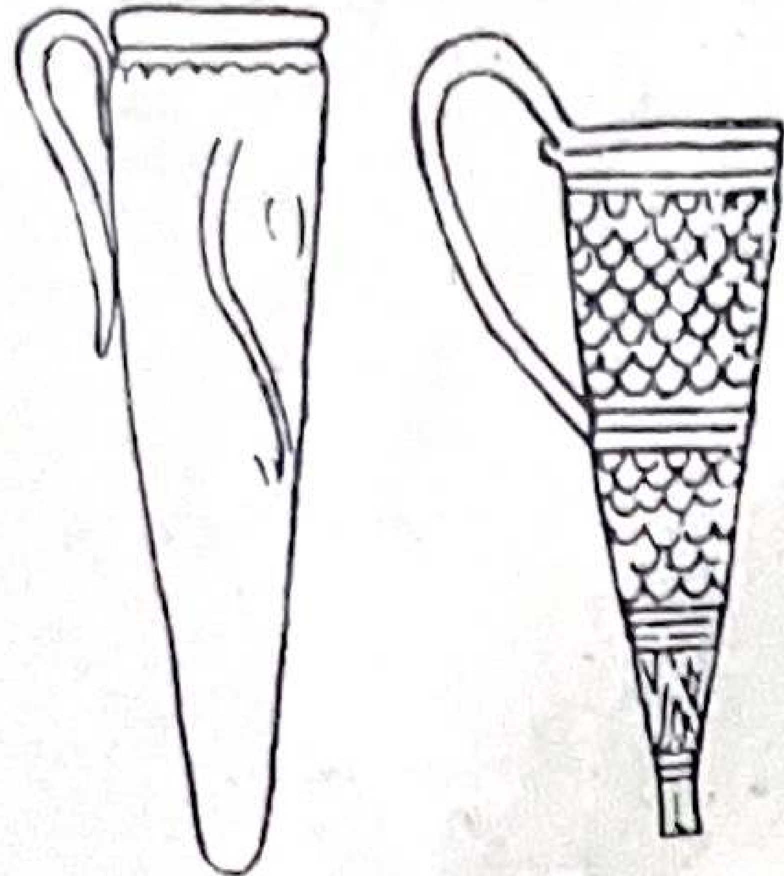
وقد اقترح حقا علاقة نسب مثالى للرسوم الايجية فى مقابر طيبة. ويصبح لمقبرة سنموت تبعا لهذا قيمة تاريخية فريدة (فورومارك) . ويكون ايجيو اوسر آمون قد نسخوا وفق صور الايجيين فى سنموت . اما اشباه المينويين فى رخمارع فان الفنانين قد استلهموهم من ايجيى سنموت واوسر آمون فى نفس الوقت . اما ايجيو منخبررع سنب المتاخرين فانهم يجمعون بين سمات مأخوذة من المقابر الثلاث الاخيرة .

فاذا كان هذا الفرض مقبولا بالنسبة للتصويرات الايجية لمقبرة من خبررع سنب التى هى حتمانقل بارع عن قدماء الهلينيين فى سنموت واسر آمون ورخمارع ، فليس الحال كذلك بالنسبة لرسوم رخمارع التى تتميز على العكس بأصالتها . وهكذا سنحاول عبثا ان نجد من بين الثمانى والثلاثين اناء المقدمة من هذه المقبرة الاخيرة وعاءا واحدا من



شكل (١٩) كوب مينوى من مقبرة سنموت

ايدى ملتزمى رخمارع لاتظهر سواء عند سنموت او عند اوسرامون . نوع فافيو Vaphio (انظر شكل ١٩) الذى يتمثل مع هذا فى الثلاث مقابر الاخرى ، وعلى العكس فالاقماع المخروطية التى لا جدال فى انها ايجية (انظر شكل ٢٠) التى نجدها فى اربع مناسبات بين ايدى ملتزمى رخمارع لا تظهر سواء عند سنموت او عند أوسر آمون .



شكل (٢٠) كأسان مخروطيان من مقبرة رخمارع

وتمثال الثور والجرار الصغيرة ذوات العنق المربع الذى هو مينوى واضح فى مقابر سنموت واوسر آمون ومنخبررع سنب لا تظهر فى رخمارع . ومع هذا فان الجرار ذات الفتحة المدببة (المنقارية) وهى معهذا ايجية ايضا ونلاحظها مرتين فى رخمارع لا تظهر سواء فى سنموت او فى أوسرامون . فصور جدران رخمارع وان كانت بعيدة عن أن تكون نسخا من هاتين المقبرتين ، يبدو انها مستقلة عنهما تماما .

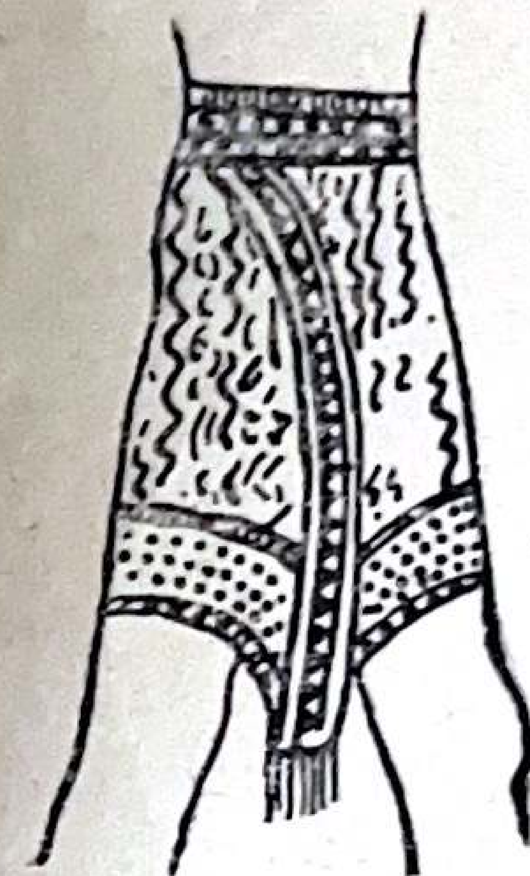
والنموذج البشرى لملتزمى رخمارع ايجى بلا جدال : فالجلد مصبوغ جدا وهم بدون لحى ولهم نفس تصفيف الشعر الطويل مثل قدماء الهلينيين فى سنموت وأوسرامون (انظر شكل ١٦ — ٦ و ١٨) .

حقا لقد جعل البعض من هذا النوع من التصفيف أو على الاقل من بعض هذه المظاهر فى الهيئة لونا خاصة سوف يوجد مرة اخرى على جدران المقابر المصرية عند بعض الاسيويين* (فورومارك) الا ان الامثلة التى ذكرت فى تايد هذه الملاحظة كلها مأخوذة عن مقابر تاثرت بالتأثير الايجى لدرجة ملموسة وفيها خلط الفنانون الخصائص والمميزات السورية والمينوية (مقابر منخبر رع سنب و امنموزى) .

وتبعا للاتجاه الخاص بالفن المصرى فان الخطوط المميزة للتسريحة المصرية قد اتخذت اسلوبها وتخطيطها على أيدى فنانى طيبة . فان تسريحة ملتزمى رخمارع تشبه كثيرا جدا تسريحة بعض المينويين على جدران مقابر كنوسوس وفى آثار اخرى ليس ممكنا ان ننكر طابعها الايجى (انظر شكل ١٥) .

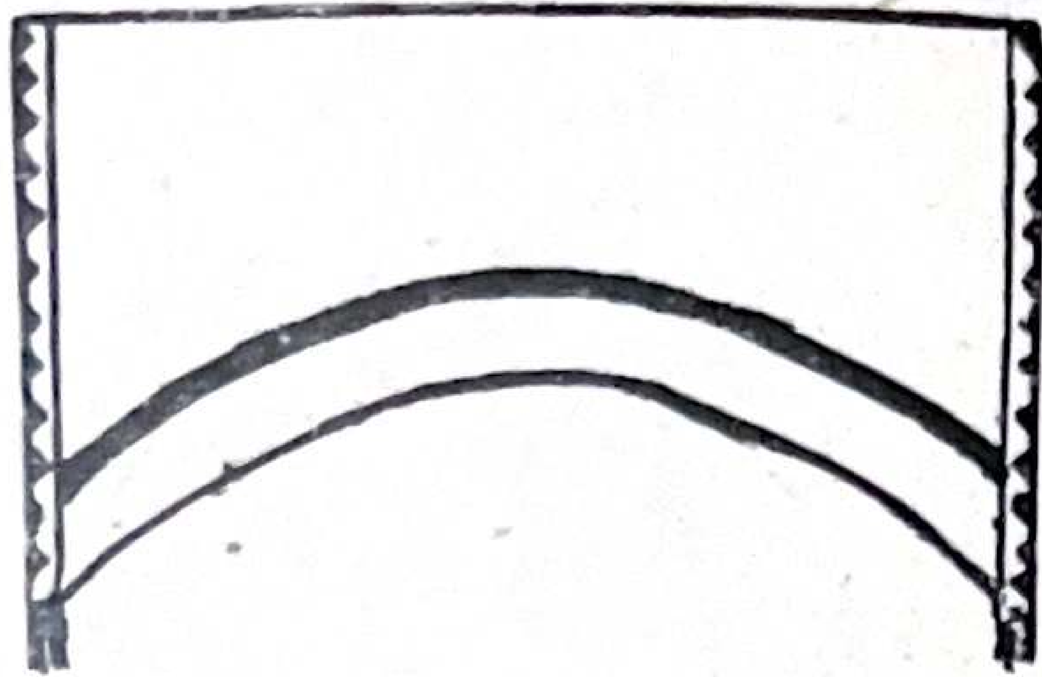
وقد سبق ان راينا ان الايجيين فى رخمارع يلبسون زيا قصيرا معقودا من نوع مختلف عن زى قدماء الهلينيين فى سنموت واوسرامون . وانصار الاصل الكيليكى لسكان بلاد الكفتيو يؤكدون ان هذه الازياء هى من اصل غير ايجى (ونرايت Wainwright وفورومارك) . هذا التوكيد يبدو لنا متعصبا حقا وهو لايقيم وزنا فى الواقع لمصطلحات الرسم المصرى .

فعلى رسوم المقابر يتمثل لهذا الزى فى شكل قطعة من القماش مزركشة يمسكها بالجسم حزام كبير على الجانب . والقماشة مطرزة بشريط عريض تنتهى غالبا باهداب تقع بين ساقى الشخص (انظر شكل ٢١) . فاذا تصورنا اننا نبسط هذه القطعة من القماش لوجدنا



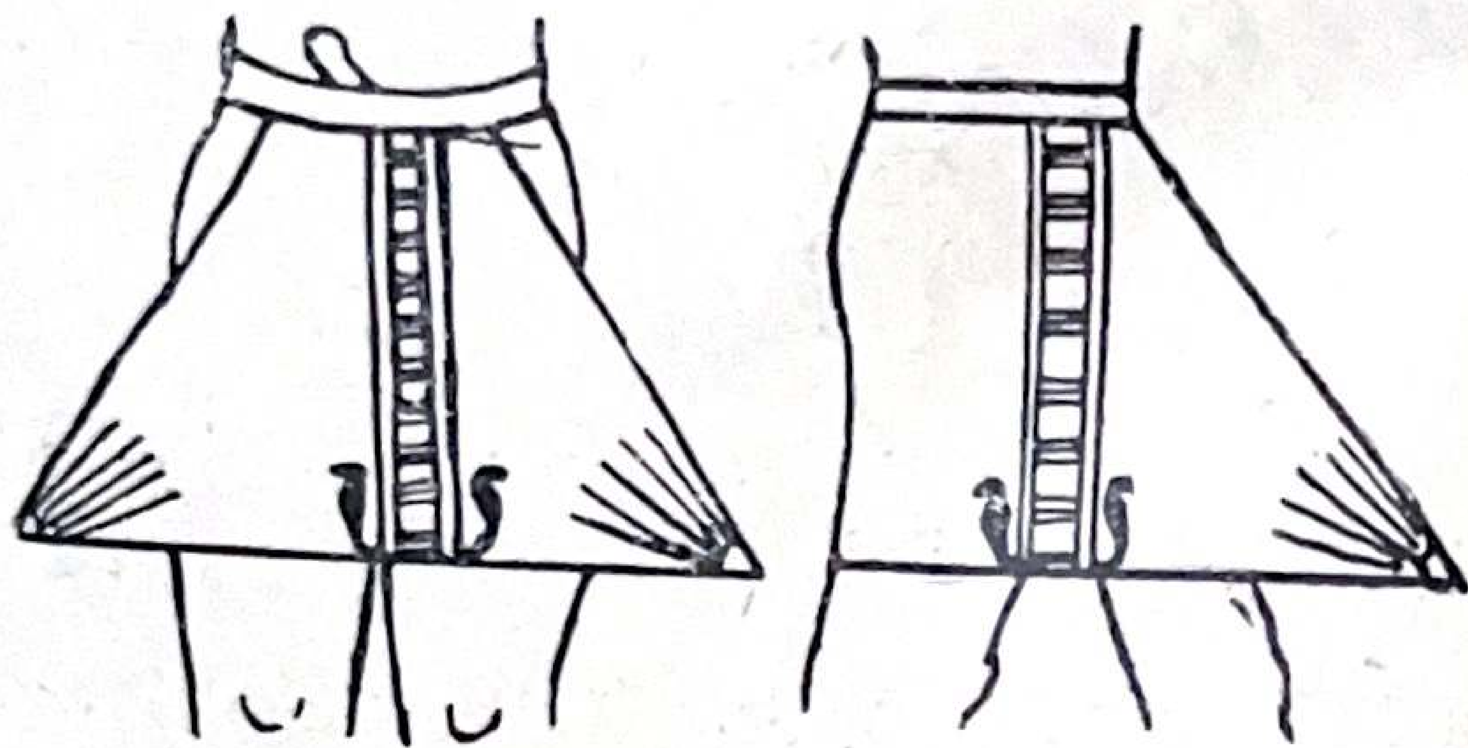
شكل (٢١)
ازرار مطوى

انها لا يمكن ان تكون مستطيلة ، فهى تنتهى بالضرورة الى اليسار كما تنتهى الى اليمين بأطراف رفيعة (انظر شكل ٢٢) . وبعض ازياء



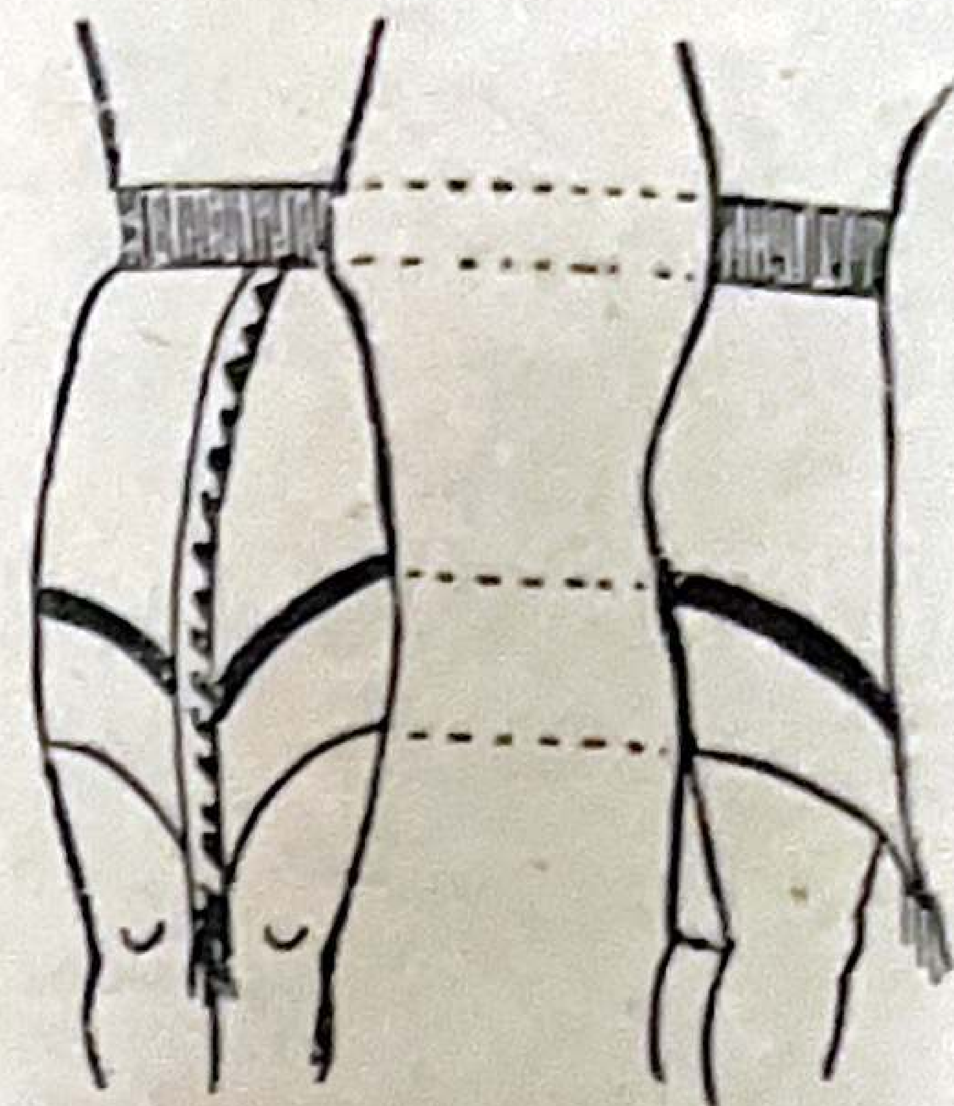
شكل (٢٢) ازار منبسط

رخمارع حيث الاطراف تدور دون ان تختلط بعضها ببعض ازياء لها ميزتها فى هذا الصدد . واذن فعلماء الآثار الذين شككوا فى الاصل الايجى لهذا الزى لا يبدو انهم قد سالوا انفسهم عن معرفة اين كانت توجد على الطبيعة هذه الاستدارة ذات الطرف المزدوج . على الجانب او من الامام؟ فهناك قاعدة ، مطلقة تقريبا فى الرسم المصرى تجعل كل جزء من الملبس اذا نظر اليه من زاوية جانبية حادة يمثل خطا منكسرا على مستوى مختلف عن بقية الرسم بحيث يكون من الامام (انظر شكل ٢٣ مثالا



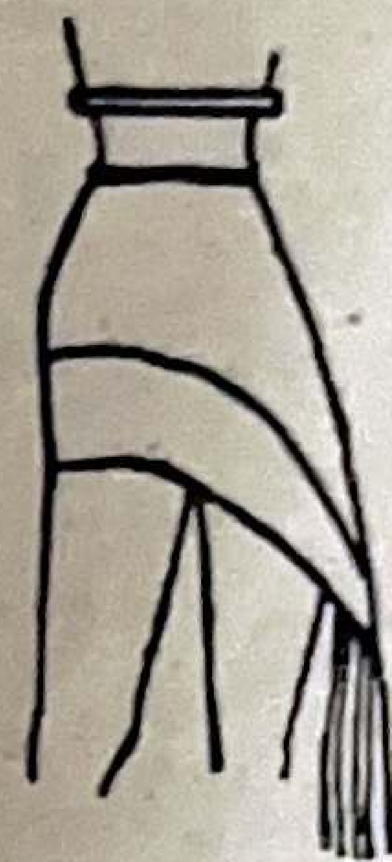
شكل (٢٣) الازرار الملكى فى صورة جانبية واخرى أمامية

للزى الملكى كما تمثله المصريون بالرسم وكما هو فى الحقيقة) وبعبارة اخرى ان الحافة ذات الاهداب التى صورها الرسامون وكأنها من الجانب كانت فى الحقيقة أمامية (انظر شكل ٢٤) .



شكل (٢٤) ازرار مطوى فى شكل جانبى وآخر امامى

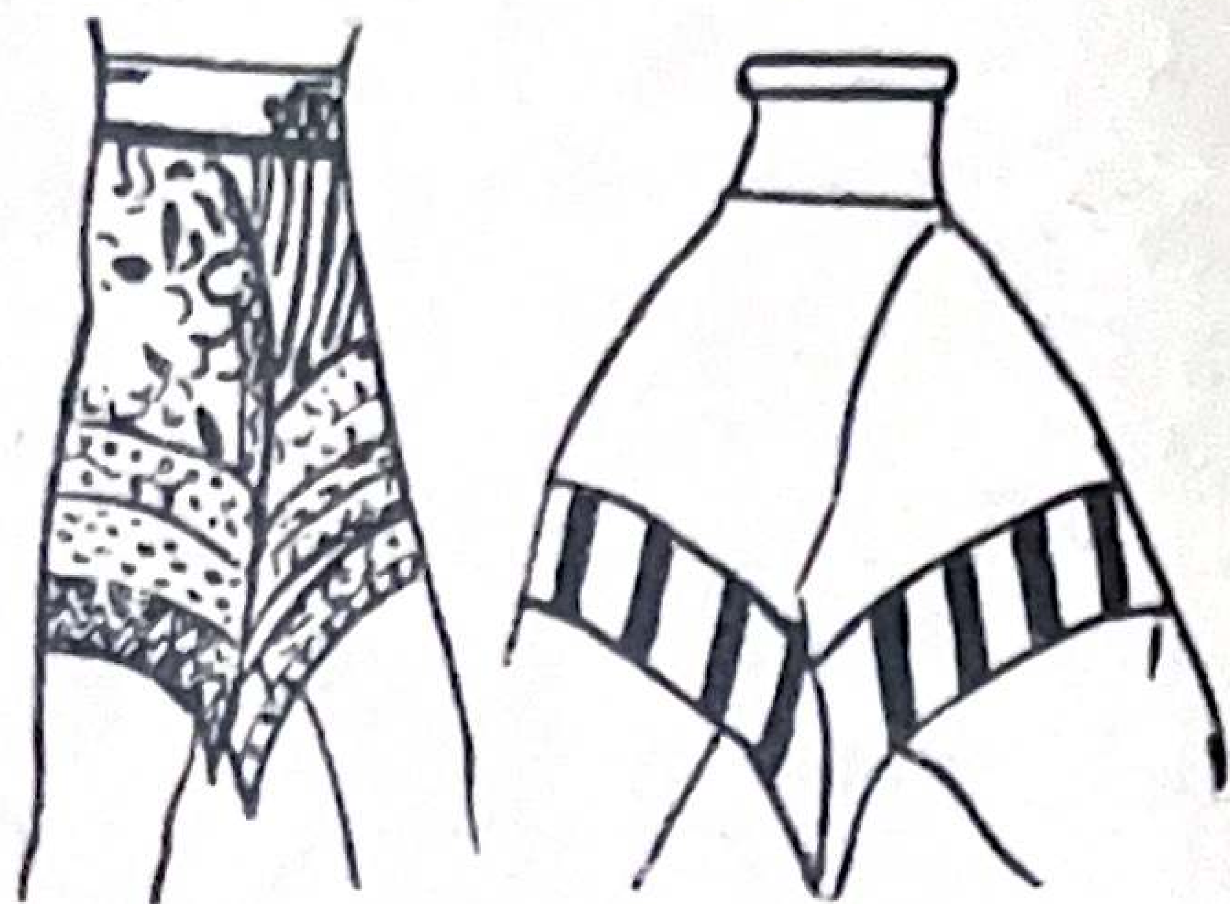
ويكفى ان نقرب الزى الذى يلبس هكذا بزى ساقى كنوسوس المشهور (انظر شكل ٢٥) لكى ندرك ان الامر يتعلق فى الواقع بنفس



شكل (٢٥) ازرار الساقى فى كنوسوس

الملبس . واذن وقد بعدنا فى الجدل بخصوص الطابع الايجى لملتزمى رخمارع فملابسهم تدل على اننا حقا ازاء قدماء الهلينيين . وسنلاحظ فضلا عن هذا ان الايجيين فى صورهم يمثلون الزى المعقود ، بأطراف احيانا منظورة من جانب بزاوية حادة (كالذى يلبسه ساقى كنوسوس) واحيانا على الطريقة المصرية من الامام او على الجسم من الجانب (زعيم الزنوج) . وبما ان الزى المعقود مالوف لبسه عند الموكينيين ، لذلك

ظن البعض ان فى تغيير الزى هذا بين الحالتين الاولى والثانية من نقوش رخمارع دليلا على اول ظهور للموكينيين فى مصر (دوسو Dussaud) ومع ان هذا قد يكون ممكنا جدا فان هـذه الحجة وحدها لا تؤدى الى النتيجة لان المينويين فى كريت قد لبسوا هم ايضا الزى المعقود من الاطراف (انظر شكل ٢٦) واحذية الايجيين فى رخمارع لها مميزاتها



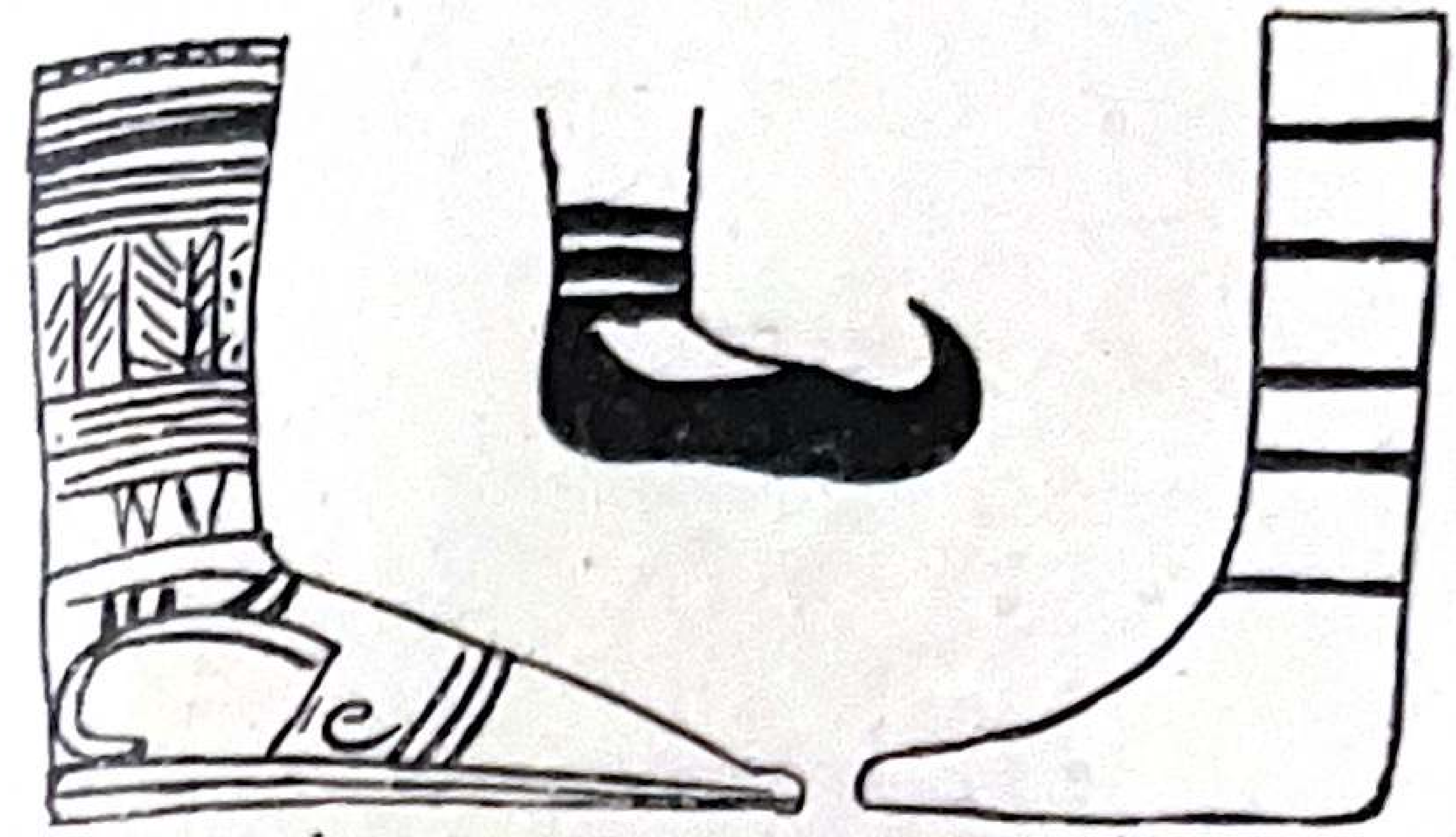
كنوسوس　　　　رخمارع

شكل (٢٦) زى رئيس الزنوج بكنوسوس ومثيله بمقبرة رخمارع

تماما ، ويكفى ان نقارنها بالاحذية التى يلبسها قائد الجند على آنية الزعيم فى حاجيا ترياداVase du Chef, Hagia Triada لنرى اننا بازاء نفس الشكل ، والحذاء الحيثى الذى قرب من حذاء رخمارع (وينرايت Wainwright) يتميز عنه بحافة مدببة مرتفعة قليلا او كثيرا يمكن احيانا ان تثير للحذاء ما يسمى البولين La Poulaine [1] (انظر شكل ٢٧) . وفضلا عن ذلك فان احذية الملتزمين الايجيين فى رخمارع لا تتميز عن احذية حملة العطايا فى اوسرآمون الذين لا يمكن ان يكون طابعهم الايجى موضع شك .

والزى الذى يلبسه الايجيون فى رخمارع محقق اذن فى كريت كما فى موكناى ونعتقد الا فائدة من الاصرار طويلا على الوفرة فى نقوشه التى هى صفة مميزة اخرى توجد فى مجال الحضارة الايجية . هذه الزخرفة قد اعتبرت حقا ابداعا تلقائيا من الفنانين المصريين (كانتور H. Kantor) ولكننا استطعنا ان نقدم ثبتا بوحدات زخرفية مستعملة فى الازياء والاحذية لصور الايجيين فى مقابر طيبة ، وكل هذه الوحدات توجد فى الفن الايجى .

(١) البولين : حذاء ذو حافة مدببة مرتفعة يشبه الحذاء البولونى فى القرنين ١٤ و ١٥ (المترجم) .



شكل (٢٧) الى اليمين حذاء كريتى (حاجياترياداً) وفى الوسط حذاء حيثى والى اليسار حذاء من مقبرة رخمارع

ومن بين اثنتين وعشرين منها يظهر واحد وعشرون عنصراً من عناصر الزخرفة الموكينية التى جمعها فورومارك . والبعض منها يظهر فى صور الملابس فى كريت ذاتها ، والحزام الكبير المزخرف الذى يحلى أسفل الزى هو ايضا احد الخصائص المميزة للزى الكريتى (انظر شكل ٢٦) .

ولن نقوم الا باشارة موجزة ، للاشياء التى احضرها الايجيون فى رخمارع . فنحن نقدر فى الحقيقة ان المناقشة الطويلة التى قامت حول اصل هذه الاشياء تؤدى بكاملها الى الخطأ ، بل انه عندما يحضر احد الايجيين شيئا سوريا الى مصر ، فلن نستطيع بعد هذا أن ننكر ان نوعه ايجى . ونحن نعرف فى الرسوم المصرية سوريين مميزين جدا ، يحملون على اكتافهم اشياء من الواضح انها ايجية ، فهل ينبغى بعدهذا ان نرى فى هؤلاء الملتزمين هلينيين قدماء ، وهل فى هذا ما يدل على خيال غير منظم اولى من ان نعتبر الايجيين الذين اتخذوا الطرق البحرية فى شرق البحر المتوسط قادرين على أن يحملوا ، فى نفس الوقت الذى يحملون فيه منتجات صناعتهم ، منتجات بلاد اخرى يتاجرون معها ؟.. نحن لا نعتقد فى ذلك .

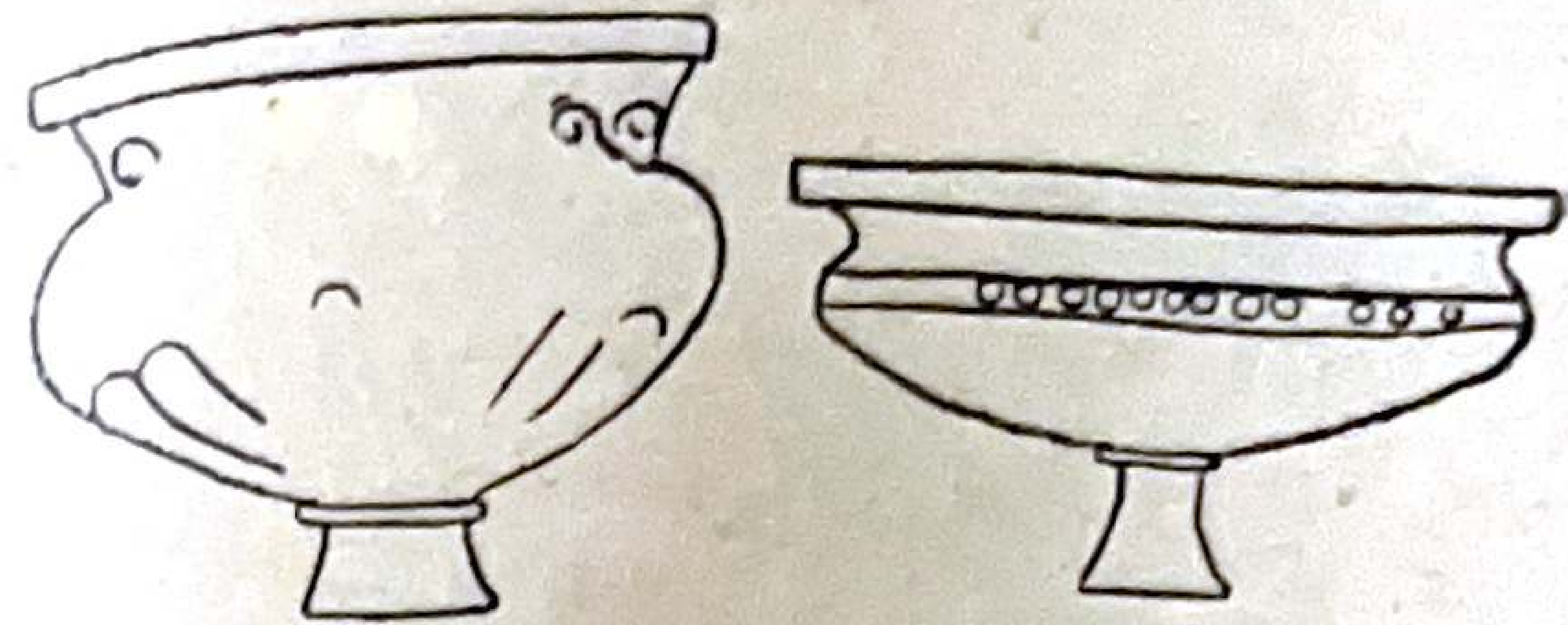
وفيما عدا هذا فقد بولغ كثيرا فى الطابع غير الايجى للاشياء التى احضرها ملتزمو رخمارع . فكتب بعضهم انه من بين عشرين اناء احضروها ، ثلاثة فقط هى التى يمكن أن تعتبر ايجية (فورومارك) ولكن لماذا نميز الاشياء التى احضرها الاشخاص بالفعل عن الاشياء التى تظهر مكدسة امامهم ، والمنهج الجيد ان الدراسة ينبغى أن تنصب لا على عشرين آنية ولكن على ثمان وثلاثين . ولكن من هذا العدد خمس عشرة آنية هى بلا نزاع ايجية كالاقماع ذات راس الاسد والمخالب والكلب والثور ، والكؤوس المخروطية والاوانى ذات الفوهة المنقارية (انظر شكل



شكل (٢٨) اوان معدنية ايجية (رخمارع)

٢٨) . كذلك بعض الاوانى ذات المقبض ، وآنية كبيرة **Hydrie** من « طراز القصر » Style du Palais ، وستة اوان اخرى وكؤوس برونزية (انظر شكل ٢٩) تمثل اشكالا معروفة بحق فى مصر وفى سوريا ايضا ولكنها مزينة فى كثير من الاحيان بنقوش ايجية تجملها . وليس من المؤكد ان هذا الشكل البسيط جدا لم يكن من الممكن ان يأخذه عنهم قدماء اليونان فى آسيا بنفس الطريقة التى قلده بها المصريون انفسهم فى الاشكال السورية .

واخيرا وبوجه خاص فان السبع عشرة آنية الباقية لا يمكن ان تعتبر



شكل (٢٩) كاسان كبيران من البرونز بنقوش ايجية تجملهما

غير (ايجية) الا اذا استطعنا ان نثبت ، كما فى حالة الكئوس البركانية ، انها تتبع مركز حضارة آخر ، ولكن اغلب هذه الاوانى لا تشاهد على حد معلوماتنا الآن ، الا فى النقوش المصرية وحدها . والقول بانها ليست ايجية يبدو لنا مجافيا للحقيقة . وكل ما نستطيع ان نعترف به هو ان الاوانى من هذه الانواع لم يعثر عليها حتى اليوم فى المجال الايجى .

ونحن فى الواقع بازاء مشكلة نقد تاريخى . فان كاتبا مصريا عاش فى القرن الخامس عشر قبل عصرنا يشهد بان الاشخاص الذين صوروا وهم يحضرون الاشياء المذكورة هم سكان بلاد الكفتيو والجزر ، هؤلاء الرجال كما يدل عليهم شكل اجسامهم وملابسهم هم هلينيون قدماء . ولكى نستطيع ان نؤكد ان الاشياء التى يحضرونها اما انها ليست ايجية او انه لا يمكن ان يحضرها قدماء اليونان فينبغى اثبات انها من مميزات بلاد اخرى معينة لم يكن للايجيين بها صلة . وطالما ان هذا الاثبات لم يقم فلن يكون هناك دليل مقبول لدفع الفنان المصرى للخطأ او الجهل او للتشكك فى الصفة الايجية لحاملى العطايا .

وهذا اكثر وضوحا بكثير من بعض الاشياء التى تعتبر « لا ايجية » وتتصف فى الواقع بميزات نجدها فى كريت وفى بلاد الموكينيين . ونحن نشير بهذا الى المقابض النوعية الخاصة التى تعلو كثيرا جسم الاوانى والتى نلاحظها ايضا على بعض الاشياء فى رخمارع كما فى صور ايجية عديدة . ومثل هذا تصميم راس ذات دائرة محدبة تزين آنيتين فى رخمارع مما هو معروف فى الخزف الايجى (بندلبرى) . واخيرا فان التصميم غير المألوف جدا للمقبضين على صورة اشبه بالقطط تذكرنا بطريقة غريبة بمصفاة جورنيا Gournia فى المينوى الحديث الاول والثانى وبذلك يكون معاصرا للتصوير المصرى . فعلى الآنية الايجية تلعب الصور الانسانية نفس الدور الذى تلعبه القطط على آنية رخمارع (انظر شكل ٣٠) . واوجه الشبه يمكن ان تتعدد كثيرا .



شكل (٣٠) كاسان كبيران لهما مقابض فى صورة قطط

والحقيقة اذن انه من بين الثمان والثلاثين آنية فى رخمارع : خمس عشرة ايجية ، وثلاث عشرة تظهر تفاصيل فى التركيب مشهودا انها موجودة فى عالم الهلينيين القدماء . وعشرة فقط تبدو غريبة بالنسبة للفن الايجى ولكنها فى جوهرها اوان سورية . ومن الممكن ان يكون الفنانون الايجيون قد قلدوها فى شكل آسيوى او ان تجار من قدماء الهلينيين قد استوردوها من سوريا واحضروها الى مصر . وليس هناك فى الواقع ما يبرر النقد الشديد الذى وجهه البعض لرسوم مقبرة رخمارع .

وهكذا فان امراء (بلاد الكفتيو وبلاد الجزر) بشكلهم الجسمانى وزينة ملابسهم وكذلك بطابع اغلبية الاشياء التى يحضرونها — كما صورهم لنا فنانو طيبة — هم ايجيون ، وايجيون فقط . ولهذا فان الافتراض الذى يجعل من بلاد الكفتيو كيليكيا او احد بلاد سوريا فى الشمال القريب من كيليكيا . لا بد من استبعاده فى رأينا .

بقى امامنا الآن ان نحدد على اى جزء من العالم الايجى كانت تطلق كلمة كفتيو . فهذه الكلمة كما بينا قد دخلت فى الفاظ اللغة المصرية فى حوالى نهاية الالف الثالث . وفى تلك الفترة شوهدت اشياء مصرية فى كريت . وبعد قليل من الزمن ظهر الخزف المينوى فى مصر ، فهناك اذن مجال للظن بأن الكلمة كانت تطلق منذ ذلك الحين على كريت .

وسوف تحتفظ كلمة كفتيو فى القرن الخامس عشر بهذا المعنى الدقيق لكريت . الواقع انها فى وثائق الاسرة الثامنة عشرة تتميز عن « الجزر التى هى فى وسط البحر » لا شك انها تتبع نفس الحضارة (تصويرات رخمارع) ولكنها تميز عن الجزر . وتميز ايضا عن قبرص لان هذه الجزيرة كانت تسمى باللغة المصرية « ايزى Isy او ايرزا —

Irsa والازيا Alasia » . واذن فبلاد الكفتيو ــ وان كانت تعنى منطقة يسكنها الايجيون ــ فهى تميز عن قبرص وعن الجزر التى فى وسط البحر ــ والتعبير اذن يدل فيما نعتقد على بلاد موكينية خالصة (انظر فيما بعد) . وكريت وحدها بسبب اهميتها وقدم حضارتها هى التى تنطبق عليها الظروف التى اشرنا اليها .

واخيرا ــ وهذه ملحوظة فى غاية الاهمية ــ ان كلمة كفتيو بعد ان كان لها استعمال شائع فيما بين ١٥٠٠ ، ١٤٠٠ تختفى من الفاظ اللغة المصرية حوالى ١٤٠٠ قبل الميلاد . ونتصور عظمة كريت فى المينوى الحديث الاول والثانى قد زالت بسبب غزو اجنبى كما لا يزال يعتقد البعض انها اندثرت بسبب فوران بركانى ، والحقيقتان : اختفاء كلمة كفتيو من اللغة المصرية حوالى نهاية الاسرة ١٨ واختفاء السيطرة البحرية الكريتية متقاربتان جدا فى الزمن حتى أن احداهما قد تحدد الاخرى . وهذه الملاحظة يمكن الافادة منها اذا دعت الضرورة لتأييد توحيد بلاد الكفتيو بجزيرة كريت الكبرى .

الجزر التى هى فى وسط البحر
والمشكلة (الموكينية)

يظهر فى النصوص الجغرافية المصرية فى الاسرة الثامنة عشرة تعبير جديد : « الجزر التى فى قلب الاخضر الكبير » . فمنذ ان عرفت الحضارة المينوية اعتبر ان هذا التعبير يدل على الارخبيل اليونانى . والواقع انه فى النصوص التى ترجع الى عصر الرعامسة يدل بالضبط على الموطن الاصلى (لشعوب البحر) .

ويدهشنا أن نقرر الى اى حد قل استعمال المؤرخين الذى يدرسون العلاقات بين المصريين وقدماء اليونان للنصوص التى تذكر هذه الجزر وسط البحر . وذهب البعض الى حد انهم يرون فيه تعبيرا غير دقيق ومنطقة واسعة معروفة معرفة غامضة وخارجة قليلا أو كثيرا عن منطقة النفوذ المصرى .

يبدو لنا من الصعب الاخذ بوجهة النظر هذه ، فالواقع ليس فى المعبد الجنائزى الكبير لرمسيس الثالث فى مدينة حابو حيث يدل التعبير على بدء ارتحال ملتزمى « شعوب البحر » وبالتالى منطقة جغرافية معينة ، حتى ولو كانت متسعة جدا ، بل ايضا ان نصا لرمسيس الثانى يذكر ضمن البلاد التى بها المناجم والتى تنتج الاحجار والمعادن الثمينة (جزر الوسط) لان المصريين الذين قلدهم الفرنسيون بطريقة لاشعورية فى القرن

السابع عشر ، بعد ان استخدموا تعبير « الجزر التى فى وسط البحر » لم (جزر الوسط) ، ذكروها ببساطة باسم (الجـزر) . وهكذا اعتاد الفرنسيون ان يقولوا فى القرن السابع عشر (الجزر) ، (والذهاب الى الجزر) للدلالة على « جزر امريكا » اى ما يسمونه بجزر Antilles

فلا شك اذن فى ان الجملة المصرية (الجزر التى هى فى وسط البحر) كانت تدل تماما فى ذهن الكتاب على حقيقة جغرافية ولكن علام يدل بالضبط التعبير ؟ رأينا ان النصوص المصرية لا تميز فى اغلب الاحيان بطريقة واضحة اقليما أو وحدة جغرافية عن السكان الذين يشغلونه . فهناك مجال اذن ان نرى ان هذا التعبير وهو فى ظاهره تعبير جغرافى كان يخفى وراءه حقيقة عمرانية (سكانية) فى العصر القديم .

فهذا التعبير لم يستخدم فى اللغة المصرية الا ابتداء من حكم تحتمس الثالث (١٤٨٤ ــ ١٤٥٠) . ولكن فى هذه الفترة كان التعبير « الاخضر العظيم » Grande Verte يدل على البحر المتوسط ، اما فى العصور السابقة فكان يطلق على البحر الاحمر ولم يستخدم هذا التعبير الا فى بداية الاسرة الثامنة عشرة ، وبالضبط فى عهد تحتمس الثالث حيث نجد « معنى البحر المتوسط » . ويدل نص محفوظ اليوم فى متحف اللوفر على انه منذ حكم هذا الفرعون كانت جملة « الجزر التى وسط الاخضر الكبير » تدل بالضبط على جزر البحر المتوسط الشرقى (قطاع توتية Coupe de Toutii) وكل شىء يدل اذن على ان هذا التعبير قد خلفه كتاب النصف الاول من الاسرة الثامنة عشرة ، ان لم يكن كتاب تحتمس الثالث . والحقيقة انه اذا كان قد نشأ قبل هذا العصر لم يكن يستطع ان يطبق الا على جزر البحر الاحمر . وليست الحال كذلك بل ظهور هذا التعبير الجديد يبدو اذن انه يدل على انه فى عهد تحتمس الثالث أو احد اسلافه المباشرين ، اكتشف المصريون منطقة لم يكونوا يعرفونها بعد أو انهم دخلوا حينئذ فى علاقة مع الشعب الاصلى لتلك المنطقة التى صنعوا لها اسما مصريا . وتاريخ ظهور هذه الكلمة يدل فى هذه الحالة على انه ليس الا ابتداء من الاسرة الثامنة عشرة حيث نشأت العلاقات بين مصر وجزر وسط البحر هذه .

ولكن علام كان يدل التعبير ؟ نحن نميل الى تفسيره حرفيا ونجعل من (الجزر) الارخبيل اليونانى فى مجموعه ، والواقع ان الكمة المصرية « ايو Iou » التى تستعمل تدل عى الجزيرة سواء البحرية او النهرية . الا انه يواجه هذا التفسير الحرفى اعتراضان : فمن ناحية كريت (كفتيو) وقبرص (ايزى) لا يتضمنهما التعبير . ومن ناحية اخرى

ابو لا تدل فقط على معنى جزيرة . فالمصرى بالتالى لا يميز الجزيرة التى يحوطها الماء تماما من الارض الواقعة فقط على ساحل البحر او النهر . (راجع فى العربية كلمة جزيرة) حتى ان التعبير يمكن ايضا ان يطبق على الجزر الحقيقية كما يطبق على مناطق ساحلية وعلى الاثنين فى نفس الوقت .

هذه الجزر او هذه المناطق الساحلية واقعة — حسب النصوص المصرية — فى اقصى الشمال من العالم . والوثائق التى من عصر الرعامسة تدل على انه من هذه المنطقة بدا غزو شعوب البحر الكبير ، الا انه ابتداء من حكم تحتمس الثالث نعلم ان كلمة « جزر وسط البحر » تطلق ايضا على شعب واضح تماما انه من قدماء اليونان . ورسوم مقبرة اوسيرامون (مطلع حكم تحتمس الثالث الشخصى) لا تدع مجالا للشك فى هذا النظر : فملتزمو جزر وسط البحر الذين يلبسون الزى القصير ذى القطعة الامامية à devanteau وبشرتهم الملونة جدا وتسريحتهم الطويلة المعقوفة المتدلية على اكتافهم — هؤلاء الملتزمون هم ايجيون حقا والاشياء التى يحضرونها الى مصر خصوصا الاقماع ذات راس الثور والاسد تؤيد هذه الحقيقة (انظر شكل ٢٨) .



شكل (٣١)
ملتزم من مبرة
أوسر آمون

وهكذا فان رسوم اوسرآمون قيمة من وجهة نظر مزدوجة فالحق انها اذا كانت تثبت ان سكان الجزر هم ايجيون فهى تثبت فى نفس الوقت ان هذه الشعوب هم من نفس الجنس او يتبعون نفس حضارة — سكان بلاد الكفتيو — واذا قربنا نقوش اوسرآمون بالنقوش التى تحلى مقبرة رخمارع (انظر شكل ١٧ ، ١٨) فاننا نجد ان نفس السمات تميز النوعين من الملتزمين : التلوين الداكن للجلد ، والتسريحة الطويلة المعقوفة ، والاحذية العالية ، والزى فقط هو الذى يختلف (فى هذه النقطة — انظر فيما بعد) وفيما عدا هذا نجد تماما نفس الرجال . الا ان النص الذى يصاحب رسم الملتزمين الايجيين فى مقبرة رخمارع يحدد اننا بازاء سكان بلاد الكفتيو وسكان الجزر فى نفس الوقت. والنص الاول فى الواقع : « امراء بلاد الكفتيو وبلاد الجزر التى هى فى وسط البحر جاءوا مسالمين .. لعظمة جلالة تحتمس الثالث ، لما سمعوا الحديث عن انتصاراته على كل البلاد الاجنبية . وقد حملوا هداياهم لكى يحصلوا على نسمة الحياة . لانهم يريدون ان يخضعوا لجلالته حتى يحتموا بقوته » .

وقد ذكرنا نص رخمارع بكامله لانه يدل على انه فى نظر المصريين سكان الجزر وسكان بلاد الكفتيو هم من نفس الجنس ، وهو يدل ايضا على ان هذه الشعوب كانت فى عهد تحتمس الثالث على اتصال مباشر مع مصر تجذبهم قوة مصر الكبيرة فى شرق البحر المتوسط .

وهكذا فان سكان الجزر مع انهم ايجيون مثل سكان بلاد الكفتيو فهم مع هذا مختلفون عن هؤلاء . ففى مناسبات عدة فى الواقع وخارج مقبرة رخمارع تميز النصوص المصرية بين الشعبين . وهكذا فان القصيدة الكبيرة التى كتبها احد سكان طيبة فى مدح تحتمس الثالث تخصص فقرتين مختلفتين احداهما لسكان الجزر والاخرى لسكان الكفتيو : وكذلك فان قائمة بلاد المناجم لرمسيس الثانى تميز بين الجزر وبين بلاد الكفتيو . فواضح اذن انه مع خلط سكان الجزر بأهل الكفتيو فهم يتميزون عنها . فمن هى اذن — اذا كان سكان الكفتيو كما نعتقد هم اهل كريت ؟

وللاجابة على هذا السؤال يمكننا النظر الى العناصر الآتية : كان هذا الشعب يسكن فى اقصى الشمال بالنسبة لمصر اما ارخبيلا واما منطقة ساحلية واما المنطقتين معا فى وقت واحد . وكان هذا الشعب يشبه بملابسه ومظهره الجسمانى سكان كريت من المينويين . واخيرا فان غزوة « اهالى البحر » الكبرى قد نبعت من تلك المنطقة التى كان يحتلها . ولنضف الى قولنا ان التعبير : « جزائر قلب البحر » استمر

استعماله متداولا بين الناسخين حتى نهاية الاسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وبداية الاسرة العشرين ، على حين ان كلمة كفتيو Keftiou اختفت من القاموس المصرى قبل نهاية الاسرة الثامنة عشرة .

وهذه الملاحظات المختلفة من شأنها ان تبين ان التعبير : « جزائر قلب البحر » كان ينطبق على الموكينيين الذين كانوا يبدون امام المصريين من نفس عنصر سكان كريت من المينويين الذين اقتبسوا منهم حضارتهم وقد احتلوا فى الشمال من مصر القارة والجزائر اليونانية . والى جانب هذا فانه ليس هنالك ادنى شك فى ان حركة « شعوب البحر » الكبرى قد مست ولو جزئيا الاراضى الموكينية . واخيرا فان ظهور الكلمة فى دليل البلدان المصرية يتفق دون شك والتوسع الموكينى (١٤٥٠ — ١٤٠٠) . ويتبين لنا من النصوص المصرية ان وادى النيل كان على اتصال بسكان « جزر البحر » بعد سقوط كريت واختفاء كمة « كفتيو » من مصر . وان نصا من امينوفيس الرابع لن يترك فى نفوسنا ادنى شك حين يعلن : « ارتقى الملك امينوفيس الرابع فى اليوم الرابع من الشهر الثانى من العام الثانى عشر ، العرش الكبير كى يتلقى ضريبة سوريا والنوبة والبلاد الغربية والشرقية والبلاد الاجنبية جمعاء وقد احضرت جزائر الوسط Iles du milieu هدايا للملك » . وهكذا تقدم سكان الجزر الى الملك حاملين هداياهم بمناسبة تقديم البلاد الاجنبية ضرائبها فى العام الثانى عشر من حكم امينوفيس .

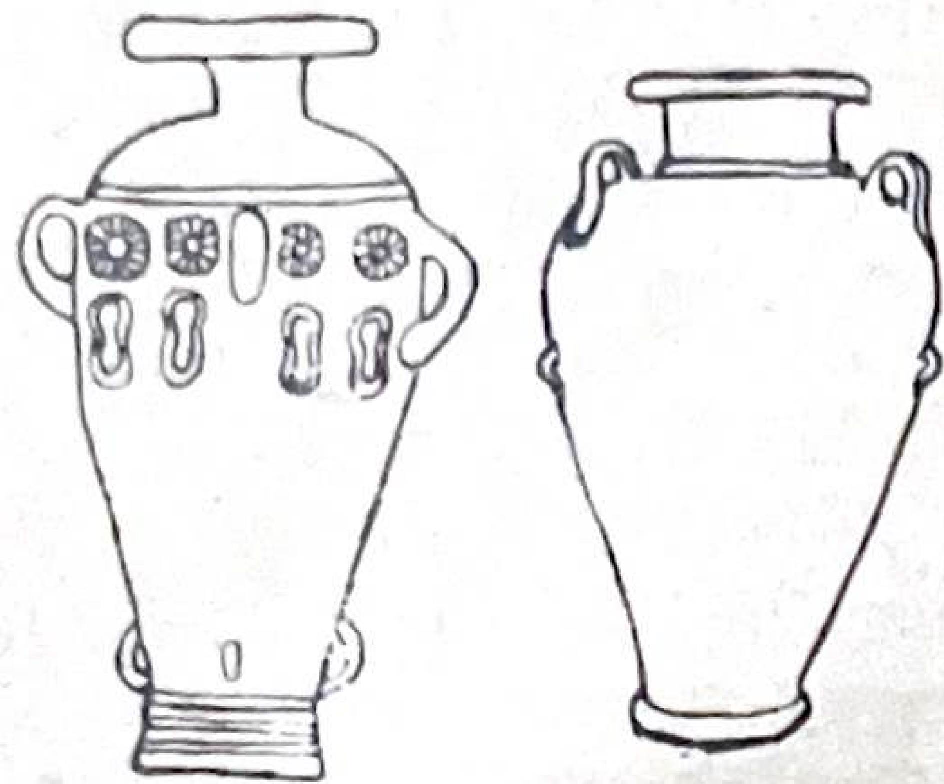
ونحن حين لا نضم « سكان الجزر » الى تعدادنا المعتاد : « الشمال (سوريا) ، الجنوب (النوبة) ، العرب ، الشرق وكل البلاد الاجنبية » فاننا بهذا يمكن ان نشير الى ان هداياهم لم تكن بالهدايا الاجبارية ولكنها كانت « هبة مجانية » . وسرعان ما نتجه بفكرنا الى نص « رخمارع » (انظر ما قبله) حيث كان رؤساء الكفتيو والجزر يقبلون حاملين هدايا ليحصلوا بها على الحماية المصرية فى آسيا وهى حماية لا يمكنهم الاستغناء عنها من اجل تأمين تجارتهم .

وهناك اختلافات جوهرية اهمها : ان زعماء الكفتيو لم يظهروا فى عهد « امينوفيس » الرابع (١٣٧٢ — ١٣٥٤) . اما سكان الجزر فكانوا يفدون بمفردهم الى مصر . وكان فى هذا تنشيط للفكر ففى عام ١٤٠٠ تحطم سلطان كريت السياسى . ومن جهة اخرى فان « امينوفيس » الرابع لم تكن له فى آسيا قوة سلفه تحتمس الثالث . وكان نتيجة لهذا ان سفير « الجزر » لم يكن يهمه تحالف مصر مع الجزء الشرقى من البحر الابيض المتوسط بقدر ما كان يهمه التصريح له بالاتجار المباشر مع

المصريين . وان عدد ما خلفه الموكينيون فى مصر والنوبة من اشياء ليؤيد هذا الاحتمال .

ولم تعد « جزر الوسط » تظهر فى النصوص المصرية بعد غزو « اهل البحر » مما يدعم قوة اتصال المصريين بالموكينيين ما دامت المدنية الهلينية القديمة قد اختفت من القارة .

وقد لوحظ منذ عهد قريب ان عددا كبيرا من الاشياء ظهرت بين ايدى دافعى الجزية من الايجيين Egéens (ساكنى بحر الارخبيل) فى مقابر المصريين . لذلك ، فهناك شبه كبير بين الجرة الايجية الموجودة فى مقبرة « سنموت » وبين الاوانى الموكينية التى تخص الدولة الهلينية الحديثة . وسوف نلاحظ مع ذلك ان الاشكال المينوية تشبه الاشكال الموجودة فى مقبرة « سنموت » (انظر شكل ٣٢) . وقد قورن الشكل



شكل (٣٢) يبين قدر مينوى (ايمن) وقدر من مقبرة سنموت (ايسر)

المستطيل للاوانى التى هى على طراز Vaphio بشكل نفس هذه الاشياء عند الموكينيين وهذا يخالف الأوانى الكريتية التى تميل الى الضخامة والقصر (H. Kantor) . واخيرا فان آنية الشرب المخروطية التى على هيئة راس حيوان يمكن ان تقارن بامثلة كريتية او موكنية

وهناك من يميل الى القول بأن الطبقات الأثرية التى تحمل اشكالا مصرية لا يمكن الجزم بانها ذات اصل موكينى أو كريتى . اما كانتور Kantor فانه يميل الى جانب نفر آخر الى الاعتقاد بأنها ذات اصل موكينى .

وهذا الراى يؤيد بشكل عجيب تشابه « سكان جزر البحر » مع الموكينيين . وحين نقر بأن دافعى الجزية من « اوسر آمون » Ouseramon قد اقبلوا — وفقا لقول النصوص المصرية — من نفس هذه الجزر ، وان

دافعى الجزية من سنموت Senmout وهم الذين اقتبس منهم اوسرآمون طرقهم فى الرسم على الجدران — كان من الممكن لهم ، هم الآخرون ، ان يكونوا سكان هذه البلاد ؛ فاننا نجد انفسنا مضطرين الى انهاء البحث والاعتراف النهائى بان الاراضى الموكينية قد عبر عنها فى النصوص المصرية بالاصطلاح : « جزر قلب البحر » . ومع ذلك فان اليقين النهائى لا يمكن ان يتسرب الينا لان عددا كبيرا من الاحتياطات تدفعنا الى الحيطة فى تحريرنا .

اولا لان المصريين قد سموا احيانا قطرا واحدا باسمين مختلفين . ففى الدولة الحديثة كانت كلمة (ريبو Rebou) تشير الى ليبيا ، وهذا لم يمنع الناسخين وقتذاك من استعمال الكلمة القديمة (تحنو) حين كانوا يتحدثون عن نفس هذه المنطقة . ويمكننا ايضا ان نشاهد ظاهرة مشابهة لهذه فالكفتيو فى دليل البلدان القديم تشير الى اراضى « ايجه » . ويمكننا ، بفضل معلومات اكثر دقة ان نحكم بان الاصطلاح « جزر قلب البحر » بدا يظهر . ولكن الناسخين استمروا فى استعمال الكلمتين بمعنى ان المصريين لم يميزوا فى دقة بين المينويين وبين الموكينيين من ساكنى القارة .

ويجب ان نعود الى الرسم المصرى الأوحد الذى يصور لنا « سكان جزر البحر » دون اى عنصر آخر . وهذا الرسم هو قبر اوسرآمون Ouseramon فهل من الممكن ان يكون دافعى الجزية المنقوشين على هذا القبر من الموكينيين ؟ ان الاشياء المرسومة عليه من الجائز جدا ان تكون اما مينوية او موكينية . ومع ذلك فسنلاحظ ان الكوب المرسوم على طراز Vaphio قد اعتبر اقرب الى الاشكال الموكينية منه الى الاشكال الكريتية . ويمكننا ان نضيف الى ذلك قولنا ان الدرع المستدير المرسوم ضمن الهدايا الموضوعة امام اقدام حاملى القرابين ما هو الادلالة تجعلنا نميل الى الاعتقاد فى اصلها الاوربى . ومع ذلك فان الملابس تميل الى الشكل المينوى منها الى الشكل الموكينى .

وان التنورة (١) ذات المحزم (٢) devanteau تحمل فى حقيقة الامر تصميما مينويا . وهذه التنورة التى كان يرتديها دافعى الجزية من سكان « ايجه » والتى كانت تبدو على الجدران المصرية قد فسرت تفسيرا خاطئا وذلك للجهل بقواعد الرسم المصرى . فهناك من فسرها بانها (سترة) تحجب عورة الرجل . ومن الجلى ان هذه التنورة . كما رسمها

---

(١) لباس قصير يسمى النقبة والازار والمجول والتنورة (المترجم)

(٢) قطعة امامية من القماش القوى (المترجم)



شكل (٣٣) تنورة ذات قطعة امامية

المصريون — تشبه غمد السهم كما تتمتع بصلابته . ولكن هناك اعتراض ما على هذا التفسير . اولا لان الفنان المصرى لم يوضح كيف ان هذه السترة التى لا تبدا الامن اسفل الحزام يمكن ان تتصل بالحزام نفسه (انظر شكل ٣٤) وهذا الاهمال يعتبر شيئا غريبا من جانب الرسام .



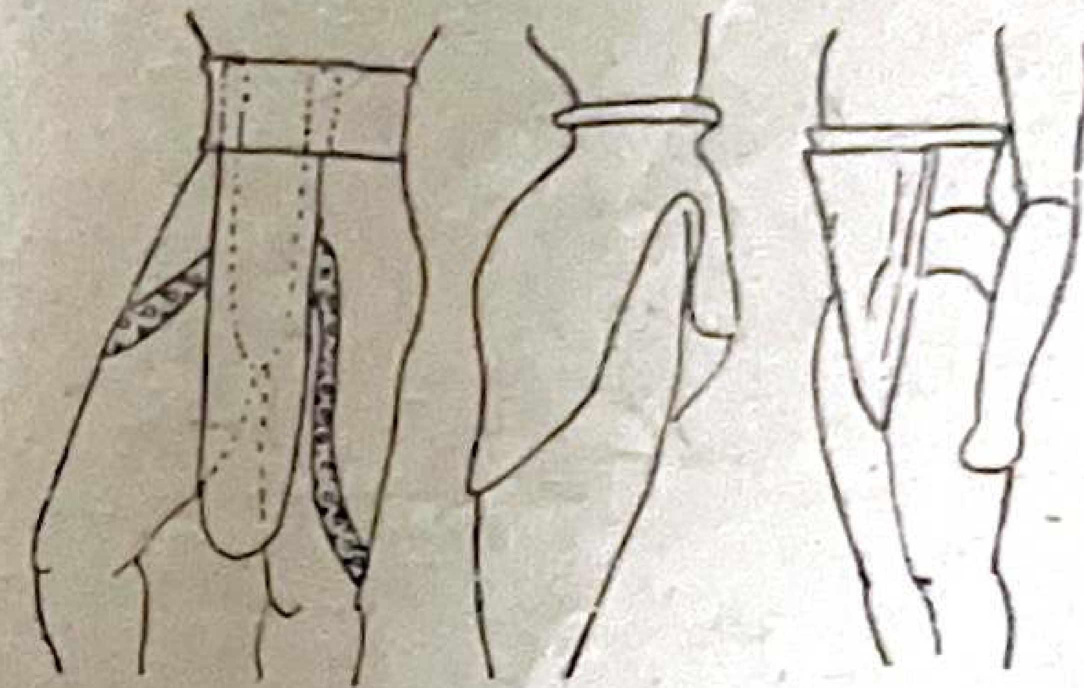
شكل (٣٤) تنورة منقوشة

وبعد ذلك فان المحزم يبدو وكانه جزء من التنورة ، فهو مطرز بنفس تطريزة التنورة حتى انه لا يتميز عنها فى شىء . ولما كانت التنورة من القماش فان المحزم يتمتع بنفس مادتها . واما صلابتها فلم يعد لها من تعليل ، اذ اننا لا يمكن اعتبارها « سترة » . وان فكرة « غمد السهم » التى من الممكن ان توحى الينا بها لهى فكرة خادعة . فالموضوع يتعلق فى حقيقة الامر بقواعد الرسم المصرى : فبينما يصور لنا الحزام والتنورة تصويرا جانبيا de profil يرى المحزم من الوجه de face . وتوجد حالة شبيهة بهذه فى مصر بالنسبة للتنورة الحربية (انظر شكل ٣٥) التى تقدم تقديما جانبيا ومن الوجه فى آن واحد . فيجب اذن الا نرى فى



شكل (٣٥) التنورة الحربية بمصر فى شكل جانبى والقطعة الامامية من الوجـه

محزم سنموت او فى محزم الايجيين Egéens او فى محزم اوسرآمون فكرة « السترة » . وانما المحزم مجرد تدلى عمودى فى الملبس . ومتى قبلنا هذا فاننا نرى ان التنورة التى على شكل محزم والموجودة فى قبور طيبة تشبه الى حد كبير تنورة « ايجه » التى كان يرتديها المينويون من العصر المينوى الوسيط ٣ حتى العصر المينوى الحديث ويكفى للبرهان على ذلك ان نضع جنبا الى جنب احد دافعى الجزية من الهلينيين القدامى — كما هو مصور فى المقابر المصرية — واحد المينويين ممن تقدمهم لنا الرسوم والتماثيل الكريتية (انظر شكل ٣٦) .



تمثـال كريتى — رسم مصرى (بتصرف)

شكل (٣٦) التنورة ذات المحزم فى كريت ومصر

يجب اذن ان نعترف بأنه فى بداية الحكم الشخصى لتحمتس الثالث اخذ التعبير « جزر وسط البحر » يطلق على قطر يسكنه المينويون لان دافعى الجزية الذين كانوا يفدون الى هذا البلد كانوا يرتدون زيا كريتيا محضا ، ومع ذلك فمن الصعب مرة أخرى ان نجزم باليقين . فمما لا

شك فيه ان زى دافعى الضرائب من سكان ايجه — كما هو الحال فى زى حاملى القرابين من الهلينيين القدامى وهم الذين تقدمهم لنا جدران مقبرة رخمارع Rhekamarê الاولى — مما لا شك فيه ان هذا الزى ينتمى الى الملبس المينوى أكثر مما ينتمى الى الملبس الموكينى . ولكن هل يستحيل علينا ان نعترف بأن الموكينيين اثناء العصر المينوى الحديث قد ساروا فى ملابسهم وفقا لطرائق اهل الجزر فى الملبس ؟ .

ومما يؤسف له حقا ان اسطورة قبر سنموت قد اختفت لانها كانت سوف تسمح لنا ولا شك بالاجابة على هذا السؤال . ويبدو من الواضح ان دافعى الضرائب من « ايجة » ايام اوسرآمون قد استلهموا من سنموت . وعلى ذلك فاننا نعترف عادة بأن الاشياء المصورة على الجدران هى مينوية محضة (وابنرايت وفورومارك) باستثناء اعتراض واحد موجه الى آنية الماء الكبيرة ذات الاصل الاوربى التى استحضرتها الشخصية الثالثة لهذا القبر (انظر شكل ٣٢ H. Kantor)

وان اضفنا الى هذا قولنا بأن حاملى الجزية كانوا يرتدون التنورة المينوية التى على شكل محزم (شكل ٣٧) فيجب ان نعترف ايضا ان



شكل (٣٧) ساقى ايجى من مقبرة سنموت

قبر سنموت Senmout كان يمثل « سفارة » كريتية . وهكذا فاننا نرى ان فى اختفاء الاسطورة خسارة لا تعوض لانها سلبتنا فرصة ذهبية لمعرفة الاسم الذى كان يطلقه معاصروا حتشبسوت على المينويين .

ومن الخطأ اذن ان نبقى فى تردد وشك فمن الممكن ان يكون التعبير « جزر وسط البحر » الذى ظهر فى بداية الاسرة الثامنة عشرة قد طبق على الموكينيين كما طبق على المينويين . وقد اشار الاصطلاح بالتدريج

الى الموكينيين فقط خلال حكم تحتمس الثالث . وقد تم التطور ـ ان كان هنالك تطور ـ فى نهاية هذه الفترة لان الاعمدة المصرية التى تحمل جملا شعرية (بعد عام ٣٣ من ذلك العهد . حوالى سنة ١٤٧٠) وفى الحالة الثانية لمقبرة رخمارع (١٤٧٠ ـ ١٤٥٠) تميز الكريتيين عن الهلينيين القدامى من ساكنى « الجزر » .

ومن المستحيل اذن ان نحصى النصوص المصرية التى تكلمت عن « جزر البحر » كى نصل الى معرفة تاريخ ظهور الموكينيين فى مصر . ومع ذلك فان قصد هذاالتعبير الاشارة الى اوربا يجعلنا نفترض ان المصريين كانوا على اتصال بالموكينيين من قبل عام ١٤٧٠ . واخيرايجب علينا ان نلاحظ ـ وفقا لتحليل بعض النصوص المحفورة على المقابر انه ليس هنالك من شىء لا يشير الى قيام عداء مستحكم بين المينويين والموكينيين خلال النصف الاول من القرن الخامس عشر .

الآثار المصرية فى بحر ايجه

انتقال الخزف الايجى الى مصر فى عصر البرونز الحديث

يستدل على الروابط بين المصريين وقدماء الاغريق فى عصر البرونز الحديث كما فى عصر البرونز الوسيط من وجود البقايا الاثرية لكل من الحضارتين فلقد عثرنا على آثار مصرية فى العالم الايجى ، وعلى اوان فخارية هلينية قديمة فى ربوع وادى النيل . وبينما انفردت الآثار الكريتية وحدها باحتوائها فى عصر البرونز الوسيط على بقايا اثرية من مصر الا ان المقابر فى العصر الحديث اصبحت تحتوى فى مختلف انحاء القارة وفىالارخبيل على آثار مصرية . ولقد ذهب بعضالنقاد الى القول بأن المنطقة الموكينية كانت اغنى بآثارها المصرية منكريت نفسها (برسون Persson) . ومن المؤكد انه اذا اخذنا فى هذا بما تنطق به الارقام التى تشير الى الآثار التى عثرنا عليها ، فان اليونان فىالعصر الموكينى تحتوى علىآثار منقولة منوادى النيل اكثرها مما وجد فى كريت فىالعصرالمينوى . الا ان الكم ليس هو العامل الاوحد الذى يجب ان نقيم له وزنا . فاذا فحصنا التاريخ الذى اكتشفت فيه هذه الآثار . فاننا ندرك بالنسبة لكريت ان الاشياء المستوردة من مصر كانت اكثر شيوعا فى العصرين المينوى الحديث الاول والثانى ، بينما تحتوى طبقات اثرية توجد فى القارة الاوروبية وفى الجزر على اكثر الاشياء التى تصدرها مصر .

ونحن نعم ان بعض العلماء ، استنادا الى هذه الملاحظة ، قد افترضوا زوال التجارة المينوية على يد التجار الموكينين (ايفانس

وبندلبرى Pendlebury) . ولو ان الدراسة الدقيقة لا تؤيد هذا الراى فمن ناحية لان الآثار المصرية فى القارة اقل اطرادا فى العصر الموكينى الثالث ولكنها لا تختف فى الطبقات الاثرية الاقدم . وان كان من المؤسف جدا ان التمثال الصغير لسنناس امينوفيس الثانى لم يعثر عليه فى مدينة موكناى فى طبقة نعرف تاريخها تماما ، ومع هذا فانه لا يمكن ان يكون قد صنع فى مصر الا فيما بين سنتى ١٤٥٠ و ١٤٢٥ ق.م ، وبعبارة اخرى فى العصر الموكينىالحديث الثانى. ومنناحية اخرى وجدت آثار مصرية فى موكناى ذاتها فى طبقات العصر الموكينى الحديث الاول لآنية من الخزف . ووجود الآنية من الالباستر فىالعصر الموكينىالحديث الثانى تثبت بوضوح أن سكان القارة كانوا يتاجرون مع مصر منذ ذلك العصر .

وتؤكد مقابر طيبة هذه الظاهرة ، اذ انه حوالى سنة ١٤٥٠ ق.م ، اى فى اوج العصر المينوى الحديث الثانى كان الموكنيون والمينويون يأتون معا الى مصر (مقبرة رخمارع) . فمن العبث اذن فيما نعتقد ان نفترض ان الاشياء المصرية كانت تورد للقارة عن طريق كريت (ايفانس) . فمنذ بداية عصر البرونز الحديث يبدو ان الموكنيين كانت لهم حرية الاتجار مع الشرق (كانتور ، برسون) . ولكن اذا سلمنا بهـذا ، فلا ينبغى ان نقلل من دور تجارة كريت مع مصر فى عصر البرونز الحديث ، لنرفعمن شأن العلاقات الموكينية .

فالتوسع الموكينى ابتداء من العصر الموكينى الحديث الثانى لميقض مطلقا على التجارة المينوية فى الشرق الادنى ومصر ، بل يبدو انه لم يكن هناك ، كما كان يظن احتكار مينوى او موكينى فى العلاقات التجارية بين مدن بحر ايجه وآسيا وافريقيا ، لان التوسع الموكينى ، استند فيما يبدو الى السيطرة البحرية المينوية ، ولم يتغلب عليها او يحطمها . وتلك هى النتيجة التى نصل اليها بعد دراسة المصادر المصرية دراسة عميقة .

واذا كانت القارة الاغريقية على علاقة مع الشرق وخصوصا مع مصر منذ بداية عصر البرونز الحديث ، فان التوسع الموكينى الكبير فى آخر القرن الخامس عشر (العصر الموكينى الحديث الثالث) قوى العلاقات بين الشرق وبلاد اليونان ، ولم يقض على التجارة الكريتية الخالصة . ويجدر بنا ، تأييدا لهذا الراى ، ان نقرر ان الاشياء المصرية التى يرجع تاريخها الى امينوفيس الثالث (١٤٠٨ ـ ١٣٧٢ ق . م) قد عثر عليها فى حاجياترايادا فى كريت ، كما عثر عليهافى موكناى . ولقد ثبت لنا من الاناء المصرى الرائع الذى عثرنا عليه فى احدى مقابر العصر

المينوى الحديث الثالث فى خاتساباس Katsabas التى تقع على الساحل الشمالى لكريت على نفس ارتفاع كنوسوس S. Alexion انه كانت توجد علاقات تجارية مع مصر فى ذلك الوقت . هذا الى ان وجود الجعل المصرى فى (زافريابورا) فى مقبرة كريتية من نفس العصر يؤكد هذه الحقيقة . وبناء على ذلك اذا كانت الروابط بين كريت ومصر قد نشأت ابتداء من القرن ١٥ الى ١٤ ق.م فانها تنقطع حتى ذلك الحين . كما ان العلاقات بين كفتيو كريت والفراعنة استمرت حتى عام ١٤٠٠ ق.م

وهكذا فان الاشياء المصرية فى العالم الايجى تسمح بأن نميز فترتين من تاريخ العلاقات بين المصريين وقدماء الهلينيين . ففى العصر المينوى الحديث الاول والثانى كانت الواردات المصرية تنتشر فى كريت انتشارا كبيرا دون غيرها من جزر بحر ايجة ، اما منذ بداية عصر البرونز الحديث الثالث ينعكس الموقف وتصبح القارة فيما يبدو هى المستورد الوحيد للبضائع المصرية . الا ان هذه الحقيقة لا تعنى ان كريت لم تكن مسيطرة فى عصر البرونز الحديث الأول والثانى على تجارة كريت مع وادى النيل فى السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر . وتتضح هاتان الحقيقتان من استقلال احداهما عن الاخرى ، هذا الاستقلال الذى يمكن استنتاجه فيما يبدو من مجرد التفكير فى كمية الاشياء المصرية التى عثرنا عليها فى عالم ايجة فى عصور محدودة ، فيظهر انها تزيد زيادة واضحة ، لا فى عددها بل فى طبيعتها . فبينما كانت تهتم اولا باستيراد الاوانى المصرية المصنوعة من الحجر الابيض (وجدنا ١٣ اناء من هذه المادة من مجموعة الاشياء المصرية المستوردة البالغ عددها عشرين) الا ان الذوق الموكينى ، على النقيض من ذلك ، كان اكثر تنوعا فى القارة ، ومع ذلك جذبهم الخزف المصرى متعدد الألوان بطريقة واضحة ، خاصة اذا حكمنا على ذلك بعدد الجعول والأوانى والتماثيل بل واللوحات المصنوعة من تلك المادة التى استحضروها او طلبوها من مصر . لكن الحجر الابيض لم يختف ولا الاشياء الأكثر قيمة كالعاج المنحوت فى اسين Asine . بل ربما كان الموكنيون يستوردون من مصر أشياء اكثر نفعا كالنبيذ والزيت ، لان وجود الجرار المصرية المصنوعة من الصلصال فى مواضع من القارة والجزر يرجح استيراد مثل هذه السلع .

وفى مقابل الاشياء المصرية التى عثر عليها فى منطقة بحر ايجه توجد اشياء ايجية عثر عليها فى مصر . والأخيرة عبارة عن اوان فخارية فقط ، فالفخار الايجى كما نعرف وصل الى مصر منذ الدولة الوسطى ، وقد عثر على بعض الأوانى من طراز كمارس Kamaris بالقرب من القصور الملكية فى الفيوم . الا ان هذه الأوانى الفخارية كانت نادرة فى الدولة

الوسطى ، ثم اخذ الفخار الايجى ينتشر شيئا فشيئا حتى يصل الى النوبة فى الدولة الحديثة (انظر الخريطة عن بند لبرى) .

هذا ونجد فى مصر نوعين من الأوانى الايجية ، بعضها مختلفة الاشكال من الالباستر كجرار واكواب واباريق مزخرفة بنقوش رقيقة من نقوش الزينة الايجية ، اما البعض الآخر فكله من الطراز المسمى (ذو الحلقين) (شكل ٣٨) ، وهى مزينة برسم لا يتغير عبارة عن خطوط متوازية من



شكل (٣٨) آنية ايجية ذات حلقين

الوان متعددة . واذا كان النوع الأول من هذه الاوانى الايجية قد درس دراسة وافية ، فالحال ليس كذلك بالنسبة للاوانى الموكنية ذات الحلقين . ونحن نعرف فى مصر وفى باريس عددا كبيرا من هذه الأوانى لم تدرس بعد ، وقد عثر عليها فى مصر . ولاشك ان متاحف اخرى كبيرة تخفى ايضا اوانى فخارية ايجية من نفس الصورة لم تدرس هى الأخرى . ولعل الفرق فى الدراسة العلمية لهاتين الطائفتين من الاوانى يؤدى الى خداع المؤرخ ، لان الخزف الموكينى خلافا لما هو معترف به منذ زمن طويل كان اكثر انتشارا فى مصر من الخزف المينوى . ولقد بلغت كثرة الأوانى الموكينية درجة تحمل المرء على ان يتساءل عما اذا لم تكن هذه الاشياء مادة تجارة منتظمة بين الموكنيين والمصريين .

ومن بين الأوانى ذات الزخرفة غير الهندسية المتعددة الألوان التى عثر عليها تبرز بضعة اشياء مينوية خالصة . ولقد اتجه العلماء اخيرا الى تأكيد القول بأن الاشياء الموكنية المصنوعة من هذا النوع من الفخار اكثر عددا من الاشياء المينوية (كانتور ، بليجن ، ويس Kantor — Wace — Blegen) ؛ بل اصبح من المسلم به ان ثلاثة فقط من الأوانى الايجية ، التى ترجع الى عصر البرونز الحديث والتى عثر عليها فى مصر فى مقابر الدولة الحديثة ، كانت كريتية بكل تأكيد (كانتور) فنسبة الاوانى المستوردة الى الطراز الموكينى او المينوى ليس فى مقدورنا ، كما انه يبدو عقيما . ولا جدال فى ان الأوانى الفخارية المينوية والموكنية

وصلت مصر فى اوائل الاسرة الثامنة عشرة . لذا كانت الدراسة الاحصائية لهذه الاوانى وهمية غير صادقة لازدواج المصدر الذى تعتمد عليه ، ولانها تستند الى عدد قليل جدا من الاشياء ، اذ لم تعثر الا على سبعة عشر اناء فقط . وربما يكفى العثور على عدة اوانى كريتية فى قبر واحد كما حدث بالنسبة للفخار الموكينى ، لتغيير النسب المعروفة تغييرا محسوسا . ولكن لا شك ان التجارة الموكنية ، ابتداء من العصر الموكينى الحديث الثالث قد حلت نهائيا محل تجارة كريت ، حتى انه يصعب علينا ان نؤرخ لاناء ايجى واحد عثر عليه فى جوروب Gourob بانه ينتمى للعصر المينوى الحديث الثالث (فورومارك) .

وهكذا فان دراسة الاشياء الايجية التى وجدت فى مصر ، ودراسة الآثار المصرية التى اكتشفت فى ايجة ، تزيد من قيمة المعلومات التى تصلنا عن طريق النقوش والنصوص المصرية. وسنلاحظ ان الاكتشافات الأثرية تشير الى ان مصر استوردت اشياء لم نعرف عنها شيئا عن طريق النقوش . وهذه الاشياء عبارة عن اباريق واوان من المعادن الثمينة او من الفضة المنقوشة . واذا استثنينا وجود الأوانى الثلاثة ذوات الحلقين فى مقبرة رمسيس الثالث ، فان صناعة الفخار الايجية من الصلصال المحروق لاتبدو ابدا من النقوش المصرية . وهكذا يكمل هذان المصدران كل منهما الآخر ويجعله اكثر نفعا .

وظهور قطع الفخار الايجية من عصر البرونز الحديث فى مصر تؤيد، كما نرى ، النتائج التى يمكن استنتاجها من توزيع الأشياء المصرية فى بحر ايجة . ففى عصر البرونز الحديث الاول والثانى نجدان قطع الفخار كانت قليلة الانتشار وكانت مينوية أو موكنية . وهذا يؤيد الافتراض الذى سبق ان قدمناه وهو يرجح كفة التجارة المينوية على الموكنية فى الشرق الادنى فى تلك الفترة . وبعد اوائل عصر البرونز الحديث الثالث بقليل ، يختفى استيراد الأوانى الكريتية فى مصر على الاقل ، وفى نفس الوقت تزداد اهمية الواردات الموكنية من الأوانى الفخارية وتنتشر فى كل وادى النيل .

والدراسة التى بقى علينا ان نقوم بها عن هذا الفخار تظهر دون شك اصل هذه الاوانى ، وتساعد على ان نعرف اى الاشياء او اى المواد الخام كانت تصدر من مصر فى مقابل هـذا . ويحتمل ان جزر شرق البحر المتوسط الكبرى كرودس وقبرص قد لعبت دورا بارزا فى تقدم هذه التجارة الموكينية ،فهناك امل كبير ايضا فى القيام بحفائر اثرية جديدة.

التأثير الايجى فى مصر فى عهد الامبراطورية الحديثة

ان التأثير الايجى فى الفن المصرى يعد من اخطر المشاكل التى يثيرها تاريخ الفن ومن اعقد المشكلات التى لا حل لها . ويبدو هذا التأثير اول مايبدو واضحا ، ولكن عندما يتعلق الأمر بتعريفه وتحديد تفاصيله الجزئية ، سرعان ما يختفى ويترك المؤرخ فى حيرة شديدة . الم يداعب هذا الموضوع خياله عندما خطر له انه قد شاهد هذا المنظر او ذاك فى الفن المصرى فى الاسرة الثامنة عشرة ، وانه لمس فيه نفس الحركة او الروح التى حركت قدماء الهلينيين ؟ فلا شك أن الاشخاص والحيوانات والنباتات التى تظهر فى هذا الفن لا شك انها مصرية . فهل تجميعها واسلوبها يدلان حقا على انها غريبة عن فن وادى النيل ؟ الا يستطيع المرء ان يتذكر بين وقت وآخر تصميمات مماثلة ليست غريبة ؟ وهل هذا الاسلوب ذاته اسلوب ايجى بحت ؟ الا يمت بصلة لسوريا ؟ وفى كل هذه الخطة تزداد الشكوك شيئا فشيئا حتى يجد المرء نفسه مضطرا ، رغما عنه ، الى الشك والتوجس فى الاثر العام الذى يشعر به ، لانه يحمل علماء الآثار النابهين الى التعرف على اثر واعتباره فينيقى مرة وايجى مرة اخرى .

ولكن ابتداء من العصر المينوى الاوسط والاسرة الثانية عشرة ، يمكننا أن نتصور تأثير الفن الايجى على مصر . ففى ذلك العصر انتشر الاسلوب الزخرفى الحلزونى انتشارا بالغا فى مصر . ويوافق ظهوره وجود اوانى كمارس Kamaris فى المواقع الأثرية المصرية ، بل ومن المحتمل ان يكون سابقا عليه بقليل ، مادامت الزخرفة على الطريقة الحلزونية en spirales قد ظهرت فى مصر فى بداية الأسرة الثانية عشرة ، فى وقت لانعثر فيه على فخار ايجى فى وادى النيل (كانتور) . ولكن لاشك انه ليس هناك مايبرر الاصرار على هذا السبق الزمنى . فان الاماكن التى استكشفت وترجع الى عهد الدولة الحديثة (الامبراطورية المصرية) ليست كثيرة العدد فى مصر . والمقابر الرائعة المزينة فى ذلك العصر ، كانت قد نهبت محتوياتها، منذ زمن بعيد عندما اكتشفها علماء الآثار . فانعدام الأوانى الفخارية الايجية فى بداية الأسرة الثانية عشرة لايمكن اذا ان يذكر دون خطورة ، كما ان ظهور الشكل الحلزونى فى قائمة الزخرفة المصرية يمكن ان يتخذ دليلا على علاقات بين ايجة ومصر فى عصر البرونز الوسيط .

ولكن المشكلة تزداد تعقيدا لسوء الحظ عندما نواجهها فى اطار جغرافى اوسع . حقا ان الشكل الحلزونى يظهر على الجعول المصرية ، الا ان هذا النوع من الاشياء المزخرفة على هذا النحو دقيق الصلة

فيما يعلو باحتلال الهكسوس ، وبالتالى فهو آسيوى من مصر . وهذه الاشياء توجد فى فلسطين ومصر معا فى بداية الاسرة الثانيةعشرة، منذ حكم سنوسرت الاول (A. Rowe) . اذن فما الدور الذى لعبته فلسطين وسوريا فى اقتباس الزخرفة الحلزونية ؟ وتوضع علامة الاستفهام ذاتها بالمثل عندما تقرر الازدهار المفاجىء لهذا النقش فى زخرفة مقابر طيبة فى الدولة الحديثة . فهل هو نتيجة لاحياء الاسلوب المستعار من ايجة فى عصر البرونز الوسيط ؟ ام انه استعارة جديدة مستقلةعن الاولى ؟ ومرة اخرى ، ماهودور آسيافى انتشار هذا الاسلوب الزخرفى ؟ من الواجب اذن ان نفكر فى هذه الاسئلة عندما تؤكد فى اوقات متعددة ، ان النماذج الايجية (الحلزونى) والسورية (سعف النخيل ؛ ترتبط ارتباطا وثيقا فى نقوش المقابر المصرية .

ولقد ظن بعض العلماء ايضا بوجود اثر ايجى فى الاسلوب المصرى لتصوير الحيوان ، وقامت مناقشات علمية كثيرة حول معرفة ما اذا كان الشكل المعروف المسمى بالحيوان الراكض (شكل ٣٩) انما صور فقط عن عالم ايجة ، ام ظهر فى نفس الوقت فى مناطق متعددة . ومع ان الاصل الايجى لهذا الاسلوبمعترف به كثيرا (كانتور و دوسو) فان بعض المؤلفين يعتقدون فى امكان وجوده فى نفس الوقت تماما . وهذا الجدل له اهميته لانه اذا صح ان اسلوب الحيوان الراكض ايجى فقط ، لاصبح لدينا دليل على وجود تاثير ايجى مؤكد فى الفن المصرى منذ بدء الدولة الحديثة .

والواقع ان نصل آحوتب Aahhotep (اول الاسرة ١٨) مزخرف على طريقة الخناجر الايجية المعاصرة له ، يزينه منظر صيد منقوش فى شكل خطوط على طول يده ، ولكن اللبؤة التى تطارد ثورا وحشيا تبدو مثلا قويا للحيوان الراكض (شكل ٣٩ ، مما يفسر ان المرء قد استطاع





شكل (٣٩) الفهد المصرى الطائر

ان يرى قديما فى هذا الخنجر شيئا ايجيا . ولما كان هذا النصل مصريا بلا جدال ، فيجب علينا الاعتراف بان الفنانين المصريين كانوا يعرفون

ايجى منذ بداية الاسرة الثامنة عشرة ، معرفة جيدة حتى انهم ... وا به واستطاعوا ان يبتكروا بدورهم مناظر حية تثير اعجابنا فى ... الايجية والموكنية .

وتذكر النصوص ايضا بلاد كفتيو وتبين انه فى الاسرة السابعة عشرة ومطلع الثامنة عشرة كانت العلاقات بين كريت ومصر اشد واقوى مما صورته بعض المصادر الاثرية ، فليس من المستحيل اذن ان نقش نصل آحوتب على طول السلاح كله واسلوب ذلك النقش ليس الا نتيجة لتاثير عميق من ايجة فى مصر .

ولسوء الحظ نحن مضطرون هذه المرة ايضا لاثارة اعتراضات : اولها ان الشريط المزخرف ضيق جدا ، وتصوير اللبؤة يشغله بكل عرضه حتى انه ليس من المستحيل ان يكون الاتجاه الى الحيوان الراكض راجعا ببساطة الى حقيقة ان الفنان لم يجد المكان الكافى ليصور اللبؤة ، حسب القواعد التقليدية فى الرسم المصرى . هذا الى انه اذا كان من المؤكد ان منظر مطاردة الفهد للثور ايجى فى روحه ، فان النصل يحمل ايضا معالم آثار سورية ، كما يشهد بذلك الشريط الطويل من سعف النخيل الذى يزين الوجه المقابل لمنظر المطاردة . واذن فهذا التاثير السورى يجب ان يذكر بوضوح ، لان الفنان المصرى قد استعان فى زخرفة النصل بطريقة الحفر التى تبدو سورية الاصل . الامر الذى يضطرنا مرة اخرى ان نثير من جديد مشكلة امكان وجود وسيط ، يكون قد نقل الى مصر تاثيرات من اصل ايجى . ومرة اخرى نجد هذا الخليط من التاثيرات السورية والايجية فى منظر الصيد الرائع الذى يزين مقبرة (بويمرع Pouyemrè) الذى مات فى مطلع حكم تحتمس الثالث . ففيما عدا امثلة الحيوان الراكض التى نستطيع ان نراها فى نقوش هذه المقبرة ، فان تغيير المحور فى الاشكال ، اى جعل الحيوان يستدير فى قفزة كاملة (شكل ٣٩) يعزى الى تاثير الرسم الايجى و، الفن المصرى (كانتور) الا انه يجب ان نلاحظ ان هذا اللون قد اعتبر طابعا مميزا للفن الفينيقى (دوسو) ونحن نعرف ان مقبرة بويمرع مشهورة برسومها السورية وآثارها السورية .

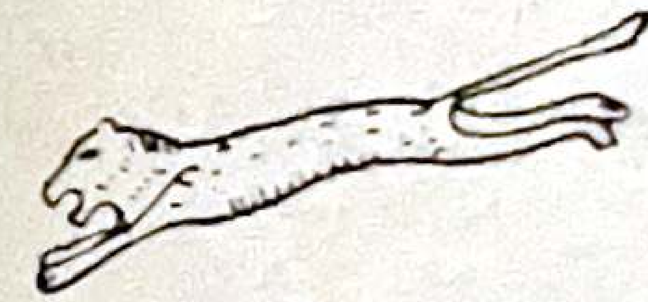
فنحن نرى مبلغ صعوبة تناول مشكلة التاثيرات هذه ، وعدم امكاننا تحديد التاثير الايجى والتاثير السورى ، وتبيان اصالة كل منهما واثبات ذلك فى عصور التبادل . وتعتبر هذه المشكلة صعبة شائكةحتى انها تجعلنا نعتقد ان المصريين قد وقعوا تحت تاثير ايجى .

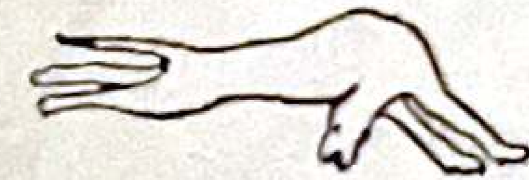
ومن الواضح ان المصريين قد استلهموا الاعمال الايجية فى حالات معينة وانهم منذ الاسرة ١٨ قلدوا الاوانى الموكينية ذات الحلقين فى صناعة

فيما يبدو باحتلال الهكسوس ، وبالتالى فهو آسيوى من مصر . وهذه الاشياء توجد فى فلسطين ومصر معا فى بداية الاسرة الثانية عشرة، منذ حكم سنوسرت الاول (A. Rowe) . اذن فما الدور الذى لعبته فلسطين وسوريا فى اقتباس الزخرفة الحلزونية ؟ وتوضع علامة الاستفهام ذاتها بالمثل عندما نقرر الازدهار الفاجىء لهذا النقش فى زخرفة مقابر طيبة فى الدولة الحديثة . فهل هو نتيجة لاحياء الاسلوب المستعار من ايجة فى عصر البرونز الوسيط ؟ ام انه استعارة جديدة مستقلة عن الاولى ؟ ومرة اخرى ، ماهو دور آسيا فى انتشار هذا الاسلوب الزخرفى ؟ من الواجب اذن ان نفكر فى هذه الاسئلة عندما تؤكد فى اوقات متعددة ، ان النماذج الايجية (الحلزونى) والسورية (سعف النخيل) ترتبط ارتباطا وثيقا فى نقوس المقابر المصرية .

ولقد ظن بعض العلماء ايضا بوجود اثر ايجى فى الاسلوب المصرى لتصوير الحيوان ، وقامت مناقشات علمية كثيرة حول معرفة ما اذا كان الشكل المعروف المسمى بالحيوان الراكض (شكل ٣٩) انما صور فقط عن عالم ايجة ، ام ظهر فى نفس الوقت فى مناطق متعددة . ومع ان الاصل الايجى لهذا الاسلوب معترف به كثيرا (كانتور و دوسو) فان بعض المؤلفين يعتقدون فى امكان وجوده فى نفس الوقت تماما . وهذا الجدل له اهميته لانه اذا صح ان اسلوب الحيوان الراكض ايجى فقط ، لاصبح لدينا دليل على وجود تاثير ايجى مؤكد فى الفن المصرى منذ بدء الدولة الحديثة .

والواقع ان نصل آحوتب Aahhotep (اول الاسرة ١٨) مزخرف على طريقة الخناجر الايجية المعاصرة له ، يزينه منظر صيد منقوش فى شكل خطوط على طول بده ، ولكن اللبؤة التى تطارد ثورا وحشيا تبدو مثالا قويا للحيوان الراكض (شكل ٣٩) مما يفسر ان المرء قد استطاع





شكل (٣٩) الفهد المصرى الطائر

ان يرى قديما فى هذا الخنجر شيئا ايجيا . ولما كان هذا النصل مصريا بلا جدال ، فيجب علينا الاعتراف بان الفنانين المصريين كانوا يعرفون

الفن الايجى منذ بداية الاسرة الثامنة عشرة ، معرفة جيدة حتى انهم تشبعوا به واستطاعوا ان يبتكروا بدورهم مناظر حية تثير اعجابنا فى الآثار الايجية والموكنية .

وتذكر النصوص ايضا بلاد كفتيو وتبين انه فى الاسرة السابعة عشرة ومطلع الثامنة عشرة كانت العلاقات بين كريت ومصر اشد واقوى مما تصورته بعض المصادر الاثرية ، فليس من المستحيل اذن ان نقش نصل آحوتب على طول السلاح كله واسلوب ذلك النقش ليس الا نتيجة لتاثير عميق من ايجة فى مصر .

ولسوء الحظ نحن مضطرون هذه المرة ايضا لاثارة اعتراضات : اولها ان الشريط المزخرف ضيق جدا ، وتصوير اللبؤة يشغله بكل عرضه حتى انه ليس من المستحيل ان يكون الاتجاه الى الحيوان الراكض راجعا ببساطة الى حقيقة ان الفنان لم يجد المكان الكافى لصور اللبؤة ، حسب القواعد التقليدية فى الرسم المصرى . هذا الى انه اذا كان من المؤكد ان منظر مطاردة الفهد للثور ايجى فى روحه ، فان النصل يحمل ايضا معالم آثار سورية ، كما يشهد بذلك الشريط الطويل من سعف النخيل الذى يزين الوجه المقابل لمنظر المطاردة . واذن فهذا التاثير السورى يجب ان يذكر بوضوح ، لان الفنان المصرى قد استعان فى زخرفة النصل بطريقة الحفر التى تبدو سورية الاصل . الامر الذى يضطرنا مرة اخرى ان نثير من جديد مشكلة امكان وجود وسيط ، يكون قد نقل الى مصر تاثيرات من اصل ايجى . ومرة اخرى نجد هذا الخليط من التاثيرات السورية والايجية فى منظر الصيد الرائع الذى يزين مقبرة (بويمرع Pouyemrè) الذى مات فى مطلع حكم تحتمس الثالث . ففيما عدا امثلة الحيوان الراكض التى نستطيع ان نراها فى نقوش هذه المقبرة ، فان تغيير المحور فى الاشكال ، اى جعل الحيوان يستدير فى قفزة كاملة (شكل ٣٩) يعزى الى تاثير الرسم الايجى فى الفن المصرى (كانتور) الا انه يجب ان نلاحظ ان هذا اللون قد اعتبر طابعا مميزا للفن الفينيقى (دوسو) ونحن نعرف ان مقبرة بويمرع مشهورة برسومها السورية وآثارها السورية .

فنحن نرى مبلغ صعوبة تناول مشكلة التاثيرات هذه ، وعدم امكاننا تحديد التاثير الايجى والتاثير السورى ، وتبيان اصالة كل منهما واثبات ذلك فى عصور التبادل . وتعتبر هذه المشكلة صعبة شائكة حتى انها تجعلنا نعتقد ان المصريين قد وقعوا تحت تاثير ايجى .

ومن الواضح ان المصريين قد استلهموا الاعمال الايجية فى حالات معينة وانهم منذ الاسرة ١٨ قلدوا الاوانى الموكينية ذات الحلقين فى صناعة

الفخار متعددة الالوان ، وانهم منذ بداية هذه الاسرة ذاتها صنعوا اوان مرمرية واباريق مخروطية ، تقليدا للاوانى المينوية الحديثة . وهذا التقليد يدل دلالة واضحة على المام تام بالفن الايجى ، لهذا فليس من الغريب ان نرى على نقوش مقابر طيبة الصناع المصريين فى مصانعهم منهمكين فى تشكيل اشياء ايجية ، كالاباريق التى على شكل راس الثور والصحاف الكبيرة التى امدتنا الحفائر الموكنية والكريتية بنماذج مماثلة لها .

وفضلا عن هذا لا يقتصر تاثير العالم الايجى على صناعة الاشياء ايجية فى مصر بل انه يذهب الى حد تبنى المصريين لاصطلاحات فى الرسم الهلينى القديم . وهكذا فان الابريق الذى على صورة راس الثور لا بد وان يكون عملا ايجيا مادام قد اكتشف بهيكله وصورته فى كريت وفى موكناى ، بينما نراه فى الفن المصرى وقد بدا القرنان فى صورة de profil جانبية مع ان المتعارف عليه فى الفن المصرى ان ترسم دائما قرون الثيران من الامام de face (شكل ٤٠) .



شكل (٤٠) قرون الثور وقد صورها المصرون حسب الطريقة الايجية (اليمنى) مقابرين بذلك الطريقة المصرية التقليدية (اليسرى)

واذا وجهنا الى آثار كريت سواء المنحوته او المرسومة ، فاننا نجد ان الايجيين من جانبهم يصورون القرون فى شكل جانبى « بروفيل » (شكل ٤٠ ب) فنحن اذا فى نفس الوقت بازاء عمل غريب وفن غريب استورده المصرون . وهذه ظاهرة جديرة بالملاحظة : عندما يصور الفنانون ابريقا من هذا النوع فى مصنع مصرى ، نجدهم يتخلون عن القواعد المتبعة فى الرسم المصرى ، ليتبعوا قواعد الرسم الايجى .

واخيرا يظهر ان رؤية المنسوجات الايجية وربما استيرادها بمصر قد اثرت فى صناعة النسيج المصرى ، فظهور النسيج المطرز والمنقوش فى الاسرتين ١٨ و ١٩ وكذلك زخرفة سقوف مقابر طيبة فى ذلك العصر ، يرتبطان بوضوح بادخال اقمشة مزركشة فى مصر ، اذ يلبسها الملتزمون الايجيون فى رسوم المقابر .

لقد انتهينا من تعداد الحقائق التى لا يمكن انكارها ، ولقد ناقش العلماء بعض التاثيرات الاخرى وتشككوا فى حدوثها . فلقد كان من المستحيل اثبات ان الكتابة المينوية قد امكن ان تتاثر بالكتابة المصرية(١) وقد اقترح بالمثل ان فى صناعة الحجر المنقوش فى كريت تاثيرا مصريا . وفى مقابل هذا ، تكون الجواهر المصرية قد طبعت بالطابع المينوى ، وحينئذ يكون نفس التاثير قد حل بصناعة العاج . كل هذا ممكن ، ولكن ينبغى مرة اخرى فى هذه النقطة بالغة الدقة امكان التفرقة بين ما هو سورى وبين ما هو ايجى . واخيرا فقد اثيرت تاثيرات اقل اهمية من ذلك بكثير خاصة باسلوب الرسم ذاته وبطريقة اظهار الحركة ، فقد كان من الممكن الشعور بهذه التاثيرات خصوصا فى فن العمارنة . وهنا ستعترضنا مشكلة هامة جدا كثيرا ما تثار : هل نستطيع ان نؤكد وجود تاثيرات امينوفيس الرابع ؟

لقد ابرز البعض قيمة الذوق وقوة التعبير فى صور الافراد ، والبحث فى المنظر الجميل والزخرفة المتماسكة لاربعة جدران لاحدى الحجرات ، واستعمال نوع من المنظور لفارس ، وتظهر كلها فى فن العمارنة ، مما يمكن ان يكون نتيجة تاثير من الفن الايجى حيث نستطيع ان نلاحظ نفس هذه المعالم وعلى الاقل فى جزء منها (فرانكفورت) . ولكننا كماذكر البعض نواجه هنا نزعة جميلة عامة اكثر من ان نواجه تقليدا بالمعنى الصحيح (بسنج وكانتور) . فمن المؤكد ان المقاربات بين الافراد المختلفة التى كانت تلهم فنانى العمارنة وفنانى ايجة معا ، توحى باحتمال وجود تاثير ايجى فى الفن المصرى . هذا الاحتمال جدير ايضا ان يؤخذ بعين الاعتبار ، كما تدل المصادر الاثرية فى ذلك العصر على ان المصريين وقدماء الهلينيين كانوا على علاقة .

ومع هذا ، فاذا علمنا انه حتى الآن لم يستطع احد ان يذكر اوجه شبه واضحة فى التفاصيل بين الرسوم المصرية فى العمارنة والاشكال الايجية ، فمن المستحيل اثبات هذا التاثير . وهذا صحيح بقدر ما نجد ان كثيرا من غرابة فن العمارنة نشا فى الواقع عن تطور طبيعى للفن الفرعونى فى عصور سابقة (بسنج) . ولذلك يجب ان نكتفى بمعرفة ما اذا كان الفن الايجى قد ساهم فى تكوين فن العمارنة ام لا . وحرى بنا ان نقبل ذلك عندما نقترح على الفنان المصرى ان ينظر الى الطبيعة نظرة جديدة بدلا من تقيده بنماذج يحاكيها محاكاة عمياء .

---

(١) لقد اثبت بندليرى تشابه بعض الحروف من الكتابتين (المترجم)

العلاقات بين المصريين وقدماء الهليتيين في عصر البرونز الحديث

وتدل المصادر المصرية ان العلاقات بين مصر والعالم الايجي اصبحت وثيقة في الدولة الحديثة ، حيث تظهر النقوش والمصادر الاثرية القيمة. فظهور الايجيين في نقوش مقابر طيبة كما نعلم هو الحقيقة الاساسية . ولا نستطيع ان نؤكد مع ذلك وجود اتصالات مباشرة بين المصريين وقدماء الهليتيين . اذ كيف يستطيع فنانو طيبة ان يصوروا بمثل هذه الدقة قدماء الهليتيين اذا لم يروهم بأعينهم . من اجل هذا سوف نهتم بدراسة الآثار .

ويلزمنا اول الأمر ان نلاحظ احدى الغرائب : فبينما النصوص والمصادر الاثرية لا تدع مجالا للشك في ان العلاقات بين مصر والعالم الايجي كانت وثيقة ، منذ بداية عصر البرونز الحديث ان لم يكن في نهاية عصر البرونز الوسيط ، فان النقوش المصرية التي تمثل الايجيين لاتظهر في طيبة الا بعد ذلك بنصف قرن .

فهناك اذا عدم توافق فيما يقرب من خمسين سنة بين النوعين من المصادر . فهل يحق لنا ان نعترف بأن الايجيين لم يحضروا بأشخاصهم الى بلاط فرعون الا ابتداء من حكم حتشبسوت ؟ فعدم التوافق يثير كما نرى مشكلة هامة ، هي مشكلة تاريخ وصول سفراء ايجة الى مصر. والصور الاولى للايجيين على المقابر يرجع تاريخها — كما نعلم من اكتمال مقبرة سنموت — الى عام ١٤٩٣ ق.م Hayes ولكن اليست هذه الصور هي اول رسوم حددت بالكتابة التصويرية ذكرى جزية ايجية وصلت مصر ؟

ان ملتزمي سنموت يعتبرون جزء من سفارة ايجية وصلت مصر في عهد حتشبسوت ، ولكن اى دليل تاريخي لدينا لهذه الحقيقة ؟ الاينبغي ان تقدم وزنا لعادة الفنانين المصريين في نقل المناظر الاكثر قدما . واذا كنا واثقين تقريبا بفضل التغيرات التي تعرضت لها نقوش مقبرة رخمارع فيما بين ١٤٧٠ و ١٤٥٠ ق.م ، من ان وفد ايجيا وصل مصر فعلا في ذلك التاريخ ، فان تاريخ الوفد الذي جاء قبل هذا ، وهو المرسوم في مقبرة سنموت يقوم على التخمين واذن فبعض البيانات تجعلنا نعتقد ان الايجيين في سنموت قد رسموا في الحقيقة نقلا عن مقبرة اقدم .

وثمة حقيقة يبدو انها ثابتة تماما فالعلاقات المصرية الايجية

تقوى او تضعف كلما كانت آسيا تحت سيطرة مصر او على العكس كلما كانت هي المسيطرة على مصر ، ومشكلة العلاقات بين الايجيين والمصريين ترتبط ارتباطا وثيقا فيما يبدو بالتأثير الأسيوى في مصر والمصرى في آسيا اى فيما بين ٢٤٠٠ — ٢٠٠٠ ق.م ابان الحملات الاولى المصرية في آسيا والتي يتبعها بسرعة غزوات اسيوية اولى في مصر .بحيث ان معالم التأثير المصرى في كريت تظهر . فسياسة تدخل فراعنة الاسرة الثانية عشرة في آسيا تسير جنبا الى جنب مع وجود اشياء ايجية في مصر واشياء مصرية في كريت . وغزو الهكسوس لمصر السفلى معاصر لتوسيع الاسلوب الحلزوني في وادى النيل ووفرة من الاشياء المصرية في كريت . واخيرا ففي عهد تحتمس الثالث في عصر كانت السيطرة المصرية فيه على آسيا اقوى ما تكون ، نجد الروابط بين العالم الايجي ومصر من اوثق ما تكون .

الا انه خلال حكم حتشبسوت ، انطوت مصر على نفسها على الاقل فيما يتعلق بآسيا ، لذلك ربما يبدو غريبا ان فقدت تلك الفترة بالذات الجزية الاجنبية . وهذا امر طبيعي لاننا نعرف في الحقيقة الحملات الآسيوية لتحتمس الاول وتحتمس الثالث التي وصلت اعالي الفرات وفي الواقع اكثر من هذا فان مقبرة « اوسرامون » حوالى سنة ١٤٧٦ ق . م وان كانت قد استلهمت احيانا من مقبرة « سنموت » ! ولكن حتى لو اقمنا وزنا للفجوات الحالية لهذه المقبرة الاخيرة فان رسوم اوسرامون هي في اغلب الاحيان مستقلة عن رسوم سنموت وبهذا فنحن لانجد في اسرامون السيف الطويل والجرة على صورة افعى المنقوشة في سنموت كذلك فان الكوب المنيوى في جزية اوسرآمون مختلف جدا عن الكوب في سنموت ،ونستطيع ان نكثر من ملاحظات الاختلاف بين هاتين المقبرتين .

فهناك اذن امكانيتان : اما ان اوسرآمون قد استحدث جزية جديدة ايجية وصلت الى مصر فيما بين سنتي ١٤٩٣ و ١٤٧٦ ، واما ان الفنانين الذين زينوا مقبرته قد استعانوا بوثائق سابقة مختلفة عن تلك التي نجدها في « سنموت » ولكننا نقرا في مقبرة « رخمارع » في ختام استقبال الجزية الاجنبية ان الوزير قد انعم عليه لهذه المناسبة « كما حدث بالنسبة لابية الوزير عاميتو Aametou ونحن نعرف ان كلمة ايت It تدل في اللغة المصرية على الجد اب الأب او اب الأم بل وعلى السلف بصورة عامة وعلى الأب بالمعنى الحقيقي واذن فالوزير «عاميتو احمس» معروف ايضا فهو ابو الوزير اوسرامون وجد رخمارع. وتحليل الوثائق التي تتعلق بذلك قد حملتنا على الظن بأن عاميتو احمس قد عاش جزءا من حياته في حكم حتشبسوت وانه لم يكن وزيرا الا في عهد

تحتمس الثانى اى فى عصر حملات آسيا .

فنحن نميل اذن الى الاعتراف بانه فى مقبرة سلفهما المشترك قد امر بنقل بعض صور قدماء الهلنيين التى نجدها هى بعينها فى مقبرتيهما وفى مقبرة بويمرع Pouyemré الذى كان معاصرا لهما وتكون اذن فى نظرنا قد وصلت جزية ايجيه الى مصر لا فى عصر حتشبسوت بل فى حكم تحتمس الاول او تحتمس الثانى وتكون لهذا اذن ميزة الاهتمام ببعض الانساب بين اشخاص مقبرة واخرى — انساب هى فى حالة انعدام اصل مشترك ، لا يمكن تفسيرها . وهذا الافتراض يؤدى الى ملء فراغ نصف القرن الذى نقرره بين تاريخ ظهور الاشياء الايجيه فى مصر وظهور الصور الاولى للهلينيين القدماء . وجدير بالذكر فى هذا الصدد ان هناك مناظر ونصوصا تزين مقبرة « رخمارع » منقولة عن اصول اقدم كما وضح ذلك رئيس وزراء تحتمس الثالث .

وبهذا تكون الحالة الاولى لرسوم مقبرة رخمارع التى كانت تمثل الملتزمين الايجيين بنفس السمات التى لهم فى مقبرة أوسر آمون هى محاكاة لهذا التصوير القديم . ونحن لا نقدم هذا الافتراض الا بكل تحفظ ولانسوغه الا لاهتمامه ببعض الحقيقة التى استطعنا ان نلاحظها والتى قد لا يمكن تفسيرها بغير ذلك ، الا ان تصوير الايجيين فى مقابر طيبة ليس هو الظاهرة الوحيدة التى تثبت وجود علاقات مباشرة بين افريقيا وايجه فى بداية عصر البرونز الحديث فان النصوص تدل هى ايضا على انه منذ بداية الاسرة الثامنة عشرة كانت مصر فى علاقات مع بلاد كفتيو اى مع كريت . وفى ذلك العصر كان بعض المصريين يعرفون اللغة الكريتية كما وصل بعض كبار سكان جزيرة البحر المتوسط الى مصر ما دمنا نجد نقوشا فى طيبة تصورهم بل ونجد ايضا قائمة باسماء اعلام كريتية على لوحة مصرية ، ونجد احد الكريتيين مذكورا على قائمة حاملى بطاقات التموين الاجانب .

فوجود ايجيين هكذا فى مصر ينطوى فيما يبدو على وجود علاقات وثيقة الى حد ما بين الحضارتين فاذا بدا لنا من التهور ان نعترف — استنادا الى الاعتقاد فى لوحة الكرنك الشاعرية بأن تحتمس الثالث قد استطاع ان يغزو كريت فان الحقيقة ليست مع هذا مستحيلة اطلاقا . والواقع اننا لا نستطيع ان ننسى ان الاسطول المصرى كان حينئذ قويا جدا فى شرق البحر المتوسط حيث وصلت غزواته موانى ساحل سوريا ، وربما استطاع خلال مناوراته ان يحتك ببعض سفن كريت مما نتج عنه حين ترجم بلغة الشرق الشاعرية اسطورة الانتصار المصرى على البلد الاصلى للسفن المغلوبة .

ومهما يكن من الامر فان النصر الذى يصاحب صور الايجيين فى مقبرة

رخمارع ربما يثبت انه فى عهد تحتمس الثالث ايضا كان الكريتيون والموكنيون يرتبطون باتفاق مع مصر وهذا نتج بوضوح من العبارة التى سبق لنا ذكرها وهى «امراء بلاد كفتيو وبلاد الجزر التى هى فى قلب البحر قد جاءوا فى سلام ، راكعين وخافضى الرؤوس ازاء قوة جلالة تحتمس الثالث لانهم قد سمعوا الحديث عن انتصاراته على كل البلاد الاجنبية وقد جاءوا بعطاياهم لكى يحصلوا على حق الحياة ، راغبين فى ان يخضعوا لجلالته حتى تدلهم قوته » فالتحليل العميق لهذا النص اذا قورن بالنصوص التى توجد فى مقبرة رخمارع قد ادى بنا الى التفكير فى ان هذه العبارة كان لها معنى دقيق فسكان كريت والجزر الموكنيون قد جاءوا يضعون انفسهم تحت رحمة فرعون وهذا الخضوع ليس نتيجة هزيمة حربية ما دام النص يحدد انهم قد جاءوا « لانهم قد سمعوا الحديث عن انتصارات جلالته » هذه العبارة توجد مرة اخرى فى نصوص مصرية اخرى حيث تنطبق على شعوب رغم انها لم يهزمها فرعون فهى ترسل له مع هذا الهدايا لكى تحوز رضاءه السامى .

وقد يكون هناك شيئان يحملان الكريتيين والموكنيين على طلب صداقة مصر : الخوف من التدخل العسكرى فى بلادهم من ناحية سواء من جانب فرعون نفسه او من عدو آخر والغزوات التجارية من ناحية اخرى .

ومع اننا لا نستطيع ان نستبعد بصفة مطلقة السبب الاول فانه يبدو لاول وهلة اقل احتمالا من الثانى فمهما يكن من القوة التى استطاعت ان تكون عليها بحرية تحتمس الثالث بل وبمساندة الاساطيل الآسيوية للدول التى هزمت حديثا فنحن نتصوره لا يستطيع ان يحد من خطر القوة الايجية الموزعة فى جزرها وعلى سواحلها على اكثر من ٧٠٠ كيلومتر من اقرب نقطة من الساحل المصرى ومع ذلك فان هذا الفرض ليس بعيدا ، فمن جهة كان احد قواد تحتمس الثالث بسوريا يشرف على جزر البحر ومن جهة اخرى اذا سلمنا بأن سفينة « كفتيو » — المذكورة فى النصوص كانت ذات صناعة مصرية (Söderbergh) — وهذا محتمل جدا — فان هذه السفن كانت تحبذ ان تكون اسطولا يعمل فى حدود هذه الجزر ، هذا الاسطول لو لم يمثل خطرا جسيما على الايجيين يبدو مع هذا انه يستطيع مضايقتهم خصوصا فى تجارتهم مع آسيا ، وبهذا نرى اننا نستطيع ان نصل من هذا الى الاحتمال الثانى الذى نفضله من جانبنا ، فان وضع يد المصريين على موانى سوريا ابتداء من السنة الثلاثين لحكم تحتمس الثالث (حوليات الكرنك Annales de Karnak) كان لا بد ان يضايق الى حد كبير تجارة ايجه البحرية مع آسيا التى كانت تمر بالضرورة عبر هذه الموانى . ولا مجال للتعجب من أن يكون

الايجيون قد وجدوا من الضرورى ان لم يشتروا الخضوع التام كما نستطيع ان نفهم من الوثيقة المصرية ، فعلى الاقل يشترون رضاء الغالب الذى كان قويا جدا فى ذلك الحين على ساحل سوريا . وهذا الاتفاق الدبلوماسى الذى نشأ فى عهد تحتمس الثالث ان لم يكن قبله كان لا يزال سارى المفعول حتى عهد امينوفيس الثانى بل وامينوفيس الرابع ايضا ، وذلك بالنسبة للموكنيين على الاقل (نص العام الثانى عشر من حكم امينوفيس ٤) .

فنحن نرى انه يفسر وجود الايجيين فى مصر ولا يدع مجالا للشك فى نظرنا من ان وجودهم فى نظر الكثير بقصد التوسع فى المبادلات بين الحضارتين الذى نشاهده ابتداء من عصر البرونز الحديث الاول .

والحق ان منتجات زراعية كريتية وصلت مصر ابتداء من الدولة الوسطى كما ان الاطباء المصريين لم يترددوا فى ان يستعينوا احيانا لعلاج امراض معينة بوصفات « سحرية كريتية » — كل هذا يتضمن علاقات ان لم تكن وثيقة فعلى الاقل مستمرة نوعا ، وهذا تؤيده نصوص معينة تؤكد ان مصر كانت تستورد من العالم الايجى الذهب والفضة واللازورد والاحجار النادرة والاقل قيمة والنحاس .

ومن الطبيعى ان هناك مجالا لدراسة الحقائق التى تؤكدها الوثائق المصرية — فان كريت قد احضرت الذهب والفضة واللازورد والعاج ذاته (جزية رخمارع) ولكن لا يدل ذلك على انها قد انتجت بنفسها هذه المواد . فمصر قبل الفرس واليونان كانت تجهل العملة وكانت تقدر المعادن الثمينة فضلا عن اى معدن بصفة عامة سواء اكان خاما او مصقولا على انه وسيلة تبادل طيبة لانها ذات قيمة كبيرة لوزنها وقلة الحيز الذى تشغله نسبيا . من اجل هذا كانت تتطلب من ملتزميها أكبر كمية ممكنة من هذه المواد الاولية . وذكر الذهب والفضة واللازورد والنحاس من بين صادرات ايجية الى مصر ربما دل على ان الايجيين كانوا اغنياء فى هذه المواد وانه كان لديهم صناع قديرون على تحويلها الى أشياء ذات قيمة . والواقع انه اذا كان المصريون لم يترددوا فى طلب الفضة من ليبيا رغم حرمانها من كل المناجم فى أرضها فان هذه المطالب معتدلة وكميات المعادن الثمينة المذكورة فى الجزية الليبية تبقى دائما متواضعة . وليس الحال كذلك بالنسبة للعالم الايجى . وأخيرا فان وجود الذهب وخصوصا الفضة فى صورة سبائك بين الاشياء التى استحضرها الايجيون فى مواعيد الاتفاق تحملنا الى اعتبار كريت والجزر — ان لم تكن المنتجة لهذه المعادن كانت على الاقل وسيطة بين دولة أو اخرى لها مناجمها وبين مصر .

وتحدثنا النصوص عن ان كريت وجزر وسط البحر بوصفها دولا ذات مناجم كانت تقدم لمصر الاحجار الثمينة او شبه الثمينة وربما الفضة ، واسم هذه الاحجار قد فقد لسوء الحظ . اما كون هذه البلاد قد استخرجت هذه الاحجار من ارضها او كونها قامت بدور الوسيط بين البلاد المنتجة لها وبين مصر — فالقوائم المصرية للبلاد ذات المناجم تذكر فى الواقع بصور مختلفة البلاد المنتجة والبلاد مجرد الوسيطة . ولدينا من هذه الحالة دليل جديد على علاقة مباشرة بين المصريين وقدماء الهلينيين ويكون نقل هذه البضائع قد ضمنته السفن المصرية او القوارب الايجية . ومن المعلوم اننا نفكر فى احجار كالأوبسيدين الذى استخدم فى وادى النيل منذ اقدم الأزمنة مع انه يوجد فى الاراضى المصرية . الا ان هذا ليس هو الاحتمال الوحيد فان احجارا عديدة عثر عليها فى مصر ذات مصدر غير معروف Lucas ومن المستحيل ان نحدد بدقة ما كانت مصر تحصل عليه من العالم الايجى .

ووجود السفن المسماة بسفن الكفتيو سواء فى الموانى السورية او الترسانة المصرية فى ضواحى ممفيس يسمح بأن نؤكد عن كثب مشكلة العلاقات بين مصر وايجة ونواجه احتمالات ثلاثة ، فان كلمة سفن كفتيو بمعنى السفن الكريتية يمكن ان تدل على :

ا — المراكب المصنوعة والمجهزة بواسطة الكريتيين انفسهم

ب — المراكب المصرية المصنوعة خصوصا بقصد العبور الى كريت

ج — منشآت من نوع غريب عن مصر ولكنها نفذت فى وادى النيل حسب نموذج المراكب الكريتية .

وبهذا الصدد يختلط الاحتمالان الثانى والثالث ما دام كل منهما ينطوى على حركة المرور المصرية تجاه كريت . ويبدو من التحليل الحديث للنصوص المصرية انه من الضرورى التمسك بالاحتمال الثانى Söderbergh

والحقيقة انه لاشىء يعارض كون سفن الكفتيو مصرية وتسمى كفتيو بسبب حركة النقل التى كانت تقوم بها مع كريت بنفس الطريقة التى كانت المراكب الجوبيلية (Kpnt) المصنوعة فى مصر تسمى هكذا بسبب الجهة التى تقصدها وهى بوبلوس (Kpnt) . وهذا على قدر كبير من الأهمية بقدر ما يتضمن ان حركة النقل المصرية كانت قد بدأت قديما مع كريت وحدها .

ويبدو فى الواقع ان المصريين لم يدخلوا فى علاقات مع الموكنيين الا فى أوائل الاسرة ١٨ ، فليس من المستحيل كما اقترح بعضهم حديثا انه

منذ بداية هذه الاسرة ، كانت الروابط فيما بين المصريين والموكنيين من التوثق كتلك الروابط التى كانت قد ربطت بينهم فى الدولة الوسطى وفى عهد الانتقال الثانى ، ولا شىء على كل حال سواء فى النصوص او من نقوش المقابر يدحض وجهة النظر هذه ، الا انه فى هذه الحال قد يتضمن وجود التعبير « مراكب كريت » ، ان التجارة بين مصر وبحر ايجه تكون قد نظمت قبل عصر البرونز الحديث الاول .

ومن الجدل بين « انصار الموكنيين » وبين « انصار المينويين » هناك حقيقة معروفة لدينا : فاذا تمسكنا بالمصادر الكتابية وحدها التى عثر عليها فى مصر ، ولا داع لوضعها موضع الشك فى هذه النقطة — فان الكريتيين والموكنيين فى بداية الاسرة الثامنة عشرة كانوا يعيشون فى اتفاق تام ، فهم يأتون معا يطالبون محالفة مصر . ويبدو ان الكتاب المصريين كان يصعب عليهم تمييز احدهما عن الآخر .

وفيما بين سنتى ١٤٠٠ و ١٣٠٠ تختفى كلمة كفتيو اى كريت من مفردات اللغة المصرية مما يتمشى مع الاحتلال النهائى للجزيرة المينوية الكبيرة ، الا ان « الجزر » وسكانها الموكنيين يستمرون فى التجارة مع مصر ، وانه فى هذا العصر ينتشر الفخار الموكينى انتشارا واسعا فى وادى النيل وليس لدينا لسوء الحظ نصوص صريحة كافية لكى ندرس بالتفصيل هذا الاستمرار للتجارة الايجية مع مصر . الا ان الموكنيين قد تابعوا العلاقات التى كانت قد افتتحت فى بداية الاسرة الثامنة عشرة حتى قضى عليهم انفسهم .

ولنا الحق فى ان نتساءل عما اذا كان بعض الموكنيين الذين اختلطوا فى صور جزية « شعوب البحر » لم يكونوا موجودين الا بصفتهم قائمين بوظيفة الارشاد وليدلوا على الطرق وفتحات مصاب النيل الخطيرة الى حد كبير . وبهذا يكونوا قد ادوا للقادمين الجدد خدمة شبيهة بتلك الخدمة التى استفاد منها من قبل اجدادهم عندما اوصلهم الكريتيون المينويون الى فرعون مصر .

وهكذا فان ظهور الملتزمين المينويين والموكنيين فى نقوش مقابر طيبة والعدد الكبير من اوانى الفخار الايجية فى مصر وكذلك استيراد الاوانى المرمرية والأشياء المصرية بكل انواعها فى العالم الأيجى ، كل هذا يؤكد توثق العلاقات التى كانت تربط المصريين وقدماء الهلينيين فى عصر البرونز الحديث .

خاتمة

بعد ان وصلنا الى نهاية هذا البحث فنحن لا نخفى ما فيه من ثغرات او من وجوه النقص التى لابد منها ، فالمصادر المصرية التى لخصناها بحسب تاريخها لا تمثل الا جزءا يسيرا جدا من الوثائق المصرية التى كانت تشير فيما مضى الى الايجيين . والكثير من هذه الوثائق قد قضى عليه الآن ، ولكن من يدرى ما اذا كان فى انقاض بعض قصور الملوك او فى محفوظات هامة كمحفوظات تل العمارنة ما يكافىء يوما صبر احد الباحثين المنقبين . من يدرى ما اذا لم يكن يختفى تحت رقعة بردى فى مدخل مقبرة من طيبة مايكشف لنا غدا عن حفل جديد سليم للملتزمين الايجيين .

ورغم هذا ، وفى انتظار اكتشاف مشكوك فيه ، فمن الممكن منذ الآن ان نحدد — على الاقل فى خطوط عريضة — المكان الذى شغله العالم الايجى فى مصر الفرعونية .

لقد كثرت فى الآونة الاخيرة المحاولات التى بذلت للتقليل فى شان العلاقات الثقافية التى وجدت بين المصريين وقدماء اليونان بل لانكار وجود مثل هذه (العلاقات) . ولعل وراء هذه المحاولات التى أغرت قضاة ممتازين ، ووراء الحضارة الايجية والثقافة المصرية ، نجد مبالغة شديدة فى النظريات الاولى « الافريقية » عن اصل الحضارة الكريتية ولكننا نواجه أيضا الفقر التام فى المصادر التاريخية التى تحت ايدينا لدراسة العلاقات الايجية المصرية .

وفى نهاية الامر فان عدد الادوات المصرية التى جمعت فى حوض بحر ايجه ، والاوانى الفخارية الايجية فى مصر ، يمكن أن تفسر وجود علاقات وثيقة جدا . ولكن الى اى حد يمكن للمرء أن يثق فى عدد هذا النوع من الاشياء ، أعنى أن يركن الى دليل احصائى ؟ لقد امكن أن يقال دون شك ان كل أداة من الاشياء المستوردة ، التى عثر عليها فى الحفريات تمثل كميات من أدوات متشابهة اندثرت ولم يعثر عليها بعد . فان صحت هذه الملحوظة بالنسبة لمصر ، التى اكتمل اكتشاف آثارها تقريبا فكم يكون هذا من الوضوح أيضا بالنسبة لكريت التى لم يكتمل حفرها بعد ، الا فى فترات متقطعة ، بدأنا حفرها منذ نصف قرن تقريبا .

كما أن البعض قد شككوا فى القيمة التاريخية لجدران المقابر المصرية .

ومما لا شك فيه مع هذا ان الرسوم المصرية كأى مصدر تاريخى آخر كان لايمكن ان تقبل دون انتقاد سابق . فالفنان استطاع ان يخطىء او اراد ان يضلل من استخدمه ، وايا كان السبب ، فهناك مجال لتحديد قصور معلوماته عن الوثائق الاصلية التى صورها . ومسألة الثقة هذه التى يجب منحها للوثائق المصرية قد شغلتنا نحن ايضا ، ولكن برغم النقد الداخلى الذى لاغنى عنه والذى قمنا به بالنسبة لكل واحدة من تلك الوثائق ، فقد ظهرت لنا جدران مقابر طيبة ذات قيمة لا جدال فيها .

ففى مقبرة اهتممنا بها كمقبرة رخمارع ، اذا قال لنا النص ان الاشخاص المرسومين هم من سكان بلاد الكفتيو وجزر البحر، نستطيع ان نكون واثقين ان الرجال الذين وصفوا بذلك لهم كل سمات وكل مميزات الجنس الذى كان يسكن هذه البلاد . ومن الممكن وان كان من غير المؤكد ان الاشخاص انفسهم لم يوجدوا قط بوصفهم افرادا ، وانهم — وفقا لموهبة الفن المصرى المميزة له — كانوا نتيجة لملاحظات قام بها الفنان . ولكننا لا نستطيع ان نشك فى ان هؤلاء الاشخاص لهم جميعا السمات المميزة التى كان يظنها المصرى فى طيبة فى الاسرة ١٨ صفات جوهرية لسكان كريت وسكان الجزر . ونتيجة لهذا ، ومع ان الثقة التى يجب وضعها فى الرسوم تختلف من مقبرة الى اخرى وان ثمة ما يدعو الى تجنب الثقة العمياء فى تفسير المصادر الموجودة — فنحن نعلم ان لدى الفنانين ميل الى ان ينقلوا بعضهم عن بعض بكل ما تتضمنه طريقة كهذه من مغامرات او خطأ — فقد يكون من الخطر مع هذا ان نقع فى النقد المبالغ فيه الذى ينتهى اليه بالضرورة تحليل مندفع فى التفاصيل يسقط من اعتباره مجموعة المناظر المصورة .

ففى كثير من الحالات لابد ان الكسل الطبيعى فى نفس الانسان — وبصرف النظر عن الواقعية المألوفة فى الفن المصرى — قد أثار الكتاب والرسامين على ان يعيدوا ببساطة اخراج ما كانوا قد راوه مؤخرا ، اولى من ان يستسلموا لعمل ابداع خيالى لا دليل لنا عليه .

ولقد كان فى متناول الفنان المصرى اذا استطعنا ان نقول — وثائق لم نرها نحن قط . فقد كان يحضر بشخصه — فى حياته اليومية خلال الحفلات الكبرى الملكية والدينية ، والمواكب التى يظهر فيها الاشخاص والاشياء التى يصورها بعد ذلك على جدران المقابر . فالاعتراف مقدما بأنه قد اخطأ فى تصوير هذه المناظر ، يلزمنا ان نعرف معرفة مؤكدة أصول كل ما اراد ان يصوره . واذن فمن هنا تكون الوثائق المصرية قيمة جدا . وجدران المقابر فى طيبة اغنى بالاشياء والاشخاص المصورة بحيث

ان المصادر الايجية الخالصة المعاصرة لم تقدم منها قط شيئا . فكيف نستطيع فى هذه الظروف مهما بلغنا من الحيطة ، ان نبين بدقة كيف تخطىء النقوش المصرية ؟

ان تاريخ ظهور كلمة كفتيو فى النصوص المصرية طوال سنة ٢٢٠٠ يتمشى مع العصر الذى كان فيه الصناع الكريتيون — اذا لم يكونوا قد اخذوا عن المصريين فن صناعة الاوانى من الصخر — فعلى الاقل قد قلدوا بلا جدال صور الاوانى المصرية فى الاسرة السادسة . فمن المؤكد اذن انه منذ العصر المينوى القديم الثانى ، كان المصريون وقدماء اليونان على اتصال . ولا نعتقد فى مقابل هذا ان يكون من الممكن الابقاء على الفروض المختلفة التى وضعت بشأن العلاقات بين مصر وكريت اوليبيا السابقة على تاريخ ٢٢٠٠ . اذن فكريت لم تدخل فى علاقات مع مصر الا فى اقصى نهاية الدولة القديمة بمصر .

وخلال الدولة الوسطى كلها يبدو ان العلاقات قد استمرت ولكن من غير ذلك الاتساع ولا الانتظام الذى قدر لها . فقلما تذكر بعض النصوص المصرية كريت . وما اسرع ما جمعت الاشياء الايجية الموجودة فى مصر وكذلك الاشياء المصرية الموجودة فى كريت . وخلال كل هذه الفترة التى تمتد من نهاية العصر المينوى القديم الثانى حتى نهاية المينوى المتوسط الثالث — اذا لم نستطع ان نستبعد مقدما امكان وجود علاقات مباشرة بين مصر وكريت — فانه من الواضح مع هذا ان الطريق الشرقى عن طريق قبرص والساحل السورى كان مألوفا اكثر. وهكذا نميل الى التساؤل عن الوسيط السورى . ماذا كان الدور الاعتبارى للكريتيين ، والسوريين ، والمصريين انفسهم فى هذا التوسع الايجى الاول ؟ نحن مضطرون حقا الى ان نظل فى حالة ترقب . فالمصادر فى الحالة الراهنة من معلوماتنا لا تسمح بتحديد الدور الذى اخذته كل منها فى هذه التجارة الدولية الاولى . ولنذكر انه ليس من المستحيل ان يكون الاسطول المصرى قدقام هو نفسه بالوساطة بين سوريا وكريت اذا كان فى المحتمل ان تكون كلمة كفتيو : كريت قد انتقلت من اللغة المصرية الى اللغات الاسيوية .

ولم تصبح العلاقات متداولة الا فى الدولة الحديثة . ومن الواضح ان قدماء اليونان قد لعبوا دورا فى التاريخ الاقتصادى لوادى النيل منذ بداية الاسرة الثامنة عشر . لقد حاولت مصر أن تزيد ثروتها المعدنية ولكن سمو نهضتها فى عهد الامبراطورية الحديثة قد جعلها شيئا فشيئا جشعة للحصول على الذهب والفضة والاحجار الثمينة . ولم يعد انتاج مناجم الصحراء الشرقية يكفى لتمويل خزانة الملك ومعبد

آمون الكبير بكل الاوانى الثمينة التى تتراكم فى حجراته ، ومع هذا فان مناجم السودان واعمال السلب والجباية التى نتجت عن الحروب فى آسيا قد دعمت الانتاج المصرى ولكنه لم يكن كافيا . .

ويدهشنا فى العلاقات الايجية بمصر ، الدور الذى قامت به الفضة . لا شك ان الاوانى الذهبية كثرت فى التصويرات لقيمتها الثمينة واصالة ما عليها من نقوش ، لكن الفضة الخام ، وبعض السبائك من اشكال مختلفة والفضة المصنوعة كانت اكثر قيمة . هذا فيما يبدو ما كان المصريون ينتظرونه قبل كل شىء من اهل كريت ومن الموكينيين . ويبدو ان هؤلاء — وهم تجار مهرة — قد استغلوا حاجة المصريين هذه ليحصلوا فى مقابل ذلك على حرية دخول الموانى الآسيوية التى كان قد غزاها الاسطول المصرى .

والمظهر التجارى والاقتصادى للعلاقات التى ربطت المصريين وقدماء الهلينيين جوهرى فى نظرنا . فالايجيون « على جدران مقابر طيبة » يقدمون اللازورد والنحاس والفضة والذهب والعاج الى مصر . ولكن فيما يتعلق بثلاثة على الاقل من هذه المواد الاولية فانها ليست انتاجا ايجيا ، فالجزر وكريت لا تنتج النحاس بكمية كبيرة ، ولا اللازورد ولا العاج . فقدماء اليونان كانوا يقومون اذن بدور الوسطاء ، والطريق التجارى الاكثر استعمالا ، الذى يحاذى الساحل الآسيوى ، كان يسهل لهم هذا الدور . لقد كان من السهل عليهم فى الواقع ان يحصلوا على النحاس والفضة والعاج واللازورد على طول طريقهم : فآسيا الصغرى ما لم تكن هيلاد تنتج الفضة ، وقبرص النحاس واللازورد — واصله فيما يظن من افغانستان — كان يأتى من سوريا عن طريق بلاد الحيثيين ، وفى عهد تحتمس الثالث ايضا كانت قطعان من الفيلة تعيش فى رتنو الشمالية بين حلب والساحل ، وهو ما يفسر ان السوريين كان يمكن ان يقدموا العاج الى مصر بنفس الصفة التى يقدمه بها السودان .

وبمناسبة هذه الحركة فى المواد الاولية لا جدال فى ان الايجيين جاءوا الى مصر وعاشوا فيها مساهمين بذلك فى تقوية التأثير الايجى ، ونستطيع ان نتساءل عما اذا كان من بين هؤلاء الهلينيين القدماء من جاءوا مصر بصفتهم اسرى حرب ابان « معركة الموانى » حين استطاع اسطول تحتمس الثالث ان يصطدم بسفن المينويين او الموكنيين ، ولكنا نفضل من جانبنا تفسيرا آخر .

فاذا كان لا بد وان المصريين قد عقدوا صلات أوثق بقدماء اليونان بمناسبة الحملات الاسيوية ، فمن الواضح ان هذه الصلات كانت سلمية ايضا . ويبدو ان الايجيين لم يكن لهم غرض اللهم الا ان يبقوا على استمرار

وصولهم الى موانى آسيا وكانت حينئذ فى ايدى المصريين . ولا شك ان مصر من جانبها لم تكن غاضبة فى الابقاء على علاقات طيبة مع اهل كريت من الكفتيو والموكينيين فى الجزر ، وان تضمن حرية العبور بسفن « الكفتيو » ، لان تجارة مصر نحو كريت كانت تتوقف فيما يبدو على حركة المرور الايجية تجاه مصر .

وليس لدينا معلومات دقيقة عن الطريقة التى نظمت بها التجارة الخارجية المصرية ولكن ندين بوضوح للغزوات الحربية الاولى الكبيرة لقدماء المصريين الذين راحوا يبحثون عن الخشب فى لبنان . وما تم عمله منذ الاسرة الخامسة وقبل ذلك من غير شك جهة الشرق ، امكن ان يعمل فى اتجاهات اخرى . والحق ان المصريين اذ اعتبروا دائما بلاد الكفتيو (كريت) وكأنها بلد غربى يدللون فيما يبدو على انهم قد ابحروا باشخاصهم مباشرة تجاه كريت .

والحقيقة اننا لا ندرى لماذا استطاع المصريون ان يعرفوا — مع انعدام اى علم جدى للخرائط — ان كريت كانت توجد فى الغرب من مصر . فاذا لم يكونوا يعرفون وجود جزيرة مينوس الا باتخاذ الطريق الآسيوى الوحيد بالابحار قرب الساحل ، فقد كان عليهم بطبيعة الحال ان يضعوا الكفتيو فى الشمال الشرقى من مصر . فحقيقة كون كريت واقعة بالنسبة لهم فى مكانها الطبيعى ، فى غرب الدلتا ، تتضمن فيما يبدو انهم كانوا يعرفون ويتخذون فعلا الطريق المباشر من مصر الى كريت او على الاقل من كريت الى مصر . فالعبور البحرى من الدلتا نحو كريت قد يصبح صعبا جدا كما نعلم ، عندما تهب الرياح التجارية السائدة فى الصيف . وهكذا ينبغى ان نواجه احتمالا آخر ، نعتقد انه يمكن ان نكتشف منه بعض المعالم ، نعنى احتمال طريق الرحلة المثلث (انظر خريطة ١) ففى الذهاب عند الرحيل من الدلتا يكون على المصريين ان يتخذوا الطريق الآتى : الساحل الفلسطينى السورى ، قبرص ، ساحل الاناضول رودس وأخيرا كريت ، وفى العودة تتخذ السفن الطريق المباشر مستغلة الرياح التجارية . وهذا قد يفسر لنا لماذا فى النصوص القديمة جدا ، ترتبط بلاد الكفتيو ببلدة بوبلوس التى هى فى الحقيقة احدى الخطوات الممكنة نحو كريت حين نرحل من مصر بسفينة تأخذ طريق الشرق .

والنصوص صامتة لسوء الحظ حول الاسباب التى كانت تجذب المصريين نحو تلك الجزيرة البعيدة : فالفضة كما رأينا والبحث عن الاحجار الكريمة obsidienne والاحجار الاخرى من نفس النوع كان يمكن ان تثير الفراعنة على ان يقوموا من وقت لآخر بحملات الى ايجه

وان كان يبدو عجيبا الا نعثر فى ذلك على نصوص رسمية كما فى حالة الحملات التجارية نحو بلاد الصومال . وقد تصوروا انه كان فى امكان المصريين ان يستوردوا من كريت الزيت والنبيذ « نورومارك » . وليس ذلك مستحيلا ولكن الرحلة تبدو طويلة حقا بالنسبة لمنتجات متداولة يمكن ان تجدها مصر فى سوريا وفلسطين عندما يكون انتاجها منه غير كاف . وفضلا عن هذا فان وجود أوانى مصرية بالقارة الاوروبية يحملنا على افتراض تصدير هذه المنتجات الى ايجة لا استيراد مصر لها . هذا بخلاف تجارة الخشب التى يمكن ان تكون قد حدثت من ايجه الى مصر لانه حتى العصور المتاخرة كانت اليونان تمون مصر به . ومن الممكن الى جانب تجارة الفضة المهمة وبعض الاحجار وربما الخشب قيام تجارة بعض منتجات من اصل نباتى ، ولكن لا بد وانها كانت فيما يبدو من المنتجات النادرة او غير الموجودة فى مصر لا الزيت والنبيذ .

ومع هذا فمن السهل ان نقدر المبادلات التجارية ومدى سعتها . واذا تساوت الاشياء كلها بعد هذا نقدر ندرة الاشياء الايجية الموجودة فى مصر والمصرية التى وجدت فى ايجه وان نعلل بها اهمية العلاقات بين المصريين وقدماء اليونان. لقد بات مؤكدا امكان التخلى عن فكرة حضارة كريتية متاثرة كل التأثر بتأثيرات مصرية . وهكذا يجب ان نستبعد فكرة ان مصر قد طلبت معونة الجيش الكريتى لكى تقضى على الغزاة الهكسوس . ولكن هل يجب ان ننكر – الى هذا الحد – كل الحقائق التى تثبت ان الحضارتين قد تعارفتا ؟ لا نظن ذلك .

ان التأثيرات الايجية على مصر رغم كل هذا ، لا يمكن انكارها مهما كانت دراستها صعبة فالفن الايجى قد اثر فى فنانى الدولة الحديثة . والصناع المصريون قلدوا صور الاوانى الايجية بل واتخذوا فى كثير من الاحيان اصطلاحات الرسم الايجى . ومنظر النسيج الايجى فى مصر واستيراده دون شك يبدو له اثر على صناعة النسيج المصرية فى الاسرة الثامنة عشر . كل هذه الحقائق ابعد من ان يمكن اهمالها . وهى تتكامل « ويكملها التأثير المصرى على كريت » وامكان استعارة الصناعات المصرية ، كصناعة نحت الاوانى الحجرية وصناعة الخزف والنقش على الجدران فهى حقائق لها اهمية ما. ووجود فرق مأجورة من السود فى كريت ، وكذلك استخدام الآلة الموسيقية المصرية (الشخشيخة) عند الكريتيين تاتى ايضا لتضاف الى « التأثيرات » النيلية nilotiques التى لا تنكر فى قائمة التزيين الايجية وفى كل ما يمكن بحق ان نستخلصه من المصادر الكتابية او الاثرية المصرية المتعلقة بايجه .

ولن يكون هناك مجال للشك فى ان المصريين وقدماء اليونان قد

عرفوا بعضهم بعضا منذ نهاية عصر البرونز القديم حتى ولو كانت العلاقات ما زالت محدودة فى عصر البرونز الاوسط ، لكنها لم تتوقف اطلاقا ، ثم أصبحت وثيقة حقا فى عصر البرونز الحديث . ولهذا اهميته القصوى فاذا كان غزو « شعوب البحر » فى آسيا وفى مصر وضع حدا للمبادلات الخصبة التى ربطت شيئا فشيئا مراكز الحضارة المشرقة فى عصر البرونز الحديث ، فهذا يعنى ان التاريخ لم يتوقف .

ولقد ادت ازمة نهاية الالف الثانى الى تشتيت كثير من الشعوب وتدمير عدد كبير من المدائن الزاهرة ، ولكن مصر لسهولة الدفاع عنها قد عرفت نوعا من الاستقرار والهدوء بفضل صحراواتها وسواحلها الوعرة . فالكارثة التى حلت بالشرق الاوسط لم تقض على كل شىء وما زالت بذور النهضات المقبلة كائنة فى مكانها . كما ان سلالات مغمورة منحدرة من المينويين العظماء مع انها ذابت بين كبار الغزاة لكنها ما زالت تشعر بحنين نحو وادى النيل العجيب . ذلك الوادى الخصيب الذى سيظل يجذب اليونان ويغريهم بالنزوح اليه كما اغرى من قبل الآخيين والموكينيين ومن قبلهم شعب مينوس العريق .



أهم المراجع

الفصل الأول

BISSING (Fr. V.) : Journal of Hellenic Studies, 52, 1932, p. 119.

BOREUX (Ch.) : *Etudes de Nautique égyptienne*, Mém. Inst. Fr. Arch. Or., t. 50, Le Caire, 1925.

GARDINER (A.H.) : *Ancient Egyptian Onomastica*, Oxford, 1947.

GLOTZ (G.) : *La Civilisation Egéenne* (Evolution de l'Humanité, n° 9), Paris, 1952 (édition mise à jour par Ch. Picard et P. Demargne).

HERODOTE : *Histoires*, trad. Legrand (Coll. Budé), tome IV.

KEES (H.) : *Agypten und Ubersee im 2. jahrtausend*, Forschungen und Fortschritte, Berlin, 1932, Jahrg. 8, p. 119-120.

LUCAS : *Obsidian*, Annales Service des Antiquités de l'Egypte, 41, 1942, p. 272-4 et 47, 1947, p. 113-123.

MILNE (J. G.) : *Trade between Greece and Egypt...*, Journal of Egyptian Archaeol., 25, 1939, p. 177-183.

SAVE-SOBERBERGH (T.) : *The Navy of the 18th Egyptian dynasty*, Recueil de Travaux publiés par l'Université d'Uppsala, n° 6, Upssala, 1946.

SCHAEFFER (Cl.) : Journal of Egyptian Archaeology, 31, 1945, p. 92.

SCYLAX : Pseudo-Scylax, *Périple*, Geogr. graeci min., édit. Müller, § 69, p. 58.

SION (J.) : dans : *Méditerranée, Péninsules méditerranéennes*, Géographie Universelle (A. Colin), tome VII, 2, Paris, 1934, p. 561.

الفصل الثانى

ALBRIGHT (W. F.) : *Vocalization of the Egyptian syllabic orthography*, Newhaven, 1934.

CAILLAUD (F.) : *Voyage à Méroé...*, Paris, 1826, tome I (Voyage à Siouah).

DEMARGNE (P.) : *Crète-Egypte-Asie*, Annales Ecole Hautes Etudes de Gand, II, 1938.

EVANS (A.) : *Early nilotic, Libyan and Egyptian relations with minoan Crete*, Huxley Memorial Lecture, Londres, 1925.

EVANS (A.) : *The Palace of Minos at Knossos*, tomes I-IV, Londres, 1921-1935.

FRANKFORT (H.) : *Asia, Europe and the Aegean*, Studies in early pottery of the Near East, Londres, 1927, vol. II, p. 97.

FRANKFORT (H.) : *Egypt and Syria in the first intermediate period, Journal of Egyptian Archaelogy*, vol. 12, 1926, p. 80-99.

FURUMARK (A.) : *The Settlement at Ialysos and aegean history, Opuscula Archaelogica*, vol. VI, Lund, 1950.

GARDINER (A. H.) : *Egyptian Grammar*, Oxford, 1950, p. 573, *s. n.* ; *nbt*.

GLOTZ (G.) : *Civilisation égéenne* (cf. ci-dessus, Bibliographie, Chap. I).

HALL (H.) : *The relation of aegean with Egyptian art*, Journal of Egyptian Archaelogy, I, 1914, p. 197 et suiv.

HELBIG : *Das homerische Epos*, Leipzig, 1887.

JEQUIER (G.) : *Vases de pierre de la VIe dynastie*, Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, 34, 1934, p. 97-113 et 35, p. 160.

LEROI-GOURHAN (A.) : *Milieu et techniques*, Coll. Sciences d'Aujourd'hui, Paris, 1945.

MONTET (P.) : *Les noms des Grecs en ancien égyptien*, Revue Archéologique, 6e série, 28, 1947, p. 129-144.

MONTET (P.) : *Les noms des Grecs en ancien égyptien*, 34, 1949, p. 129-144.

PENDLEBURY (J. D. S.) : *Aegyptiaca*, a catalogue of Egyptian objects in the aegean area, Cambridge, 1930.

PENDLEBUR (J. D. S.) : *Archaelogy of Crete*, an Introduction, Londres, 1939, p. 74.

PETRIE (W. M. E.) : *Abydos*, Egypt Exploration Fund, 24th memoir, II, Londres, 1903, p. 28.

PICARD (Ch.) : *Les religions préhelléniques*, Crète et Mycènes, Coll. Mana, les religions de l'Europe ancienne, I, Paris, 1948.

SCHACHERMEYR (Fr.) : Archiv. für Orientforschungen, XVI, 1952, p. 81-83.

SPIEGEL (J.) : *Soziale und weltanschauliche Reformbewegungen im alten Aegypten*, Heidelberg, 1950.

VERCOUTTER (J.) : *Les Haou-Nebout*, Bulletin Institut Français d'Archéologie Orientale, 46, 1946, p. 125-158 et 48, 1948, p. 107-209.

الفصل الثالث

ALBRIGHT : *Vocalization*, § 16, p. 9-10 (cf. ci-dessus, Bibliogr., Chap. II).

CHAPOUTHIER (F.) : dans Bisson de la Roque, Contenau, Chapouthier, *Le trésor de Tôd*, Documents de Fouilles Inst. Français Arch. Or., XI, Le Caire, 1953, p. 21-35.

EVANS: *Palace of Minos*, cf. Bibliogr. ci-dessus, Chap. II.

EVERS (H. G.) : *Staat aus dem Stein*, Munich, 1929, vol. II, p. 96.

GUNN (B.) : dans E. B. Lewis, *Land of Enchanters*, Londres, 1948, p. 29 et suiv.

HALL (H.) : *Discoveries in Crete and their relations to history of Egypt*, Proceedings Society of Biblical Archaelogy, 31, 1909.

KANTOR (H.) : *The aegan and the orient in the second millenium B. C.*, Archaeol. Inst. of America Monographs, I, part IV, Bloomington, 1947.

KANTOR (H.) : *The early relations of Egypt with Ssia*, Journal of Near Eastern Studies, I, 1942, p. 174-213.

LEFEBVRE (G.) : *Romans et contes égyptiens de l'époque pharaonique*, Paris, 1949.

MULLER (M.) : *Asien und Europa*, nach altägyptischen Denkmälern, Leipzig, 1893.

PENDLEBURY : *Aegyptiaca*, cf. ci-dessus Bibliogr., Chap. II.

PENDLEBURY : *Archeology of Crete*, cf. ibidem.

POSENER (G.) : *Princes et Pays d'Asie et de Nubie*, Bruxelles, 1940.

الفصل الرابع

ALEXIOU (St.) : *Krêtikà Xronikà*, 1952, I, p. 9 et suiv.

BISSING (Fr. V.) : *Der Fussboden aus dem Palaste des Königs Amenophis IV zu el-Hawata*, Munich ,1941.

BLEGEN (C. W.) : *Prosymna*, The Helladic Settlement, Cambridge, 1937.

CHAPOUTHIER (F.) : *Mallia, les écritures minoennes*, Etudes crétoises, II, Paris, 1925-1926, p. 62-67.

CHRISTOPHE (L.) : *Notes géographiques*, Revue d'Egyptologie, 6, 1951, p. 89-114.

COLLOMP (P.) : *La critique des textes*, Strasbourg, 1931.

DEMARGNE (P.) : *La Crète Dédalique*, Paris, 1947.

DUSSAUD (R.) : *L'art phénicien au IIe millénaire*, Paris, 1950.

DUSSAUD (R.) : *Prélydiens, Hittites et Achéens*, Paris, 1953, p. 73 et suiv.

EDGERTON (W. F.) : Journal American Oriental Society, 56, 1936, p. 182-188.

EVANS : *Pal. of Minos*, cf. ci-dessus, Bibliogr., Chap. II.

EVANS : *Scripta Minoa II*, Oxford, 1952, p. 70-71.

FRANKFORT (H.) : *The mural paintings of El-Amarna*, Londres, 1929.

FURUMARK : *Settlement*, cf. ci-dessus, Bibliogr., Chap. II.

GARDINER : *Onomastica*, cf. ci-dessus, Bibliogr., Chap. II.

GAUTHIER (H.) : *Dictionnaire des noms géographiques*, Le Caire, tome V, pp. 198-199.

HALL (H.) : *Egypt and the external world in the time of Akhenaten*, Journal of Egyptian Archaeology, 7, 1921, pp. 39-53.

HALL (H.) : *Keftiu*, dans Essays in aegean archaeology presented to Sir Arthur Evans, Oxford, 1927, pp. 31-41.

HAYES (W. C.) : Journal of Egyptian Archaeology, 36, 1950, pp. 22-23.

KANTOR : *Aegean and the Orient*, cf. ci-dessus, Bibliogr., Chap. III.

KARO (G.) : *Die Schachtgräber von Mykenai*, Munich, 1930-1933.

LEFORT DES YLOUSES : Revue Archéologique, 6e série, 23, 1945, pp. 18-36.

LUCAS (A.) : *Ancient Egyptian Materials and Industries*, 3e édit., Londres, 1948.

PENDLEBURY : *Aegyptiaca*, cf. ci-dessus, Bibliogr. Chap. II.

PENDLEBURY : *Archaeology of Crete*, cf. ci-dessus, ibidem.

PENDLEBURY : *Egypt and the aegean in the late bronze age*, Journal of Egyptian Archaeology, 16, 1930, pp. 75-92.

PERSSON (A.) : *New tombs at Dendra near Midea*, Lund, 1943.

ROWE (A.) : *Catalogue of Egyptian Scarabs, etc...*, in the Palestine Museum, Le Caire, 1936.

SAVE-SODERBERGH : *Navy of the 18th dyn.*, cf. ci-dessus, Bibliogr., Chap. I.

SCHAEFFER (Cl. F.A.) : *Ugaritica* I, Bibliothèque Archéologique et Historique, tome 31, Paris, 1939, et *Ugaritica* II, ibidem, tome 47, Paris, 1949.

VERCOUTTER (J.) : *L'Egée et l'Orient au 2e millénaire*, Journal of Near Eastern Studies, 10, 1951, pp. 205-212.

WACE-BLEGEN : *Pottery as evidence for trade and colonisation in the aegean Bronze age*, Klio, 1939, pp. 131-147.

WAINWRIGHT (G.A.) : *Asiatic Keftiu*, American Journal of Archaeology, 56, 1952, p. 196 et suiv. (avec références aux travaux antérieurs de cet auteur sur le même sujet).

WELKER : *The painted pottery of the near east in the second millenium B.C.*, Transactions of the American Philosophical Society, new series, 38, 1948, pp. 220-222.

فهرس الخرائط

رقم		صفحة
١	الطرق البحرية	١٦
٢	مصر — ليبيا — كريت	٣٣
٣	التماثيل المصرية بالشرق الأدنى	٦١
٤	مواقع الدولة الوسطى بالدلتا	١٢٨

الأشكال

١	تماثيل صغيرة من عهد ما قبل الأسرات بمصر وما يشابهها بكريت	٣١
٢	رجل من الجنس السامى يحمل اسم حاوتيبوت	٣٩
٣	إناء من الحجر الصلب ذو مقبضين أنبوبين مستديرين	٤٣
٤	أوان من الحجر الصلب (صحاف)	٤٤
٥	أوان كريتية من الحجر (منقارية)	٤٥
٦	إناء مصرى وآخر كريتى لهما مقابض أنبوبية مستديرة	٤٦
٧	كؤوس ليست لها مقابض	٤٦
٨	أوان مستطيلة مصرية وكريتية	٤٧
٩	كأسان بيضاويان لهما قاعدة	٤٧
١٠	أوان أنبوبية مستديرة	٤٨
١١	إناء ذو مقبض هابط مصرى ومثيله بكريت	٤٩
١٢	أختام كالأزرار	٥٢
١٣	أسير من بلاد متوس	٦٧
١٤	صورة أجنبى بمقابر طيبة يحمل خصائص الإيجيين	٧٨
١٥	كريتى كما صوره أهل كنوسوس وكما صوره المصريون بطيبة	٧٨
١٦	سكان إقليم كفيتو كما يظهرون فى الرسوم المصرية	٨٠
١٧	الملتزمون الإيجيون بالمقابر المصرية	٨٢
١٨	حامل جزية بمقبرة رخمارع	٨٤
١٩	كوب مينوى من مقبرة سننوت	٨٥
٢٠	كأسان مخروطيان من مقبرة رخمارع	٨٥
٢١	إزار مطوى	٨٦
٢٢	إزار منبسط	٨٧
٢٣	الإزار الملكى فى صورة جانبية وأخرى أمامية	٨٧
٢٤	إزار مطوى فى شكل جانبى وآخر أمامى	٨٨

رقم		صفحة
٢٥	إزار الساق فى كنوسوس ...	٨٨
٢٦	زى رئيس الزنوج بكنوسوس ومثيله بمقبرة رخارع ...	٨٩
٢٧	حذاء كريتى وآخر حيثى وثالث من مقبرة رخارع ...	٩٠
٢٨	أوان معدنية إيجية (رخارع) ...	٩١
٢٩	كأسان كبيران من البرونز بنقوش إيجية تحملها ...	٩٢
٣٠	كأسان كبيران لهما مقابض فى شكل قطط ...	٩٣
٣١	ملتزم من مقبرة أوسر آمون ...	٩٦
٣٢	قدر مينوى وآخر من سنموت ...	٩٩
٣٣	تنورة ذات قطعة أمامية ...	١٠١
٣٤	تنورة منقوشة ...	١٠١
٣٥	التنورة الحربية المصرية فى شكل جانبى ولها قطعة أمامية مرسومة من الوجه	١٠٢
٣٦	التنورة ذات الحزم فى كريت ومصر ...	١٠٢
٣٧	ساق إيجى من مقبرة سنموت ...	١٠٣
٣٨	آنية إيجية ذات حلقين ...	١٠٧
٣٩	الفهد المصرى الطائر ...	١١٠
٤٠	قرون الثور وقد رسمت حسب الطريقة المصرية والطريقة الإيجية ...	١١٢

محتويات الكتاب

رقم	الموضوع	صفحة
١	**مقدمة** بيان بأزمنة عصر البرونز وبحر إيجة	٣
٢	**فصل تمهيدى بقلم المترجم** الحضارة المينوية والحضارة الموكينية	٩
٣	**تصدير المؤلف**	١٧
٤	**الفصل الأول** مشكلة العلاقات بين إيجة ومصر	١٩
٥	**الفصل الثانى** العلاقات بين مصر وكريت فى الدولة القديمة	
٦	**الفصل الثالث** علاقات مصر بكريت فى عصر البرونز المتوسط	٥٩
٧	**الفصل الرابع** علاقات الإيجيين والمصريين فى عصر البرونز الحديث	٧١
٨	خاتمة	١٢١
٩	أهم المراجع	١٢٨
١٠	فهرس الخرائط والأشكال	١٣٥